مكتبة

أرنالدور أندريداسون
ARNALDUR INDRIÐASON

مكتبة ٨٠٧

ليالي ريكيافيك

REYKJAVÍKURNÆTUR
REYKJAVÍK NIGHTS

رواية

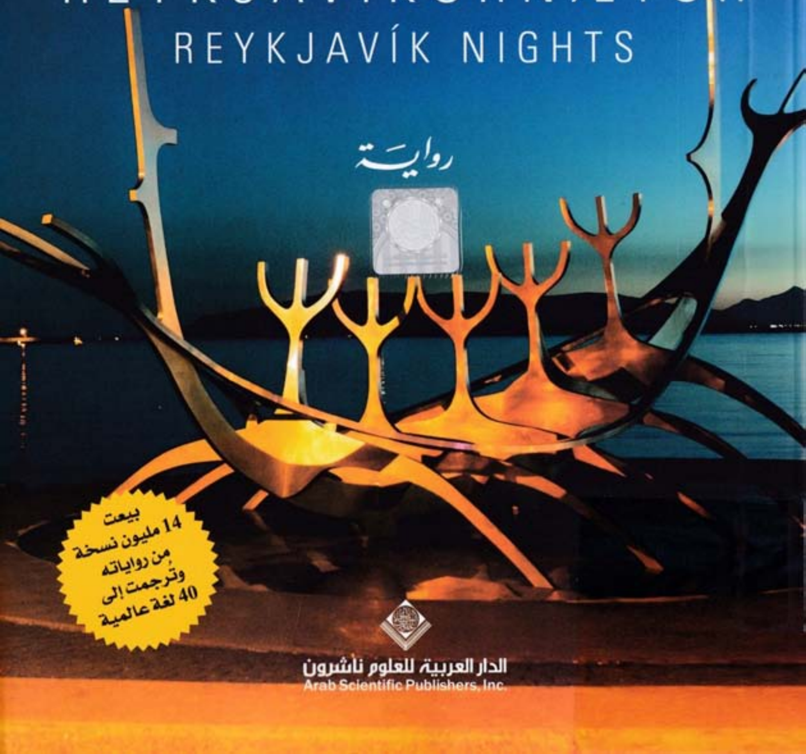

بيعت 14 مليون نسخة من رواياته وترجمت إلى 40 لغة عالمية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

ليالي ريكيافيك

REYKJAVÍKURNÆTUR

REYKJAVÍK NIGHTS

مكتبة | 807
سُر مَن قرأ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النسخة الإنجليزية عن الأصل الايسلندي
Reykjavikurnætur
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Forlagid Publishing, Reykjavik, Iceland
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2012 by Arnaldur Indriðason
All rights reserved
This Book has been translated with a financial support from:
ICELANDIC LITERATURE CENTER
Arabic Copyright © 2020 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L
الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2021 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-01-3187-3

مكتبة
t.me/t_pdf

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

ليالي ريكيافيك

REYKJAVÍKURNÆTUR

REYKJAVÍK NIGHTS

رواية

أرنالدور أندريداسون

ARNALDUR INDRIÐASON

ترجمة

ربيع هندي

مكتبة 807

سُر مَن قرأ

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

مكتبة
t.me/t_pdf

1

طاف معطف أخضر على سطح الماء، وعند تحريكه التفّ ببطء مشكّلاً نصف دائرة، ثم غاص بعيداً وتوارى عن الأنظار، فواصل الأولاد تحريكه بعصيّهم حتّى طفا على السطح مجدّداً، فتراجعوا مذعورين عند رؤية ما يخفيه خلفه.

عاش الرفاق الثلاثة في هافياساليتي، في الأبنية السكنية المصطفّة على طول ميكلابروت المزدحمة، وتمتدّ نزولاً أراضٍ قاحلة تعرف بكرينغوميري، وكانت تلك الأراضي مغطّاة بنباتات القُرّاص وحشيشة الملاك من جهة الشمال، أمّا من جهة الجنوب فكانت عبارة عن منطقة واسعة من الحفريات والأخاديد العميقة في الأرض، نتيجة تنقيب أهالي ريكيافيك خلال الحرب العالمية الأولى عن تراب الجفت الجافّ لتدفئة منازلهم حين كانوا يعانون نقصاً في الوقود. لقد جفّفوا الأرض وشقّوا مسارات عبر تربة المستنقعات قبل أن يبدأوا باستخراج الجفت على أوسع نطاق شهده تاريخ المدينة، وقد عُيّن مئات الرجال من أجل جمعه وتحويله إلى قوالب ونقله إلى المدينة بواسطة العربات.

وعندما استُؤنف استيراد الفحم والنفط بعد انتهاء الحرب، امتلأت الحفر والتجاويف المهجورة تدريجياً بمياه جوفية كدرة، وبقيت على حالها لسنوات عديدة، وفي حوالي أواخر

الخمسينيات وبداية الستينيات توسّعت المدينة شرقاً وبُنيت في الضواحي الجديدة في هافياساليتي وستوراجيرادي الأبنية، فتحوّلت المنطقة إلى ملعب للأطفال المحلّيين الذين بنوا القوارب ليبحروا في البرك الأكبر حجماً، وعبرت درّاجاتهم المسارات صعوداً ونزولاً على مختلف التلال، وعند انخفاض الحرارة في الشتاء، كانت البرك المتجمّدة تتحوّل إلى حلبات تزلّج خاصّة بالأولاد.

صنع الأولاد الثلاثة طوفاً جديداً، مستخدمين بعض الأخشاب المقطّعة التي حصلوا عليها من موقع بناء قريب، وتشكّل الطوف من عارضتين متينتين، وبعض الألواح المصنوعة من البوليسترين، ومنصّة صالحة لاعتلائها مصنوعة من ألواح خشبية ذات قوالب متماثلة، وكانوا يستخدمون عصيّاً طويلة في التجذيف، بعد أن يجرّوه إلى المياه العكِّرة، ولكنّهم في البداية يدفعونه من الأسفل لأن البركة لم تكن عميقة جدّاً، وعلى الرغم من انتعالهم الأحذية المطّاطية ومحاولاتهم الحثيثة ألّا يبتلّوا، إلّا أنّه كان لا بدّ من أن يقعوا في مياه البركة، ليعودوا إلى منازلهم وركبهم ترتجف من البرد ومن الخوف من توبيخٍ جديد– وقد يكون أسوأ من السابق– لعودتهم إلى المنزل كالجرذان المبتلّة مجدّداً.

تحرّك الأولاد الثلاثة بحذر باتّجاه طريق كرينغوميري، محاولين ألّا يرجّوا الطوف كي لا تغمره المياه، ولكي لا يجنح ويُلقي بهم في البركة، وكان ذلك يحتاج إلى براعة من يسير

علـى الحبـل، كمـا كان يتطلّب تعاونـاً وخفّة، وقد تمكّن الأولاد بأعصـاب هادئـة مـن التوازن بثبات بعد أخـذ وقت كافٍ لتحقيق ذلك، وأخيراً تجرّأوا على الانطلاق من الضفّة، مدركين أنّهم إن اجتمعوا في جهة واحدة فسيخاطرون بانقلاب الطوف والسقوط في الماء.

وهكذا تخطّت الرحلة الأولى التوقّعات، فكانوا مستمتعين بطوفهم الجديد الذي انساب بسلاسـة على سطح الماء، وهم يجذفـون بالعصـيّ ذهابـاً وإيابـاً وصـولاً إلـى أعمـق مـكان فـي البركـة، فقامـوا بعـدّة رحـلات. وقد تناهى إلى أسـماعهم ضجّة الزحام من ميكلابروت شمالاً، وعندما نظروا جنوباً ظهر أمامهم خطّ أنابيب التدفئة الحرارية الأرضية الذي يوفّر المياه السـاخنة للخزانات في أعلى تلّ أوسكجيلد، الذي كان بمثابة ملعب آخر لهم، كانوا يعثرون فيه على كرات قاسـية وصغيرة بحجم بيوض الدجـاج، وتسـاءلوا عـن مصدرهـا، فأوضح لهم أحـد الآباء أنّها كرات غولف، وقال لهم: «لا بدّ من أن الناس كانوا يتدرّبون على الأرض الجـرداء بالقـرب مـن خـطّ الأنابيب»، مضيفـاً أنّ ملعب غولـف ريكيافيـك كان يقـع في الجهة الشـرقية من أوسـكجيلد، وهو ليس بعيداً عن كرينغوميري. وفي تلك الأيّام كانت المنطقة تُعرف بغولف سكالاتجوم أو بحيرة كلوب هاوس، رغم ظنّه أنّه من غير المرجّح بقيسي أنّ تبقى الكرات هناك كلّ تلك المدّة.

كانـوا يتقدّمـون بخفّة وسلاسـة إلى أن تعثّر الطوف بعائق، فغمـرت الميـاه الكـدرة إحـدى جوانبـه، فثبتـوا فـي مكانهم من

دون حراك إلى أن استعادوا توازنهم من جديد عبر انتقالهم إلى الجهات المعاكسة، وتدريجياً استقرّ الطوف مجدّداً، ولكنّه لم يعد يطفو كسابق عهده، فلابدّ أنّه عالق بشيء ثقيل، إذ عثروا خلال رحلاتهم السابقة على مختلف أنواع الخُردوات التي تغمر الأعماق الداكنة، وقد ظهرت في المكان النفايات التي أُلقيت في الحفر كالدراجات المعطّلة والبوليسترين الذي استُفيد منه في صناعة الأطواف، ولكنّ هذا العائق- مهما كان حجمه- بدا غير متحرّك، فاعتقدوا أنّه تمزّق وعلق بأحد المسامير النافرة من إحدى العارضتين.

وبحذر شديد، حاولوا التجذيف إلى الخلف، فاستهلكوا كلّ طاقاتهم وهم يحاولون تحريك الطوف، وقد جرّوا معهم بعض المخلّفات المعدنيّة لمسافة قصيرة، وفجأة تحرّر الطوف بعد أن تفلّتت الزاوية العالقة من العائق المجهول، فكاد أن يختلّ توازنهم، لكنّهم نجحوا في الحفاظ على توازن الطوف مرّة أخرى، فتنفّسوا الصعداء لأنّهم لم يبتلّوا، ثم أعاروا الشيء الذي طفا فوق سطح البركة اهتمامهم.

سأل أحدهم وهو يلكز الآخر: «ما هذا؟».

سأل الآخر: «هل هو مجرّد كيس؟».

قال الثالث: «لا، إنّه معطف».

حرّكه الولد الأوّل بقوّة أكبر، واستمرّ يحركه بالعصا حتّى تحرّك أخيراً، ثم ما لبث أن غاص بعيداً وتوارى عن الأنظار، فبدأوا يخزونه بعصيّهم مرّات متتالية إلى أن طفا مجدّداً.

ثم التفتَ وبان من زاوية ضيّقة ما تحت المعطف، فقد ظهر جزء من رأس رجل أبيض اللون وممتقع الوجه، وخصل شعره ملبّدة، فكان أقبح منظر رأوه في حياتهم، وفي الحال أطلق أحد الأولاد صرخة وتراجع مذعوراً إلى الوراء وسقط في الماء، ففقد الآخران توازنهما وقبل أن يدركا ما يحصل معهما وقعا كلاهما في الماء، فهرعوا إلى الضفّة مذعورين، ووقفوا على الشاطئ برهة وهم يرتجفّون من البرد بعد أن تبلّلوا تماماً، محدّقين بدهشة إلى المعطف الأخضر والجزء الذي كُشف من الوجه على سطح الماء، ثم أداروا ظهورهم وهربوا مطلقين لأرجلهم العِنان.

2

بثّ مركز الشرطة نداء عبر الراديو يدعو العناصر إلى التوجّه إلى مقاطعة بوستادير حيث وقع شجار عنيف في أحد المنازل، فسارعوا متّجهين شرقاً إلى ميكلابروت، وعبروا هاليتي، ثمّ سلكوا طريق غرينسافيغور جنوباً. وكان ذلك عند الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل، حيث تكون الطرقات شبه خالية. وقد صادفوا في طريقهم سيارتي أجرة متّجهتين إلى الضواحي، وكادوا أن يصطدموا بسيّارة ظهرت فجأة في فوسفوغر عند تقاطع بوستاديرفيغر، إذ بدا أنّ السائق عجز عن تقدير السرعة التي يجب ألّا يتجاوزها والمسافة التي عليه يلتزم بها ليكون عبوره آمناً.

صرخ أرلندور وهو ينعطف بقوّة متجنّباً السيارة: «هل أنت مجنون؟»، وتابع طريقه غاضباً.

سأل مارتن من المقعد الخلفي: «هل علينا أن نوقفه؟».

قال غاردر: «دعه يرحل».

فرأى أرلندور من خلال مرآة الرؤية الخلفية السيارة وهي تتّجه غرباً عبر طريق بوستاديرفيغر.

مارتن وغاردر طالبا قانون يعملان مؤقّتاً خلال عطلة الصيف، وقد استمتع أرلندور بالعمل معهما. كانت قصّتا شعرهما شبيهتان بقصّات شعر فرقة البيتلز، بخصلات شعر ملساء تنسدل

علـى أعينهمـا وسـوالف عريضـة. وكان الثلاثة يسـتقلّون سـيارة شـرطة متثاقلـة فـي سـيرها، مـن نوع شـيفرولية بيضاء وسـوداء، ولكـن يعـوّل عليها دائماً، وهي تحـوي في الخلف قفصاً صغيراً لحجز السجناء، ولـم يقوموا بتشغيل صفّارة الإنذار أو المصابيح الساطعة وهـم في طريقهـم إلى موقـع الشجار، على الرغم من أنّ ذلك كاد أن يسبّب اصطدامهم بالسيارة، لأنّهم لا يحتاجون إلى فعل ذلك في أثناء القيام بعملية محلّية في وقت متأخّر من الليل، مع أنّ غاردر يرغب في بعض الأحيان بتشغيل كلّ ما يصدر منه صوت أو ضوء وهو يقود بأقصى سرعة من أجل المتعة فقط.

ركنـوا السـيارة أمام المنزل، واعتمـروا قبّعاتهم البيضاء، ثمّ ترجّلوا منها، فكانت ليلة من ليالي الصيف الساحرة، ذات الجوّ المعتدل على الرغم من تلبّد السماء بالغيوم، وتساقط قطرات من المطـر الخفيـف. وقـد تجد في تلك الليالـي عدداً لا بأس به من السـكارى يتجمّعون في البلدة، ولكن لا أحد منهم شـكّل خطراً على الآخرين حتّى الآن. لقد بدأت ليلتهم بتوقيف سائق درّاجة ناريـة عندمـا شـكّوا فـي أنّه يقود تحـت تأثير الكحـول، فاقتادوه ليُجـري فحصـاً للـدم، وبعد ذلك توجّهوا إلى ملهى ليليّ مزدحم من أجل إنهاء شجار وقع خارجه، تبعه شجار آخر وقع في منزل متهالك يقع في الجهة الغربية من البلدة حيث يقيم خمسة رجالٍ من طاقم سـفينة في نُزل أعمارهم متباينة، وما بدأ مجرّد تدريب علـى الصـراخ مـع جيرانهم تطـوّر إلى توجيـه اللكمات، وانتهى بسحب أحدهـم سكيناً وطعن يد أحد الرجال قبل أن يتمكّنوا من

السيطرة عليه. وحين وصل أرلندور ورفاقه لإنهاء الشجار كان الرجل لا يزال ثائراً ويستشيط غضباً. فكبّلوه بالأصفاد، وأوقفوه حتّى يهدأ في زنزانة الحجز في هيفرفيسغاتا، أمّا الآخرون فقد عادوا إلى رشدهم فور وصول رجال الشرطة، فأدلوا بإفادات متناقضة حول كيفية بدء الشجار.

ما إن وصلوا إلى موقع الشجار حتّى رنّوا جرس المنزل ذي الشرفة المطلّة على الشارع، مع أنّهم لم يروا أثراً لأيّ شجار، لكن وحسب نداء راديو مركز الشرطة فإنّ أحد الجيران اتّصل ليبلّغ عن شجارٍ عنيف وقع في هذا المنزل تحديداً، فطرقوا الباب، ورنّوا الجرس مجدّداً، وعندما لم يفتح أحد الباب بدأوا بالجدال حول مسألة اقتحام المنزل، فأراد أرلندور أن يدخل عنوة، لكنّ طالبي القانون لم يحبّذا حصول ذلك، بما أنّ الجار الذي بلّغ عن وقوع الشجار لم يظهر في المكان.

فجأة فُتح الباب بقوّة في خضمّ جدالهم، وظهر أمامهم رجل في بداية الأربعينات يضع يديه في جيبيه، وكان يرتدي قميصاً وبنطالاً مفتوحاً سحابه، وقد تدلّت حمالتاه من حزامه.

سألهم، وهو يتفحّص كلّ واحد منهم على حدة: «ما كلّ هذا؟»، بدا متفاجئاً من وجود رجال الشرطة أمام باب منزله، فلم يستطيعوا شمّ رائحة كحول تفوح منه، كما لا يبدو أنّهم أيقظوه من النوم.

قال غاردر: «تلقّينا شكوى بشأن ضجيج منبعث من هذا العنوان».

قال الرجل وهو يحدّق إليهم باستغراب: «ضجيج؟ لا تصدر أيّ ضجة من هذا المكان، من... من الذي اشتكى؟ هل تعني أن أحداً اتّصل بالشرطة؟».

سأله أرلندور: «هل تمانع دخولنا إلى المنزل لبرهة؟».

كرّر الرجل الكلام قائلاً: «إلى المنزل؟ إلى هنا؟ أحدهم كان يعبث معكم يا شباب، ولا ينبغي أن تنطلي عليكم الاتّصالات المزيّفة».

سأله أرلندور: «هل زوجتك مستيقظة؟».

«زوجتي؟ إنّها خارج البلدة، تقوم برحلة مع بعض الصديقات إلى كوخ صيفي، ولا أفهم... لابدّ من وجود خطأ ما».

اقترح غاردر وهو ينظر إلى أرلندور ومارتن: «ربما أعطونا عنواناً خاطئاً، من الأفضل أن نتحقّق من المركز».

قال مارتن: «اعذرنا».

«لا مشكلة يا شباب، أعتذر عن حضوركم من دون فائدة، لكنّني بمفردي، وليلة سعيدة».

عاد غاردر ومارتن إلى السيّارة ولحق بهما أرلندور، وما إن ركبوها حتّى أدار أرلندور المحرّك بينما كان يتحدّث مارتن إلى المركز الذي أكّد له أنّ العنوان صحيح.

فقال غاردر: «لكن لا شيء يحدث هنا».

فجأة أطفأ أرلندور محرّك السيّارة وخرج منها وهو يقول: «انتظروا لحظة، هناك شيء غريب بشأن ما حصل».

سأله مارتن: «ماذا ستفعل؟».

عاد أرلندور وطرق الباب، وبعد فترة قصيرة، فتح له الرجل بابه مجدّداً.

سأله: «هل كلّ شيء على ما يرام؟».

قال أرلندور: «هل يمكنني استعمال حمّامك؟».

«حمّام؟».

قال أرلندور: «فقط للحظة، لن أتأخّر».

«أنا آسف. لكن... لا أستطيع...».

«أيمكن أن تُريني يديك؟».

«ماذا؟ يديّ؟».

«نعم، يديك»، دفع أرلندور الباب بقوّة، مجبراً الرجل على التراجع إلى الوراء، واقتحم المنزل ملقياً نظرة سريعة على المطبخ، ثم فتح باب الحمّام المقابل له، وأكمل طريقه عبر الممرّ فاتحاً الأبواب وهو ينادي بأعلى صوته، وبعد اعتراض قصير الأمد على هذا الاقتحام المفاجئ، وقف الرجل مستسلماً في الممرّ، فتجاوزه أرلندور ودخل غرفة الجلوس، وهناك وجد امرأة مستلقية على الأرض من دون حراك، والفوضى تعمّ الغرفة، فالكراسي مقلوبة والمصابيح على الأرض، ومنفضة سجائر إلى جانب رأس المرأة، والستائر ممزّقة ومنتزعة من قضبانها، فهرع أرلندور إلى الضحيّة التي كانت غائبة عن الوعي، وجثا أمامها، فكانت إحدى عينيها غائرة في محجرها، وشفتاها تشقّقتا والدم ينزف من جرح عميق في رأسها، وكأنّه ضُرب بحاملة منفضة السجائر ما جعلها تفقد وعيها، كما أظهر فستانها المرفوع فوق

ركبتيهـا، منظـر الكدمـات على فخذيها، فتيقّن أرلندور أنّ العنف لـم يمارسه الزوج منذ هذه الليلة فقط.

صرخ منادياً غاردر ومارتن اللذين كانا متجمّدين في مكانهما على عتبة الباب: «اتّصلا بالإسعاف حالاً»، ثم سأل الرجل الذي لا يـزال متسـمّراً فـي مكانـه من دون حراك فـي الممرّ: «منذ متى وهي مُلقاة هنا؟».

«هل هي ميتة؟».

«ربما».

لـم يتجـرّأ أرلندور على لمـس المرأة، إذ كان جرحها عميقاً وإصابتها في رأسـها تبدو خطيرة، ففضّل انتظار المسـعفين الذين يعرفون ما عليهم أن يفعلوه قبل تحريكها، وغطّاها بالستائر الممزّقة قبـل أن يأمـر مارتـن بتكبيل الزوج بالأصفاد ووضعه في السـيّارة، فلم يعد الرجل مضطرّاً إلى إبقاء يديه في جيبيه، وما إن أخرجهما حتّى ظهرت قبضتاه المضرّجتان بالدماء بسبب الاعتداء.

سأله أرلندور: «هل لديك أولاد؟».

«صبيّان، وهما في الريف».

«لست متفاجئاً».

علا صوت الرجل وهو يُكبّل بالأصفاد ويُقتاد خارج المنزل: «لم أتعمّد فعل ذلك، لا أعلم... لم أكن أقصد أن أهاجمها هكذا، هي... لم أقصد... كنت سأتّصل بكم، لقد سقطت على الأرض وارتطم رأسها بحاملة منفضة السجائر ولم تعد تستجيب، فظننت أنّها ربما...».

علقت الكلمات في حلقه، فأطلقت المرأة تنهيدة ضعيفة.

همس أرلندور: «هل تسمعينني؟»، لكنّها لم تجبه.

كان الجار الذي اتّصل بالشرطة في الثلاثين من عمره تقريباً، وهو ينتظر في الخارج ويتكلّم مع غاردر، فانضمّ إليهما أرلندور حين كان يقول إنّه يسمع وزوجته صراخاً من وقت إلى آخر، ولكنّه لم يكن يوماً بحدّة هذه الليلة.

«هل هذا يحصل منذ فترة طويلة؟».

«لا أعلم، فلم يمضِ على إقامتنا في هذا المكان أكثر من سنة، وكما كنت أقول، بين الحين والآخر نسمع صراخاً وأصوات أشياء تُرمى في الأرجاء، وذلك يشعرنا بعدم الراحة لأنّنا لا ندري ما الذي يجدر بناء القيام به، فنحن لا نعرفهم عن كثب وإن كنّا جيراناً».

ارتفع عويلُ صفّارات الإنذار واشتدّ أكثر عند اقتراب سيّارة الإسعاف التي انعطفت وركنت أمام المنزل، تبعتها سيارة شرطة أخرى، فأطلّ باقي الجيران الذين أيقظتهم الأصوات من نوافذهم وأبوابهم، وشاهدوا المرأة وهي تُنقل على الحمّالة، وسيارة الشرطة تبتعد بعد تكبيل الزوج ودفعه إلى المقعد الخلفي، وفي النهاية ساد الهدوء مجدّداً، وعاد السكّان إلى أسرّتهم ينتابهم الفضول بشأن هذا الصخب بعد منتصف الليل.

عدا هذه الحادثة، لم تتخلّل المناوبة الليلية أيّة مشاكل مهمّة، وعندما كان أرلندور يهمّ بمغادرة مركز العمل، رأى الزوج الذي ضرب زوجته ينتظر سيّارة أجرة خارج مركز الشرطة، فقد أُخلي

سبيله بعد استجوابه، وأصبح حرّاً طليقاً بعد إغلاق القضية، إذ لم تكن حالة زوجته خطيرة، وستغادر المستشفى بعد عدّة أيّام، وستعود بالتأكيد إلى منزل زوجها، ولا شكّ في أنّها لا تملك خياراً آخر، فليس هناك منظمّة أو جمعيّة تدعم النساء اللواتي يعانين من العنف المنزلي.

كان أرلندور قد قلّب في ملفّات الحوادث قبل مغادرته المركز، فلاحظ أنّ رجلاً في منتصف العمر كان قد اصطدم بعمود إنارة في مقاطعة فوغار وقد أصيبت سيّارته بخدوش، وكان ثملاً وهو يقود السيّارة، فاستنتج من خلال أوصافها أنّها كانت السيّارة نفسها التي أوشكت أن تصطدم بهم في بوستاديرفيغر.

وقف للحظة، ونظر إلى مبنى مركز الشرطة الحديث في هيفرفيسغاتا، ثم سار نزولاً نحو شاطئ البحر في سكولاغاتا وهو ينظر تارة نحو جبل إسجا ذي القمّة المسطّحة الواقع شمالاً، وطوراً نحو الجبال الواقعة غرباً حيث أرسلت الشمس أشعّتها فوق قممها، في صباح يومِ أحدٍ باكر حيث تعمّ السكينة المدينة بعد تطهيرها من مشاكل الليل.

راودته أفكار كثيرة وهو يمشي في الشارع، واسترجع مجدّداً حادثة المتشرّد الذي وُجدت جثّته السنة الماضية طافية على سطح أحد المستنقعات التي تغمرها المياه الكدرة في كرينغوميري، فلا تزال تلك القضية تؤرقه حتّى اليوم، ربما لأنّ الرجل لم يكن غريباً تماماً عنه، فقد كان أرلندور يقوم بدوريته المعتادة بالقرب من المكان عندما ورده أمر التحرّك، لذا كان من أوّل الواصلين إلى

هنـاك ولا يـزال يتذكّـر المعطف الأخضـر المبلّل بالماء، ووجوه الأولاد الثلاثة الذين وقعوا عن طوفهم.

خـلال السـنة المنصرمة لم تكتشـف دائـرة البحث الجنائي لريكيافيك أيّة أدلّة بشـأن غرق المتشـرّد، فأرلندور يعلم جيّداً أنّ تلـك الحادثـة المريبـة لـم تكن ذات شـأن، كما يعلـم في الوقت ذاته أنّ موت الرجل المتشرّد لم يُثر اهتماماً كبيراً، فقد كان لدى رجـال الشـرطة أمور أهـمّ للاهتمـام بها، بالإضافة إلى أنّ القضيّة بدت بالنسـبة إليهم محلولة وواضحة، فالاعتقاد السـائد كان أنّ المتشـرّد قد تعثّر وغرق في المياه المعكّرة، فتسـاءل أرلندور إن كان سبب ذلك يعود إلى أنّ المتشرّد لم يكن رجلاً مهمّاً بالنسبة إلى أحد، وجلّ ما عناه موته أنّ المشرّدين في شوارع ريكيافيك نقصـوا واحـداً. ولكـن ربما كان موته ليس بتلك السـهولة فعلاً، فقد سـمعه أرلندور قبل أن يتوفّى بفترة يقول إنّ أحداً حاول أن يُشعل حريقاً في السرداب الذي كان يعيش فيه، فلم يصدّقه أحد حتّـى أرلنـدور، والآن تؤرقه فكرة عـدم تصديق الرجل وتجاهل ادّعاءاته كما فعل الجميع.

مكتبة
t.me/t_pdf

3

ذات ليلـة هادئـة، وبعـد مـرور فتـرة قصيرة، توجّـه أرلندور نحـو كرينغوميـري، فلـم تكن المرّة الأولـى التي قادته فيها قدماه في ذلك الاتّجاه، فقد وجد نفسه – لقلة التزاماته خارج العمل – يستمتع بالتجوّل في الشوارع في الليالي الصيفية الجميلة، حول بحيـرة تدجورنيـن الصغيـرة فـي وسـط المدينـة، ثـمّ يتوجّه عبر الجهة الغربية إلى شبه جزيرة سيلتجامارنس، أو يتّجه جنوباً عبر شواطئ سكيرجافجوردر إلى الخليج الصغير عند ناوثولسفيك. ومن وقت إلى آخر كان يقود سّيارته الصدئة إلى خارج المدينة، ويركنها في مكان بعيد، ثم يصعد الجبال سيراً على قدميه، وكان يأخذ معه بعض المؤن، وينصب خيمة في حال كان الجوّ دافئاً. وعلى الرغم من أنّه لا يعتبر نفسـه شـخصاً محبّاً للنشـاطات، إلّا أنه انضمّ إلى نادي التجوال الآيسلندي، وكانت تصله منشوراتهم السـنوية، لكنّـه لـم يشـارك أبداً في أيّ مـن رحلاتهم، فقد علّمته تجربة الترحال إلى ينابيع لاندمانالوغر أنّ الترحال مع مجموعة من الناس المتحمّسين لا يناسبه، ويمكن لبهجة تقوم على الإكراه أن تتحوّل بسرعة إلى نوع من القمع.

لم يكن يعاشـر أيضاً العديد من النسـاء، فذلك لم يكن من ضمـن أولويّاتـه، حتّـى إنّه انسـحب من إحدى السـهرات النادرة

التي حضرها عندما لاحظ وقاحة الساهرات وصخبهنّ، لكنهَ تعرف لاحقاً في إحدى الليالي في غلاومبير -قبل أن يحترق المكان- إلى شابّة تدعى هالدورا، وكانت كثيرة الكلام ولكنّها شديدة التأثير وتعرف ما تريده، فأبدت اهتماماً واضحاً به، وبعد فترة التقى بها مجدّداً عندما كان بصحبة رفاقه في العمل في سيلفرتينغليد، فسألته إن كان يرغب في العودة برفقتها إلى المنزل، وبعدها اتّصلت به ثمّ تقابلا، وهما الآن منخرطان في نوع ما من العلاقة.

بينما كان أرلندور يتوجّه نحو حيّه في هيلدار، متجاوزاً كلّية هامراليد، حيث يتوفّر التعليم للبالغين، تساءل إذا كان يمكنه معاودة الدراسة، فهو بعد أن انتقل مع عائلته إلى ريكيافيك التحق بمدرسة وضعته في أدنى صفّ لديها من دون أن تجري اختباراً لقدراته، إذ افترض المسؤولون أنّه سيكون ضعيفاً وصعب المراس وغير متعاون لأنّه من خلفيّة فقيرة، وهكذا انضمّ إلى الأطفال البطيئي التعلّم، وبعد أن أنهى تعليمه الأساسي تسرّب من المدرسة في الصف السادس.

لم يكن سعيداً بالانتقال، ولم يرضَ عن تلك المدينة، وجلّ ما تعلّمه هو كيف يمسك لسانه، والنتيجة أنّه خسر اهتمامه بالتعليم الرسمي، فتحدّى مدرّسيه وكلّ مسؤول في المدرسة. وفي النهاية، ترك المدرسة وهو بعمر السادسة عشرة، وكان قد بدأ العمل خلال عطلات الصيف، وبعد قضاء الشتاء الأخير في المدرسة، انتقل من المنزل الذي تشاركه مع أمّه إلى شقّة

مستأجرة، وكانت أمّه أسلوغ، تقبض راتباً زهيداً، ولم يكن راتبه أفضل حين استلم العمل في المسمكة.

نظر أرلندور إلى مبني الكلّية، وشعر بإغراء الفرص الجديدة التي يتيحها تعليم البالغين، فالثامنة والعشرون لم يكن عمراً متقدّماً على متابعة الدراسة، وأيّاً يكن الأمر فسيحتاج إلى تجاوز اختبارات المدرسة النهائية إذا رغب في الالتحاق بالجامعة، وكان مهتمّاً بالتاريخ، وتحديداً بتاريخ آيسلندا، فتصوّر أنّه في يوم ما يمكنه ترك الشرطة ليتفرّغ لأبحاثه الجامعية.

بين الفترة والأخرى، كان يهرول عبر كرينغلوميراربراوت، ليجد نفسه عائداً إلى الحفريات على الرغم من أنّه لا يعلم السبب الذي يدفعه إلى هذا المكان دائماً، والماء الذي تجمّع في هذه الحفر بدا ضحلاً ومعكّراً وخالياً من الحياة، وتسمية هذه الحفر بركاً لا يناسبها فهو أرقى من مستواها. اليوم انتشرت على سطحها عدّة أطواف، فبدا المكان يضجّ بالحياة بحضور الأولاد الذين يركبون درّاجاتهم صاعدين ونازلين على التلال، واخترقت درّاجتان ناريتان الطريق الترابية متوجّهة إلى أعلى نقطة، وقد وصل صوت هدير الدرّاجات وعوادم محرّكاتها إلى أرلندور عبر هواء المساء الهادئ.

عثروا على المتشرّد في أعمق نقطة في تلك التجاويف، وقدّروا أن جثّته بقيت هناك لثلاثة أو أربعة أيّام قبل أن يُعثر عليها، وبما أنّ الطبيب الشرعي أكّد أنّه مات مباشرة لحظة غرقه، فقد ركّز التحقيق على تحديد سبب الوفاة أكان جريمة قتل أم

لا، ودلّت نسبة الكحول في دمه على أنّه توفّي نتيجة أسبابٍ طبيعية، فلم يعثروا على أيّ دليل على مقاومة ولم يتقدّم أيّ شاهد ليدلي بإفادته، بالإضافة إلى أنّهم لم يجدوا أيّ خيوط تدلّ على نشاط غير عادي في مكان الحادثة كآثار عجلات أو أقدام، ومع ذلك كان هناك فاصل زمني بين غرقه وبداية التحقيق، وقد داس الأولاد في تلك المدّة على الأرض في أثناء لعبهم، وبغياب أيّ دلائل جديدة، نفد صبر المحقّقين، وأُغلقت القضية.

صادف أرلندور خلال أشهره الأولى في العمل بصفته شرطيّاً الضحية في عدّة مناسبات. كان اسمه هانيبال، وكان رجلاً متشرّداً أوقفته الشرطة لأسباب عديدة، منها الثمالة والتسبّب في إحداث الشغب، وقد صادفه أرلندور في المرّة الأولى في منتصف الشتاء، وكان جالساً على مقعد في ساحة أوستورفوليور، وقد طوّقت أصابعه المخدرة عنق زجاجة برينيفين فارغة، وكانت باردة للغاية، عندها شعر أرلندور بأنّ ضميره لن يسمح له بأن يتركه يتجمّد من البرد، لأنّه سيموت حتّماً إن تركه في مكانه، فقرّر زملاؤه في مركز الشرطة بعد فترة من التردّد موافقة أرلندور على اصطحابه معهم إلى الزنزانة ليقضي الليلة هناك، فساعدوه في ركوب عربة الشرطة بعد أن عاد إلى رشده، وقد استغرقه الأمر بعض الوقت حتّى فهم ما يحصل، وعلى الرغم من أنّ الموقف كان مألوفاً لكلا الطرفين، إلّا أنّه حين أدرك ما حدث بدأ يشكر الشبّان الطيّبين بحرارة لاهتمامهم به، وطلب زجاجته، لكنّهم أخبروه أنّه أفرغها، فتساءل، هل من الممكن إذاً أن يتكرّموا عليه

بالقليل من الشـراب؟ كان السـؤال موجّهاً إلى المتدرّب الجديد الـذي علـى الرغـم مـن أن هانيبال لـم يقابله مـن قبل إلّا أنّه توقّع أن يكـون هدفـاً سـهلاً. فـي البداية، تجاهله أرلنـدور، ثم أمره أن يصمت عندما استمرّ بتكرار السؤال نفسه، وبسرعة، تلاشى امتنان المتشرّد، وصاح قائلاً:

«أيّها الأوغاد الملعونون، كلّكم متشابهون».

في المناسـبة الثانية، صادفه أرلندور مسـتلقياً أسـفل (التن)، كما كان يسـمّى السـياج الحديدي المتعرّج حول مصنع السـمك السـويدي فـي الطـرف الشـمالي مـن أرنارهـول، حيـث اعتـاد المتشرّدون على البحث هناك عن ملجأ يحميهم من ظروف الحياة الصعبة، والصقيع القارص الذي يصاحب العواصف الشـمالية، وكان لـون هانيبـال أزرق مـن شـدّة البـرد، ويجلس مسـتنداً إلى الحديـد المتعـرج، مادّاً سـاقيه، ومرتدياً معطفه الأخضر المعتاد، فبـدا شـبه غائـب عن الوعي. كان أرلندور عائـداً إلى المنزل من وسط المدينة عندما رآه، في البداية لم يرغب في التدخّل، إلّا أنّ القلـق انتابـه بعـد أن تفحّصه عن قرب، فبدا الصقيع ينخر عظامه ما جعله يشدّ قبضتيه بقوّة، والريح الشمالية تعصف ناثرة أشرطة من الثلج على الأرض لتتجمّع على قدميه، حتّى أرلندور نفسـه وجد صعوبة في الشعور بالدفء على الرغم من تلحّفه بمعطف طويل وقبعة ووشاح، فنادى الرجل باسمه، لكنّه لم يستجب، ثمّ ناداه بصوت أكثر ارتفاعاً، ولـم يسـتجب أيضاً، عندها اقترب منه أرلندور ولكز قدمه.

«هل أنت بخير، هانيبال؟».

لا جواب.

جثا أرلندور إلى جانبه، وهزّ الرجل إلى أن فتح عينيه قليلاً، لكن هانيبال لم يتعرّف إليه أو حتّى إلى مكان وجوده.

تمتم محاولاً دفعه بعيداً: «اتركني وشأني أيّها الوغد».

قال أرلندور: «هيا بنا، لا يمكنك البقاء مستلقياً هنا في هذا الجوّ البارد».

رفع الرجل ليقف على قدميه، مع أنّ الأمر لم يكن سهلاً كونه كان ثقيل الوزن وغير متعاون أبداً، فتطلّب الأمر طاقة أرلندور كلّها حتّى يوقفه قبل أن يساعده في النزول عبر المنحدر، ولكنّ تلك الحركة أيقظت هانيبال قليلاً، وجعلته قادراً على توجيه أرلندور عبر مركز المدينة إلى مبنى صغير خلف بيت في فيستورغاتا، ثم أشار إلى عدّة درجات تقود إلى السرداب، وبالكاد استطاع الوقوف، فساعده أرلندور على نزول الدرج، فكان الباب مغلقاً بمزلاج خشبيّ قديم كالذي يوجد على باب حظيرة، فرفع أرلندور المزلاج، وفتح هانيبال الباب، ثمّ مدّ يده باحثاً عن مفتاح الإنارة، وأشعل مصباحاً يتدلّى من السقف.

قال عند العتبة وهو يتعثّر إلى الأمام: «هذا ملاذي الذي سيحميني من العالم القاسي».

أوقفه أرلندور على قدميه، وهو يتأمّل الملجأ الأشبه بمخزن صغير منه إلى شقّة، كان يحوي أنواعاً مختلفة من الخردة التي– بالنظر إلى قفل الباب– كانت عديمة القيمة لدرجة أنّ أحداً

لـن يُفكّـر فـي سـرقتها، وهي مكوّنـة من أنابيـب مختلفة الطول، وإطـارات عجـلات باليـة مختلفـة الأحجـام، وأحـواضٍ صدئة، وأوعية بلاستيكية، وشباك صيد متشابكة عديمة الفائدة، في حين تموضع على الأرض أقذر فراش رأته عينا أرلندور، وفوقه التفّت بطّانية رثّة، وتبعثرت في المكان مجموعة متنوّعة من الزجاجات الفارغة التي احتوت سابقاً على الكحول أو الدواء بالإضافة إلى أوعيـة بلاسـتيكية صغيـرة من النوع الذي يحتـوي على الكحول الميثيلـي الـذي يمكـن شـراؤه مـن الصيدلانـي، وقـد عبقت في المـكان رائحـة نتنـة منبعثـة من مطّاط متحلّل وبـول كائنات حيّة مختلفة.

كان أرلنـدور مسـتعجلاً للخـروج من المكان بعدما سـاعد الرجل في الوصول إلى سـريره، لكن هانيبال جلس مسـتنداً إلى مرفقه، وسأله:

«من أنت بحقّ الجحيم؟».

أجـاب أرلنـدور وهو ينسـحب من المخزن: «اعتنِ بنفسـك الآن».

كرّر هانيبال سؤاله مجدّداً: «من تكون؟ هل تعرفني؟».

تردّد أرلندور عند الباب، فلم يكن يرغب في أن يتجادل مع الرجل، وفي الوقت نفسه لم يرد أن يبدو فظّاً.

«أدعى أرلندور، لقد التقينا من قبل، وأنا شرطي».

كـرّر الرجـل: «أرلندور... لا أذكرك يا صديق، هل لديك أيّ شيء من أجلي؟».

«مثل ماذا؟».

«هـل يمكـن أن تتكـرّم علي ببعض الفكّـة؟ ليس بالضرورة الكثيـر منهـا، وسـتفي بضع قطعٍ نقديـة بالغرض، فلابدّ أن تكون رجـلاً طيّبـاً ممّـن يسـاعدون الناس أمثالي، ولا بـدّ من أنّك قادر على منحي بعض النقود».

سأله أرلندور: «هل ستنفق المال على الشراب؟».

ابتسـم هانيبال: «لن أكذب عليك يا صديقي أرلندور»، قال بصـوت متواضـع جـدّاً: «قـد يصعـب عليـك أن تصدّقنـي، لكن الكذب على الناس ليس من شيمي، أحتاج إلى شراب الجين، إنّه جلّ ما أطلبه من هذا العالم الملعون، وأعلم أنّ ذلك لا يبدو كثيراً بالنسبة إليك، وما كنت لألحّ عليك لو لم يكن طلبي صغيراً».

«لن أعطيك المال من أجل الجين».

«ماذا عن بعض الجرعات من شراب ميث؟».

«لا».

قال هانيبال وهو يعود إلى الفراش: «أوه، حسناً إذاً، يمكنك في هذه الحالة أن تغرب عن وجهي».

انحسـرت أصوات هدير الدرّاجات النارية بابتعادها باتّجاه هافياسـاليتي، وجـذّف الأولاد أطوافهـم إلى الضفّة، وسـحبوها إلى الأرض الجافّة، فنظر أرلندور جنوباً نحو خطّ الأنابيب، فقد كشف التحقيق في موت هانيبال في كرينغوميري أنّه كان يبحث عـن منـزل جديـد، إن صح إطلاق كلمـة منزل على ذلك المكان السيّئ، الذي طُرد منه في الصيف الذي مات فيه لاتّهامه بإشعال

حريق في ذلك السرداب، بالرغم من إصراره وبشدّة على أنّه بريء من هذه التهمة، وقد التمس اللجوء إلى أنابيب خطّ التدفئة بعد أن أُلقي في الشارع، وانفجر لوح إسمنت في المكانٍ هناك تاركاً فجوةً كبيرة تتّسع لكي يزحف داخلها ويُدفئ نفسه بحرارة أنابيب المياه الساخنة.

كان ذلك آخر ملجأ لهانيبال قبل أن تُكتشف جثته في إحدى الحفر المغمورة بالمياه، وكان قد قضى لياليه هناك برفقة بعض القطط الضالّة التي كانت تتجمّع حول أسراب الطيور المتحلّقة حول تمثال القديس فرانسيس الأسيسي.

4

وقـف أرلنـدور عنـد ضفّـة البركة حيث لقـي هانيبال حتفه، فمـرّ أمامـه ولـد يقود درّاجة، ثم اسـتدار وعاد أدراجه، وقد عرفه أرلندور مباشـرة، على الرغم من مرور سـنة على التقائه به، فقد كان أحد الأولاد الذين عثروا على الجثّة.

سـأله الصبي، وقد أوقف دراجته أمامه: «أنت شـرطيّ أليس كذلك؟».

«أجل، مرحباً مجدّداً».

سـأله الصبـيّ: «مـاذا تفعـل هنا؟»، لقـد كان يتمتّـع بالجرأة والثقة نفسـيهما اللتين يتذكّره بهما، وهو ذو شـعر أحمر والنمش يمـلأ وجهـه، ونظـرات خبيثـة تلمع في عينيه. لقـد كبر، وتحوّل خلال سنة من طفل إلى مراهقٍ.

«أُلقي نظرةً في الأرجاء وحسب».

كان الصبيّ قائد الأولاد الثلاثة، وقد هرع الثلاثة يومها إلى منـزل صديقهـم ليعلمـوا والدته بما اكتشـفوه، فنسـيت تماماً أمر توبيخهم بشأن ملابسهم المبلّلة، وسارعت إلى الاتّصال بالشرطة عنـد إدراكهـا أنّهـم لا يعبثـون معها، وعاد الولـدان الآخران إلى منزليهمـا، لتغييـر ملابسـهما، ثم ركـب الأولاد الثلاثة درّاجاتهم عائديـن مجـدّداً إلى الحفـر المغمورة بالميـاه المتعكّرة، وحينها

شاهدوا سيّارتي شرطة وسيّارة إسعاف قد وصلت إلى المكان، وأخرجت جثّة هانيبال من البركة، ووضعتها على الأرض، ثم غطّتها ببطّانية.

عندما وصلهم البلاغ، كان أرلندور يقوم بدوريّته المعتادة في ميكلابراوت، وحالما وصل إلى مكان الحادث نزل إلى البركة، وأخرج الجثّة منها، ليكتشف أنّها جثة هانيبال، في البدء تفاجأ، ولكن من ناحية أخرى بدا موته حتميّاً، فعاجلاً أم آجلاً وبغضّ النظر عن غرابة الفكرة كان سيموت، وكان رجال الشرطة في تلك الأثناء يطردون الأولاد وبعض المتفرّجين الآخرين الذين تجمّعوا في المكان، ولكن عندما علموا أنّ الأطفال هم من عثروا على الجثّة أخذوهم إلى إحدى سيّارات الدورية ليُستجوبوا لاحقاً حول تفاصيل اكتشاف الجثّة.

استند الولد إلى مقود دراجته وقال: «يقول أبي إنّه غرق»، ونظر إلى المياه حيث انتشلت جثّة هانيبال.

وافقه أرلندور: «أجل، اعتقد أنّه وقع في الماء، ولم يتمكّن من إنقاذ نفسه».

«كان مجرّد مدمن كحولٍ عجوز».

«لا شكّ في أنّ الأمر قد شكّل نوعاً من الصدمة لك ولأصدقائك عندما عثرتم على جثّته».

أجابه الولد: «عانى آدي من الكوابيس، وزار الطبيب، لكنّني وبول لم نكترث لذلك».

«هل ما زلتم تُسيرون الأطواف على سطح هذه الحفر؟».

«لا، فتلك ألعاب أطفال».

«آها، حسناً، هل تتذكّر أنّك رأيت الرجل في الأسفل قرب خطّ الأنابيب الصيف الماضي؟».

«لا».

«هل رأيت أحداً غيره هناك؟».

«لا، لقد اعتدنا على أن نلعب هناك أحياناً، لكنّني لم أرَه أبداً، ربما كان موجوداً ليلتها فقط».

«ربما، ما الذي كنتم تفعلونه بجوار خطّ الأنابيب؟».

«أنت تعلم، نبحث عن كرات غولف».

«كرات غولف؟».

«أجل، هناك رجلٌ من أحد تلك المنازل يتدرّب دوماً على رمياته»، أشار الصبي إلى بعض صفوف المنازل ذات الشرفات في هافياساليتي، وتابع قائلاً: «يقول أبي إنّه كان منذ زمن قديم يوجد ملعب غولف عند خطّ الأنابيب بالقرب من أوسجيلد، وأحياناً نعثر على بعض الكرات القديمة».

«فهمت قصدك، وماذا كنتم تفعلون بها عندما تجدونها؟».

أعدّ الولد نفسه للانطلاق، وقال: «لا شيء، نكتفي برميها في المياه، فلا شأن لنا بها».

«تقصد ليست ذات فائدة».

«حسناً، نعم».

«نعم ليس جوا..».

قاطعه الولد: «يجب أن أعود الآن إلى المنزل»، ثم ركب

درّاجته مبتعداً قبل أن يتمكّن أرلندور من إتمام جملته.

سار أرلندور على الطريق بين الحفر القديمة صاعداً التلّ باتجاه قناة التسخين، وكان طول خطّ الأنابيب خمسة عشر كيلومتراً، ويمتدّ من المنطقة الحرارية في سهل موسفيل شمال المدينة، عابراً الضواحي، ليفرغ في النهاية محتواه في خزانات الماء الساخن الضخمة التي تعلو أوسجيلد، ويمرّ داخل الغلاف الإسمنتي أنبوبان من الفولاذ كلّ منهما بطول أربعة عشر إنشاً يغدقان الماء الساخن ‹لبيعياً، وقد كانت تنبعث منهما حرارة كافية لتوفير الدفء لهانيبال في أيّامه الأخيرة على الرغم من أنّهما عازلان للحرارة.

لم يصلحوا الفجوة في الغلاف الإسمنتي بعد، فعاين أرلندور قطعة الإسمنت الضخمة الملقاة على العشب وتساءل عمّا يمكن أن يتسبّب بهذا الضرر، فربما هزّة أرضية، وربما كان السبب هو الجليد.

كانت الفجوة كبيرة بما يكفي ليزحف رجل بالغ في داخلها بسهولة، ولاحظ أنّ بعض العشب حول المدخل كان مقتلعاً، وعندما أقحم رأسه فيها أدرك أنّه لا بدّ أنّ شخصاً آخر قد راودته فكرة هانيبال نفسها، إذ وجد بطّانية وزجاجتي برينيفين فارغتين بالإضافة إلى مجموعة من قوارير شراب الميث ملقاة تحت الأنابيب، واستطاع تمييز قبعة رثّة وقفّازين بالقرب منها.

اشتدّ الظلام أكثر وأرلندور لا يزال يتغلغل في الداخل،

وبعـد أن اعتـادت عينـاه علـى الظلمة فزع مـن رؤية كتلة ضخمة في أعماق النفق.

فنادى: «من هناك؟».

لـم يجبـه أحـد، ولكـن، فجأة دبّـت الحياة في تلـك الكتلة وبدأت تتحرك باتّجاهه.

5

قفـز أرلنـدور مـن الرعـب، وشـعر بخـوف شـديد قبـل أن يتراجـع ويخـرج مسـرعاً مـن المدخل، ثم ظهر مـن الفجوة بعد بضع لحظات رأس رجلٍ أوّلاً ثمّ تبعه باقي جسمه بعد أن زحف وصـولاً إلـى الخـارج، ثـمّ جثا على العشـب أمامـه، كان يرتدي معطفـاً رثّـاً طويلاً ويضع في يديهقفّازين من دون أصابع ويعتمر قبعـة صوفيـة، وينتعـل جزمـة مطّاطيـة مضـادّة للماء، وقد سـبق لأرلندور أن رآه من قبل برفقة مجموعة من سـكارى ريكيافيك، لكنّه لم يكن يعرف اسمه.

حيّـاه الرجـل، وكأنّـه معتـاد علـى اسـتقبال الـزوّار في هذا المكان، وكانت كلماته لبقة إلى درجة قد يظنّ المرء أنّهما التقيا فـي الشـارع، وليس داخل مجموعـة أنابيب خرجا منها زاحفين، فعرّف أرلندور بنفســه، وأخبره الرجل بدوره بأنّ اسـمه فيلهلم، وكان مـن الصعـب تقديـر عمـره، لكنّـه على الأرجـح في أوائل الأربعينـات، رغـم أنّ لحيته الكثيفة وسـنّه المقلوعة جعلتاه يبدو أكبر بنحو عشر سنوات.

سـأل المتشـرّد وهـو ينظـر إلـى أرلنـدور من خـلال نظّارته ذات الإطار: «هل أعرفك؟»، جعلت عدسـتا النظّارة السـميكتان عينيه تبدوان أكبر من حجمهما الطبيعي، وأعطتهما مظهراً شبيهاً

بالرسوم المتحرّكة، وكان يسعل سعالاً شديداً يثير الاشمئزاز.

ردّ أرلندور وقد لفتت النظّارة انتباهه: «لا، لا أعتقد ذلك».

سأله فيلهلم وهو يسعل مجدّداً: «هل كنت تبحث عنّي؟ هل تريد التحدّث إليّ؟».

أجابه أرلندور: «لا، كنت فقط مارّاً في الجوار، وحقيقةً لم أتوقّع أن أجد أحداً هنا».

قال فيلهلم: «لا يزورني في العادة الكثير من الزوّار، فالمكان ساكن وهادئ، وأنت لا تحمل سيجارة، أليس كذلك؟».

«آسف، لا، هل كنت.. هل يمكنني أن أسألك منذ متى وأنت تعيش هنا؟».

قال فيلهلم من دون أن يبرّر اختياره للمكان: «منذ يومين أو ثلاثة أيّام، أو...في أيّ يوم نحن؟».

«يوم الثلاثاء».

عاود فيلهلم السعال مجدّداً: «أوه، الثلاثاء، إذاً ربما بقيت هنا فترة أطول من ذلك، فالمكان هنا ليس سيّئاً خلال الليالي الصعبة، بالرغم من أنّه قد يصبح مزعجاً قليلاً أحياناً، ومع ذلك فقد مرّ عليّ ما هو أسوأ بكثير».

«هل تعتقد أنّه يمكن أن تتحمّل صحّتك البقاء في هذا المكان؟».

سأل فيلهلم وقد سيطرت نوبة سعال أخرى عليه: «وما دخلك أنت بحقّ الجحيم؟».

تابع أرلندور بعد أن هدأ سعال الرجل: «في الواقع، أنا

لست هنا بمحض الصدفة، بل كنت أعرف رجلاً اعتاد أن ينام هنا مثلك، اسمه هانيبال».

«هانيبال؟ أوه نعم أعرفه».

أشار أرلندور نحو كرينغوميري: «غرق هناك في إحدى البرك، هل يذكرك هذا بأيّ شيء؟».

«أتذكّر سماعي الخبر، لماذا؟».

قال أرلندور: «لا لسبب محدّد، أتوقّع أنّه كان حادثاً بسبب الحظّ السيّئ».

«أجل، الحظّ السيّئ بالتأكيد».

جلس أرلندور على الغلاف الإسمنتي وأردف قائلاً: «كيف تعرّفت إليه؟».

«أوه لم أكن أعرفه كثيراً، لكنّني اعتدت أن ألتقي به في أثناء ترحالي، كان رجلاً جيّداً حقّاً».

«لم تكونا عدوّين إذاً؟».

«لا، لسنا عدوّين، وليس لديّ أعداء».

«هل تعلم إن كان لديه أعداء، هل تعرف شخصاً يرغب في إيذائه».

حدّق فيلهيلم إليه عبر نظّارته السميكة، وقال وقد هزّت نوبة سعال أخرى كتفيه: «ولمَ تريد أن تعرف أعداءه؟».

«لا يوجد سبب محدّد».

«أخبرني».

«لا، حقّاً».

«هل تعتقد أنّ حادث غرقه لم يكن قضاءً وقدراً؟».

«ما الذي تظنّه أنت؟».

وقـف فيلهيلـم يتمطّى ليريح جسـمه، ثـم جلس إلى جانب أرلنـدور وقـال: «ليـس لـديّ أدنى فكرة، هـل يمكنك أن تعطيني بعض الفكّة؟».

«ولم أنت بحاجة إليها؟».

«أريد شراء التبغ، هذا كلّ ما في الأمر».

أخـرج أرلنـدور مـن جيبه ورقتين من فئة الخمسـين كرونة: «هذا كلّ ما أحمله».

أخذ المتشـرّد الورقتين النقديّتين بسـرعة وقال: «شكراً لك، سيكفي هذا لشراء علبة واحدة، هل تعلم أنّ ثمن زجاجة الفودكا وصل إلى ألفي كرونة هذه الأيّام؟ أعتقد أنّ من يدير هذه البلاد فقد عقله، فقده تماماً».

«البرك هناك ليست عميقة جدّاً».

سـعل فيلهيلم وهو يضع يديه المتقفّزتين على فمه: «عميقة بما يكفي».

«لكن عليك أن تكون مصمّماً على الغرق حينها».

«لا يمكنني قول ذلك».

تابـع أرلنـدور: «أو ثمـلاً، فقد وجدوا كمّية كحول كبيرة في دمه».

«أوه هانيبال كان قادراً على الشرب فعلاً».

«هل تتذكّر مع من كان يقضي أوقاته قبل أن يتوفّى؟».

أجابه فيلهيلم: «ليس معي، فبالكاد كنت أعرفه، لكنّني رأيته عدّة مرّات في مستشفى الحِمى، في الواقع كان ذلك آخر مكان رأيته فيه، فقد كان يسعى إلى الحصول على سرير، لكنّهم لم يسمحوا له بالبقاء في المستشفى بحجّة أنّه ثمل».

لم يضف فيلهيلم أيّ معلومات أخرى، وقال إنّه يخطّط لقضاء ليلة واحدة إضافية على الأقلّ قرب الأنابيب، ثم سيفكّر في البحث عن مكان آخر، فحاول أرلندور ثنيه عن ذلك، سائلاً إيّاه إن كان هذا فعلاً خياره الوحيد، فطلب منه فيلهيلم أن يغرب عن وجهه عندما شعر بمحاولة تدخّله بشؤونه، فغادر أرلندور وهو يسمع صوت سعال الرجل وهو يزحف داخل الأنبوب، وتابع طريقه غرباً في الليل الذي كان بارداً بالنسبة إلى أوسكجيلد، وبعد أن خرج من البلدة أكمل طريقه إلى منزله في هليدار.

لا شكّ في أنّ هانيبال تجاوز الحدّ المسموح له باحتساء الكحول في الملجأ عدّة مرّات، ولربما كان ذلك السبب في اتّخاذه الأنابيب ملجأً له، ففي النهاية هو منبوذ، ومتحرّر من جميع القيود، ولا يسمح لأحد بالتدخّل في حياته، كما أنّه منعزل عن المجتمع.

6

كان أرلنـدور ومارتـن وغاردر قد تسلّموا قبـل نهاية وردية عملهم مهمّة إيصال سجين إلى زنزانته في سجن ليتلاهرون بعد أن هـرب منـه، وكان ذلك السـجين يقضي فتـرة عقوبته، ومدّتها سنتان ونصف، بعد أن أُدين بتهمة تهريب المخدّرات، وقد شعر قبـل يوميـن بالرغبـة في الذهاب إلى المدينة، فهرب من السـجن من دون بذل أيّ جهد يذكر، وكان معروفاً من شرطة المخدّرات وتهريب الكحول بالإضافة إلى الشـرطة المسـؤولة عن السرقات والتزوير، فقد امتلك كلّ تلك المهارات قبل أن يتجاوز الخامسة والعشـرين ربيعاً، وكان قد أمضى سـابقاً عدّة أشـهر في السـجن وهو لا يزال في عمر العشرين لارتكابه سلسلة من السرقات.

بعد ذلك قُبض عليه في مطار كيلفاك مُنتشياً وبحوزته كمّية كبيرة من القنب الهندي، حيث تبيّن أنّه أمضى في أمستردام أربعة أيّام، فوضعته شرطة الجمارك على لائحة المراقبة، ولأنّهم كانوا سيمسكون بذلك الهيبي في جميع الأحوال، لم يتكبّد عناء إخفاء حمولتـه جيّـداً، فوجـدوا البضاعة ملفوفة داخل بنطال جينز قديم وموضوعة داخل حقيبة رياضية جديدة.

بعد هروبه الأخير، سلّم نفسه إلى مركز شرطة هيفرفيسغاتا، والآن يرافقـه أرلنـدور وزميـلاه إلـى داخـل السـيّارة، وكان هـذا

الشـابّ من النوع الثرثار، ولابدّ أنّه قد حصل شـيء مهمّ قبل أن يسلّم نفسه للشرطة.

سـأله مارتـن وهـم يتوجّهـون إلـى خـارج المدينـة: «لمـاذا هربت؟».

«كان عيـد ميـلاد أمّـي، وقـد بلغـت تلـك الفتـاة الكبيـرة الخمسين».

سأله غاردر: «هل كان حدثاً مهمّاً؟».

«أجل، كانت حفلة كبيرة يا رجل، فيها الكثير من الشراب».

سأل غاردر: «هل كانت سعيدة برؤيتك؟».

كانت الشرطة تراقب منزل والدته لكنّها لم تلحظه.

«كادت تطير فرحاً».

«ألم يكن من الصعب عليك الانسلال من السجن إلى الخارج؟».

«من سجن ليتلاهرون؟ لا، كان أشبه بالتمشّي في الخارج».

«أتعرف أنّهم سيمدّدون مدّة سجنك».

«لا يهمّني الأمر، الوضع ليس سيّئاً جدّاً في الداخل، عيد مولد والدتي كان مهمّاً بالنسبة إليّ، يا رجل، ومن المستحيل أن أفوّته».

قال مارتن: «لا، بالطبع لا».

عبـرت العربـة بصعوبة فوق هيليشـيدي، وفـي داخلها ثرثر السـجين طـوال طريـق العـودة إلـى زنزانته، فتحدّث عـن الحياة فـي السـجن والسـجناء الآخرين، وعن فريق كـرة القدم المحلّي والموسـم السـيّئ الـذي مـرّ به، وعن فريق كـرة القدم الإنكليزي المفضّل لديه والذي مرّ بدوره بموسم سيّئ، وتحدّث أيضاً عن

الفيلم الفاشل الذي شاهده على شاشة التلفاز عندما كان مختبئاً، وعـن المقهـى الذي زاره في أمسـتردام، وطعام السـجن الكريه، ومطعم اللحوم في أمستردام، فلم يوفّر شيئاً لم يتكلّم عنه.

كانوا قد ضاقوا ذرعاً به عندما وصلوا إلى سجن ليتلاهرون، وفي طريق عودتهم إلى المدينة وصلهم إشعار بأنّ فتاة مفقودة، كانت قد تركت منزلها في ريكيافيك منذ ثلاثة أيّام، ولم يسـمع أحد عنها شيئاً منذ ذلك الحين. كانت في التاسعة عشرة، وعندما شوهدت آخر مرّة كانت ترتدي بنطال جينز وسترة زهرية ومعطفاً مموّهاً، وتنتعل حذاءً رياضياً.

سـأل مارتـن: «هـل تتذكّـر فـي السـنة الماضية الفتـى الذي استيقظ يوماً في الجهة الأخرى من البلاد في أكوريري؟ كان قد خرج للسـهر في ريكيافيك من دون أن يخبر أحداً، فاتّصل أهله بالشرطة عندما لم يسمعوا شيئاً عنه خلال أربعة أيّام، كانت عائلته مذعورة وخائفة، بينما كان الفتى أمام كشك لبيع الصحف حين رأى صورته في الصحيفة».

سـأل غـاردر: «مـاذا عـن المـرأة التـي خرجت للشـرب في ثورسـكافي؟ لـم يعثـروا عليهـا أبداً، ولـم يحـدث ذلك منذ زمن طويل».

سـأل مارتـن: « كانت مع أصدقائهـا أليس كذلك؟ ولم تعد إلى المنزل».

«هذا صحيح، كانت ستعود إلى منزلها مشياً على الأقدام».

«أتساءل ماذا حدث لها».

«لا شكّ في أنّها ألقت بنفسها في البحر».

سأل مارتن: «هيه أرلندور، ألم يكن ذلك في الفترة نفسها التي غرق فيها متشرّدك؟».

لم يسمع أرلندور بتلك الجملة من قبل، على الرغم من أنّه كان قد أخبرهما بمحادثاته مع هانيبال وعدم اكتراث شرطة التحقيق للجريمة: «متشرّدي؟ نعم كان ذلك في الفترة نفسها».

كانت الورديّة على وشك الانتهاء، وكلّ ما عليهم فعله هو الالتفاف بالسيّارة والعودة إلى المنزل حين أتاهم إشعار بحصول سرقة في فوغار.

سأل غاردر غاضباً: «اللعنة، هل علينا الاستجابة؟».

كانوا الأقرب إلى مكان السرقة، فالتفّ أرلندور حول الطريق الرئيسي إلى الشوارع السكنية، ولاحظوا شخصاً يلوذ بالفرار مع اقترابهم من المنزل المنشود، فتوقّف الرجل لجزء من الثانية عند رؤيته سيّارة الشرطة، ثم اقتحم حديقة المنزل المجاور، فركن أرلندور السيّارة بعنف، وانطلق غاردر يليه مارتن يلحقان بالسارق، وبعد دقائق، أمسكا بالرجل وثبّتاه على الأرض ثم دفعا به إلى السيّارة.

فوجدوا معه ساعةً وبعض المجوهرات، وكانوا قد لاحظوا أنّه ألقى شيئاً كبيراً عندما لمحهم خلفه، فذهب أرلندور ليتحرّى الغرض الذي ألقاه على الأرض في حين أكمل مارتن وغاردر مطاردته قبل أن يلقيا القبض عليه، فاكتشفوا لاحقاً أنّه تمكّن من سرقة طقم الفوندو الزجاجي الخاصّ بالعائلة.

7

كان أرلنـدور ملمّـاً بشـكل كبيـر بالمعلومات حـول اختفاء المرأة في ثورسكافي عند حصول الحادث، كون قصص اختفاء النـاس تثيـر فضـولاً خاصّاً بالنسبة إليـه، فكان يقـرأ تقارير تلك الأخبـار بـكلّ مـا فيها من معلومـات ويحلّلها بعمق، من صائدي طيـور الترميجـان الذيـن فشـلوا بالنـزول من الجبال فـي الوقت المحدّد بسبب معدّاتهم غير الكافية، إلى الرحّالة الذين لم يُسمع عنهـم طيلـة أيّـام، أو حتّـى صغار السـنّ مثل تلك الفتاة بسـترتها الزهرية التي هربت من المنزل.

فـي النهايـة، عثـروا علـى غالبيّتهـم سـواء أكانـوا أحياء أو أمواتاً، لكن اختفى أثر بعضهم تماماً على الرغم من كلّ جهود فريق الإنقاذ الذي يستمرّ أيّاماً وهو يمشّط المناطق البعيدة، وقد خلّفت هذه الحوادث وراءها تساؤلات كثيرة لم يعثر على أجوبة لها.

بعد انضمام أرلندور إلى الشرطة بفترة قصيرة بدأ يغوص في أرشـيف هذه القضايا، وبحث فيها كلّها، قديمها وجديدها، تلك التي حدثت في ريكيافيك أو المناطق المحيطة بها، حتّى إنّه شرع لسنوات في مطالعة قصص المسافرين الذين ضاعوا أو نجوا من المحن المختلفة في طرق البلاد الجبلية ومستنقعاتها، ولم تكن

كلّ تلك الأبحاث سوى إشباع لفضوله حول هذه القضايا.

نادراً ما ارتبطت قضايا الاختفاء تلك بنشاط إجرامي، ولكنّ اهتمام أرلندور بها كان لمآربه الخاصّة أكثر من اهتمامه بعمله، فقضى ساعاتٍ وهو يتصفّح التقارير حول قضايا غير محلولة محاولاً الإلمام بكلّ جوانب وظروف الاختفاءات والجرائم غير المحلولة، رغم أنّ الأخيرة لم تكن تحمل الأهمّية نفسها بالنسبة إليه، ولكن لم يكن يخلو الأمر من بعض الاستثناءات، كقضية موت هانيبال على سبيل المثال، بالرغم من أنّه لا يزال غير متأكّدٍ من أنّ موته كان يدعو إلى الشكّ، ولكنّ الأمر الذي أثار اهتمامه في ذلك الوقت كان معرفته السابقة بالضحية.

أثارت قضية محدّدة انتباه أرلندور بشكل كبير، لدرجة أنّه انهمك في تفاصيلها، ووصل الأمر به إلى زيارة مكان حدوثها، في أحد الأيّام عام 1953، كان يفترض بطالبة في جامعة ريكيافيك تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، أن تلتقي بصديقاتها في مقهىً يرتاده غالباً طلّاب ليكغجارغاتا، في وسط المدينة. كانت قد حضرت الصديقات الأربع الصفّ نفسه في الجامعة، وأصبحن صديقات حميمات في بداية فصل الشتاء على الرغم من ارتيادهنّ مدارس مختلفة في السابق، فقضين الأوقات معاً وانضممن إلى مختلف النشاطات اللاصفية، وذات مرّة اتفقن على اللقاء من أجل التخطيط لقضاء ليلة تسلية ينظّمها صفهنّ، فحضرت ثلاث منهنّ فقط، ولم ينزعجن لغياب صديقتهنّ، إذ ظننّ أنّها مريضة، فهي لم تحضر إلى الصفّ ذلك الصباح أيضاً. ثمّ اتصلن

بمنزلها في أثناء وجودهنّ في المقهى للاطمئنان إلى صحّتها، وبعد أن أجابت الوالدة على المكالمة الهاتفية استغرقها استيعاب الموضوع عدّة دقائق، فقالت صديقة ابنتها: «نريد الاطمئنان إلى حالتها»، فاستغربت الوالدة كلامها لأنّ ابنتها لم تكن مريضة، وقد ذهبت إلى الجامعة كالمعتاد.

لطالما سلكت الفتاة الطريق نفسه إلى الجامعة، وكان يستغرق وصولها خمس عشرة دقيقة مشياً على الأقدام من منزلها الواقع غرب المدينة، حيث بُنيت أكواخ نيسن، عبر مخيم نوكس من قبل قوى الاحتلال الأميركية خلال الحرب، التي تحوّلت لاحقاً إلى بيوت رخيصة لعائلات ريكيافيك الفقيرة، وكانت تتوجّه من هناك شرقاً على طول هرينغبروت إلى فريكيركجوفيغور حيث جامعتها. وفي بعض الأيّام، كانت تستقلّ الحافلة، ولكن السائق لم يلحظها بين الركّاب ذلك الصباح، حيث كان عدد الركّاب محدوداً وهم نفسهم يستقلّون الحافلة كلّ صباح، وادّعى أنّه يعرف الفتاة بالشكل فقط. وقد ترك ذلك احتمالين، فإمّا أنّها ذهبت مشياً على الأقدام أو أوصلها إلى جامعتها أحد تعرفه، ولم يكن ذلك ليكون المرّة الأولى، فلا يمكن استبعاد هذا الاحتمال على الرغم من أنّ الفتاة لم تُعرف بأنّها من النوع الذي يقبل أن يوصلها الغرباء، ولا يمكن في الوقت نفسه تأكيده لأنّه لم يتقدّم أيّ شخص ليبلّغ أنّه أوصلها بسيّارته.

من الممكن أنّها لم تخطّط للذهاب إلى الجامعة في ذلك اليوم، والتقت بطريق الصدفة بشخص سيّئ مجهول، وربما

صمّمت عوضاً عن ذلك على الانتحار بطريقة لا يُعثر فيها على جثّتها، فلم يكن لديها حبيب على حدّ علم أهلها، كما لم تكن لها علاقة بأيّ أحد ولا تقوم بلقاءات لا يعلم بأمرها أهلها، فقد كانت صادقة وصريحة وتطلع أهلها على كلّ خطوة تقوم بها وعلى مكان تواجدها. هل انتحرت؟ ولكن لم يكن هناك من دليل على وجود مشاكل شخصية تدفعها إلى الاختفاء، بل على العكس، كانت شخصاً اجتماعياً ويحظى بالشعبية بين الناس، ولكنّها، من جهة ثانية، اختفت في أحلك أشهر الشتاء، ويمكن لذلك الشتاء القاسي أن يؤثّر كثيراً على الصحّة العقلية للناس، لذا لا يمكن استبعاد فكرة الانتحار أيضاً، فقد أوحت حقيقة اختفاء الجثّة إلى أنّ البحر ابتلعها.

تعقّب أرلندور الطريق الذي اتّبعته الفتاة إلى الجامعة سيراً على الاقدام، على الرغم من أنّ المنطقة تغيّرت كثيراً خلال السنوات المنصرمة، حيث اختفت أكواخ نيسين، وعلت أبنية جديدة مكانها، وركب الحافلة في بعض المرّات إلى فريكيركجوفيغور، ووقف أحياناً أمام ذلك المنزل القديم غرب البلدة، فقد كانت الفتاة وحيدة والديها، ورأى الحديقة حيث كانت تلعب، والأبواب التي مرّت عبرها، ووقف هناك لمدّة قصيرة، ليس أكثر من دقيقة أو دقيقتين، لكنّ ذلك كان كافياً لتمتصّ عيناه الحزن المخيّم على المكان.

لاقى مصير امرأة ثورسكافي اللغز نفسه، وأقرّ جميع أصدقائها بشكوكهم حول معاناتها من الاكتئاب وأنّها لم تكن سعيدة في

زواجها، مع أنّها لم تُسرِ لأيّ أحدٍ عن همومها. وقد أنكر زوجها هذه الادّعاءات، ولكنّه اعترف بتقلّبات مزاجها وضعف معنوياتها أحياناً. وكان قد أبلغ عن اختفاء زوجته صباح الاثنين وحتّى تلك اللحظة لم يكن قد سمع شيئاً عنها منذ خروجها مساء السبت مع أصدقائها في شركة العقارات حيث تعمل، وعندما لم تعد إلى المنزل في اليوم التالي اتّصل سائلاً زملاءها عنها، ولكن لم يعرف أحد مكانها، كما كانت ذاكرة معظمهم مشوّشة حول كيفية انتهاء تلك الليلة.

خرجوا لتناول العشاء احتفالاً بالسنوية الخامسة لإنشاء الشركة، ولم يُدعَ الأزواج، فسمح الجميع لأنفسهم بالاسترخاء في غياب شركائهم، وشربوا كمّيات كبيرة من الكحول، وبقوا في المطعم حتّى وقت متأخّر من الليل، إلى أن اقترح أحدهم أن يذهبوا إلى ملهىً ليلي مزدحم يدعى ثورسكافي، حيث كانت تعزف فرقة موسيقية مشهورة، فتفرّقت المجموعة حالما وصلوا إلى هناك، منهم من عاد إلى المنزل، ومنهم من ذهب ليلتقي بأصدقاء آخرين، ولم يلحظ أحد متى أو مع من غادرت تلك المرأة، وكان آخر شخص تكلّمت معه هو أكبر موظّف في الشركة، وهو موظّف الاستقبال في الخمسينات من عمره، كان قد عرض عليها مشاركة سيّارة أجرة، لكنّها رفضت بلطف، موضحة أنّها ترغب في البقاء قليلاً، وبعد ذلك ستعود سيراً على الأقدام إلى منزلها إذ سيفيدها ذلك في تصفية ذهنها. كانت تسكن في الحيّ الجديد في النهاية الغربية لوادي فوسفوغر، لكنّها قالت

إنّها لا تمانع أن تجتاز هذه المسافة سيراً على الأقدام.

لاحقاً، لم يستطع أحد من زبائن ثورسكافي أن يتذكّر الكثير عن المرأة المفقودة عندما استجوبتهم الشرطة، أمّا زملاؤها فقد رأوها تتكّلم مع عدّة أشخاص آخرين، وقد قدّم اثنان منهم إفادتهما عندما كان البحث في أوجه، أحدهما كان صديقاً قديماً منذ أيّام الجامعة وقد حضر برفقة زوجته، وبدت شبه ثملة بالنسبة إليهما عندما كانوا يستذكرون الأيّام الماضية. والشاهد الآخر كان امرأة عرفتها في مرحلة المراهقة، وقد لاحظت أنّها تكلّمت مع رجل لم تتعرّف إليه ولم تستطع وصفه إلا بعبارات مبهمة بسبب الظلمة التي خيّمت على الملهى حينها.

لم يسفر البحث عن نتائج، وببساطة بدا الأمر وكأنّ المرأة تبخّرت، ولم يكشف التحقيق الثاني أيّ معلومات يمكن أن توضح مصيرها، عدا المعلومة التي أفادت أنّها خانت زوجها قبل ثلاث سنوات، وأنّ تشابه الظروف جعل زوجها يعتقد في البداية أنّها عادت إلى حيلها القديمة مجدّداً عندما غابت عن المنزل. مع أنّها أصرّت بعد الحادثة الأولى على أنها كانت المرّة الوحيدة التي لم تُخلص فيها لزوجها، وأنّها كانت فقط لحظة جنون خلال فترة عصيبة من زواجهما، ولم يكن لديها أيّ سبب للتشكيك في كلامها.

تشير إحدى النظريات إلى أنّها إمّا التقت بعشيقها القديم أو ذهبت مع رجل آخر إلى منزله، فقد حدث شيء جعلها تختفي من دون ترك أيّ أثر، لكن عندما استُجوب العشيق السابق أقسم

إنّه لم يرَها ذلك المساء، بينما لم يظهر الرجل الذي رأته صديقتها تتكلّم معه أبداً.

ولكـن عـدا ذلك، لم يروا سـبباً لاعتبار قضية اختفاء المرأة جريمة قتل، بل اعتبروا أنّ خيار الانتحار كان محتملاً أكثر.

في إحدى الليالي، لمع تفصيل صغير في رأس أرلندور وهو يقرأ الملفّ عندما لم يكن يرغب في العودة مباشـرة إلى المنزل بعـد انتهـاء دوريتـه، فقد ذكر اثنان من الذين استُجوبوا أنّ المرأة كانت مفتونة بالمجوهرات.

استيقظ أرلندور قلقاً من أن يكون قد غلبه النوم، فهو كان يأخـذ قيلولـة كمـا يفعل عـادةً قبل ذهابه إلـى العمل، وقف وبدأ يتجهّز لوردية ليلية أخرى، بعد أن ارتاح لاكتشـاف أنّه لم يتأخّر عن مناوبته المسائيّة. فقد استلقى هناك على سريره لوقت طويل ذاك المساء وهو يفكّر في الحقائق المعروفة حول قضية الفتاة من كلية الإناث والمرأة من ثورسكافي متسائلاً إذا كان شغفه بقصص كهذه قد دفعه إلى اتّخاذ قرار الانضمام إلى الشرطة.

8

كان مستشـفى الحِمى في ثينغولتسـتراتي أوّل مستشفى شُيّد فـي ريكيافيـك ولـه اختصـاص محدّد، وهو مبنى خشـبي جميل يتألّف من طابقين، يعود إلى القرن التاسع عشر، ولكنّه خدم غاية جديـدة فـي السـنوات الأربع الأخيرة، بتوفيره الملجأ لمتشـرّدي المدينة، إضافةً إلى تقديم وجبة ساخنة وأماكن استحمام، وسرير إن رغبـوا فـي قضـاء الليلة فيـه. ولكنّ قواعدهـم كانت صارمة، فكانـت الأبـواب تغلـق فـي سـاعة محـدّدة، وعلـى اللاجئين أن يغـادروا فـي وقـت محـدّدٍ صباحاً، لكنّ القاعـدة الأهمّ كانت أنّ عليهم ألّاأبرب يكونوا ثملين خلال إقامتهم.

تـراوح عـدد الرجـال الراغبين في الدخول إلى المستشـفى بين أشخاص شاكرين لأيّ نوع يمكن أن يتلقّوه من المساعدات بعد قضاء ليلة قاسية في الشوارع، والأشخاص الكثيري الجدال والثمليـن أو العدوانييـن الذيـن لم يقبل المستشـفى اسـتقبالهم، وقـد كان بعـض أفـراد تلك المجموعة في صحّة جيّدة، وآخرون صحّتهـم متدهـورة، لدرجـة أن الموظّفيـن اضطـرّوا إلـى نقلهم مباشرة إلى المستشفى.

توجّـه أرلنـدور إلـى هنـاك في إحدى الأمسـيات قبل ذهابه إلى العمل، فوجد أن إدارة المستشـفى كانت تمنع دخول رجل

يرتدي معطفاً شتوياً طويلاً، وقبعة صوفية على الرغم من حرارة الصيف، وكان يتجادل مع أحد الموظّفين حين أمسكه بذراعه وقاده إلى الخارج، فاعترض الرجل الثمل وقال إنّه ليس قادراً على أن يقضي ليلة أخرى في أكواخ نيسين، وقد لاح له بصيص من الأمل في إمكان إثارة شفقته.

قال الموظّف: «عدْ عندما تكون صاحياً، أنت تعرف القواعد يا صديقي، إنّها بسيطة جدّاً».

ثم أغلق الباب والتفت إلى أرلندور.

«أتبحث عن أحد؟».

«لا».

«أنت لا ترغب في البقاء هنا؟».

أوضحت نبرة الرجل أنّ أرلندور لم يبدُ شخصاً يبحث عن خدمات مستشفى الحِمى.

«هل لديكم الكثير من اللاجئين الآن؟».

«لا، خمسة أشخاص لكنّنا نتوقّع حضور المزيد منهم الليلة».

«هذا العدد ليس بكثير، أليس كذلك؟».

قال الرجل: «ليس كذلك، مقارنة بعيد الميلاد الماضي، فقد كان المكان يعجّ بهم، فقد احتوى حينها على ثلاثين رجلاً تقريباً، غالباً ما يكون عيد الميلاد الوقت الأكثر ازدحاماً».

« أنا أبحث عن معلومات تتعلّق برجل متشرّد توفّي فجأة العام الماضي، اسمه هانيبال، هل يذكّرك ذلك بأيّ شيء؟».

«هانيبال؟ أتقصد الرجل الذي غرق في كرينغوميري؟».

أومأ أرلندور إليه برأسه.

كان الموظّف في منتصف العمر، ممتلئ الجسد، ولحيته مشذّبة حول ذقنه: «أذكره جيّداً، كان يمرّ إلى هنا من وقت إلى آخر، أجل أذكر هانيبال جيّداً، إنّه رجلٌ غريب، هل كنت تعرفه؟».

أجاب أرلندور من دون توضيح: « كنّت أعرفه معرفة سطحيّة، هل أمضى الكثير من الليالي في هذا المكان، هل كان يمضي وقته فيه؟».

«كان يأتي إلى هنا في بعض الأحيان، واضطررت إلى رفض دخوله آخر مرّة، فقد كان ثملاً وأزعج الآخرين، اعتقد أنّه في نهاية المطاف أصبح ينام داخل أنابيب المياه الساخنة».

«هذا صحيح، والمكان ليس بعيداً عن كرينغوميري، المكان الذي عثر عليه فيه جثّة هامدة ».

«الرجل المسكين».

«إذاً هل كان صاحياً خلال فترة إقامته هنا؟».

«كان يجب عليه ذلك، فنحن لا نسمح لأيّ ثملٍ بالدخول».

«وهل تكلّمت إليه حينها؟».

«لا، لا أذكر ذلك، فقط أطلعته على القوانين كما أفعل دائماً».

سأله أرلندور: «أكان يتواصل مع أيّ من المتردّدين إلى هنا؟».

«لا يخطر على بالي أحد معيّن، لكنّه مجتمع صغير».

«مجتمع؟».

«أقصد سَكرى ريكيافيك».

«أجل، اعتقد أنّك مُحقّ، ومع ذلك فهم حتماً يتركون أثرهم في المدينة».

«ليس ذلك بجديد، فأغلبهم يعرفون بعضهم، لكنّني اعتقد أنّني أتذكّر شكواه من أنّ أحداً قد حاول إشعال النار حيث يقيم، هل ذلك صحيح؟».

«أجل اشتعل السرداب الذي كان يعيش فيه، واعتقد صاحب المكان أنّه هو من أشعل الحريق من دون قصد، أقال لك شيئاً غير ذلك؟».

«كان حانقاً جدّاً عليه بسبب الطريقة التي تعامل بها معه حسب ما أذكر، مازالت الحادثة في ذهني لأنّها كانت آخر مرّة أراه فيها، فقد كان يستشيط غضباً بسبب طرده من المكان، أيتطابق ذلك مع حقائق الحادثة؟».

«يبدو كذلك، فقد كان السرداب أشبه بمكبّ نفايات، لكنّه على الأقلّ وفّر له سقفاً فوق رأسه، هل ذكر من يلوم على إشعال الحريق؟».

«لا، تذمّر فقط من الأمر، وكان ثملاً جدّاً، ولم يُسمح له بالبقاء هنا، في مجال عملي أسمع الكثير من القصص الحزينة والأعذار الواهية، والكثير من الاعتراضات والاتّهامات، حتّى يصل بي الأمر إلى حدّ أن أتوقّف عن الاستماع».

غادر أرلندور مستشفى الحِمى بعد فترة قصيرة ليجد الرجل

الثمل لا يزال واقفاً في الشارع، وكان متّكئاً على سياج يسند إليه قدميه غير المتوازنتين، وحين رآه حيّاه.

«أنت منزعج أيضاً؟».

وقف أرلندور، وتمعّن بملامح الرجل ومعطفه الشتويّ الطويل وقبّعته، ويديه القذرتين، وقد خطّت التجاعيد حول عينيه خطوطاً متعرّجة، فبدا في الخمسينيات.

ذهب إليه أرلندور قائلاً: «لا، لست منزعجاً، ألم يقبلوا إدخالك؟».

ردّ الرجل: «يا لهم من أوغاد!».

«سيعطونك الطعام والمأوى إذا توقّفت عن الثمالة، فهم لا يستطيعون السماح للجميع بالتجوّل في الأرجاء ثملين، أليس كذلك؟».

رمقه الرجل بنظرة ازدراء، فبدا جلياً أنّ ذلك لا يستحقّ ردّه.

«أيمكنك أن تتذكّر رجلاً يُدعى هانيبال؟ اعتاد أن يأتي إلى هنا».

سأل الرجل بحدّة: « هانيبال؟».

«أجل».

«نعم، كنت أعرف هانيبال، ولمَ تسأل عنه؟».

«أنا..».

«لقد أُغرِق كالكلب».

«ماذا تعني؟».

«مـاذا أعنـي؟ أعنـي أنّ أحداً أخذه إلى هنـاك، وأغرق ذلك الأحمق البائس».

«لماذا تقول هذا؟».

«أنا أعرف ذلك فقط».

«هل رأيت الحادثة؟».

«لا، لم أرها، لكنّني رأيت العديد من الأشياء».

«ولم أنت متأكّدٌ؟».

«كيف استطاع أن يغرق في تلك الحفرة هاه؟ أخبرني أنت؟».

«إذاً أنت..».

«أنا؟ لا، لم يكن أنا من فعلها، ولا علاقة لي بالأمر».

«ماذا رأيت إذاً؟».

«هاه؟».

«قُلتَ إنّك رأيت العديد من الأشياء الأخرى، ماذا تعني؟».

كرّر الرجل: «أنا أرى الأشياء، وأعلم أشياء كثيرة أيضاً، ولا تظنّ أنّني شخص أحمق يا صديقي، دعني أخبرك شيئاً، أنا لست بأحمق».

«هل تعلم شيئاً عن هانيبال؟».

«أوه أتركني وشـأني، لم لا تسـأل ذلك الغبيّ بيرغموندور؟ كان يعـرف هانيبـال أكثـر منّي»، وأضاف منتقداً وكأنّه لم يشـرب قطرة كحول قطّ إلّا في المناسـبات: «قد رأيته في سـاحة المدينة البارحة وقد عاد إلى الشـرب مرّة أخرى، رغم أنّها ليسـت المرّة الأولى التي يقوم فيها بذلك».

لم يقدّم الزوجان اللذان كانا يعيشان فوق سرداب هانيبال أيّ معلومات مفيدة. وأخيراً عثر أرلندور عليهما في مكان رخيص استأجراه قُرب المسبح في لوغاردالور، وكانا قد خرجا من المنزل ليلة الحريق، ومع ذلك كانا واثقين من أنّ هانيبال هو المسؤول عنه، بالرغم من أنّهما لم يتكلّما عنه بأيّ سوء، على عكس ذلك فقد أبديا تعاطفهما مع حادثته.

وضّحت المرأة: «لم نكن نمانع بقاءه هناك»، كانت تدعى مالفريدور، وكان لديها وجه أحمر منتفخ، وأنف عريض مفلطح، وفم كبير يصعب عليها إغلاقه بسبب وجود صفّ من الأسنان البارزة، وبدا زوجها الواقف أمام الموقد رجلاً سكّيراً، يرتدي سترة قذرة ويضع حمّالتين تدلّتا من بنطاله وكانت قدماه حافيتين، كما كانت الشقّة قذرة وتعبق في المكان رائحة مقزّزة، لم يتمكّن أرلندور من تحديد مصدرها، لكنّ شكّ في أنّها قد تكون نفايات محروقة.

قال الرجل، وهو يسكب القهوة في الفناجين: «لقد أحببنا ذلك السكّير».

أضافت مالفريدور: «مؤسف ما حلّ به».

«هل كان لديه أيّ أعداء تعلمان بأمرهم؟».

ردّ الرجل: «لا، لكن الوضع قاسٍ في الشوارع، ألم يكن ذلك الأحمق ثملاً حين غرق؟».

سأل أرلندور: «أتصدّقان أنّه من افتعل الحريق؟».

أجابت مالفريدور فاغرة فمها: «أجل، أعتقد أنّه كان يتصرّف

بتهوّر في الفترة الأخيرة، أليس كذلك؟».

أشار زوجها: «لكنّه ألقى اللوم على الأخوين المقيمين في المنزل المجاور».

ردّت مالفريدور: «أجل، لكنّ هذا هراء، فلم يكن لديهما أيّ دافع للقيام بذلك».

سأل أرلندور: «هل لديكما أيّ فكرة عن سبب اتّهامه لهما؟ هل كان على عداءٍ معهما مثلاً؟».

أكّدت مالفريدور: «لا، لم يكن للأخوين علاقة بالأمر».

قال الزوج: «لم أكن أحبّهما، ولن أحبّهما أبداً».

«هذا أمرٌ مختلف».

سأله أرلندور: «ولمَ لم تكن تحبّهما؟».

«لم يبديا اهتماماً بأحد، على الرغم من كوننا جيراناً، وكانا منخرطين أيضاً في عمل مشبوه من نوعٍ ما، وإذا سألتني أعتقد أنّه بيع مشروبات روحية منزلية الصنع أو شيء من هذا القبيل، وكانا يعاملاننا باستعلاء كأنّهما أرفع شأناً منّا. ذهبت إليهما مرّة، وسألتهما إن كانا يستطيعان بيعي بعض المشروبات الروحية، وكنت ألاحظ تيّاراً مستمرّاً من الناس من مختلف الأشكال يدخلون ويخرجون إلى منزلهما في وقت متأخّر من الليل، فأنكرا امتلاكهما أيّ شيء من هذا القبيل، لكنّني كنت أعلم أنّهما يكذبان».

«هل كان هانيبال يعرف بهذا؟».

«ليس لديّ فكرة، لم نناقش الأمر أبداً، ثم بعدها توقّفت كلّ

الزيـارات، ولا أعلـم إن كان للأمـر علاقة بذهابي إلى هناك، لقد كان هذان الأخوان شخصين قذرين حقّاً».

قالت مالفريدور: «كانا يجلسان ملتصقين بشاشة التلفاز كلّ المساء».

«حقّاً؟».

قال الرجل: «أجل، كلّ ليلة، كنّا نستطيع رؤيتهما من شبّاكنا، لقد كانا مدمني تلفاز إذا سـألتني عن رأيي، إنهما مدمنان تماماً، وفي النهاية انتقلا من المنزل».

أضافـت المـرأة: «أجـل، حـدث ذلـك بعـد فترة مـن حادثة هانيبال، ولم نرهما بعدها منذ ذلك الوقت».

9

وقـف أرلنـدور عنـد تقاطـع غرينسـافيغور وميكلابراوت، منظّمـاً المـرور حـول مـكان تصـادم ثـلاث سـيّارات، كانت قد استُدعيت سـيّارتا شـرطة وسـيّارتا إسـعاف، إضافة إلى سـيّارة إطفاء لإنقاذ سـائق مصاب بجروح بليغة. فقد اصطدمت سـيّارة بأخـرى أصغـر منهـا، دافعة إيّاها أمام إشـارة مـرور حمراء وإلى مربّـع التقاطـع، حيـث اصطدمـت شـاحنة ضخمة بهـا، وكانت الشـاحنة تسـير بسـرعة كبيرة، ممّا أدّى إلى اندفاع السـيّارة بقوّة إلى غرينسـافيغور وانقلابها، كما دفع الاصطدام سـائق الشاحنة إلـى الخـارج مـن الزجاج الأمامـيّ وبقي حتّـى الآن ملقى على الأرض مضرّجـاً بدمائـه، ولا يـزال سـائق السـيّارة التـي انقلبت محاصـراً خلـف المقـود، فـي حين جلـس الرجل الذي تسـبّب بالحادث في إحدى سيّارات الشرطة، وكان مشتبهاً به في قيادة السـيّارة تحـت تأثيـر الكحول، وكان ينـزف نتيجة إصابته بجرح طفيف في رأسـه، ولم تكن زوجته –قال غاردر إنّها بدت سـيّدة محترمة– أفضل حالاً منه، وقد أدّت محاولاته منعها من الابتعاد عن مكان الحادث إلى مشاجرة حادّة مع غاردر، بينما كان الدم يقطـر مـن جبينها إلى معطفها المصنوع من فرو المينك، وكانت تتمايـل قليـلاً بكعـب حذائها العالي، لكنّه فـي النهاية تمكّن من

إقناعها بمرافقته إلى حيث كان يجلس زوجها في سيّارة الشرطة حانياً كتفيه.

كانت ذلك يوم الجمعة، وقد تجاوزت الساعة منتصف الليل بقليل، ومع ذلك لا يزال هناك قدر لا بأس به من الزحام على الطرق الرئيسية للمدينة، ولم يشكّل موقع أرلندور في وسط المفترق المزدحم خطراً مباشراً على حياته، لكنّ عنصر المفاجأة يظلّ موجوداً في مثل هذه الساعة، كان عملهم الأوّل في تلك الليلة أن يوقفوا سائقاً ثملاً في سكولاغاتا بعد أن لاحظوه يغيّر طريقه بسرعة كبيرة، وقد أصرّ الرجل على أنّه كان صاحياً على الرغم من كونه غير متوازنٍ أبداً، وعندما ساعدوه في الخروج من السّيارة، فقد وعيه قبل أن يُجري فحص الدم.

قُطِرت السيّارات الثلاث المحطّمة بعيداً عن المكان، واستطاعوا أن يفتحوا الطريق حالما غادرت سيّارات الإسعاف والإطفاء، ولكن عندما همّوا بالمغادرة وصلهم بلاغ عن شجار في رودول في نواتون، مفاده أنّ رجلاً ثملاً هاجم ساقي ملهى، ثم بدأ يرهب الزبائن الآخرين قبل أن يسيطر عليه حارسان ويتّصلا بالشرطة.

وجدوا صفّاً طويلاً من الناس عند وصولهم إلى الملهى، وبينما كانوا يشقوّن طريقهم بين الحشد إلى داخل الملهى ناداهم أحدهم قائلاً: «رداء جميل، أليس كذلك؟»، استقبلهم البوّاب وقادهم إلى المطبخ حيث كان الرجل الذي أثار الشغب مستلقياً ووجهه إلى الأرض، وقد قيّده رجلان ضخما الجثّة، بينما تجمّع

الموظّفون الآخرون حولهم.

صاح الرجل: «سأقتلكما، سأقتلكما أيّها الخنزيران الحقيران».

شرح الحارس الرئيسي ما حدث، فقد رفض الرجل دفع ثمن المشروبات، ثم جنّ جنونه، حيث ضرب الساقي بكأس مكسورة على وجهه، فنزف كثيراً قبل أن يسعفوه إلى المستشفى، وقد تعرّف الحارسان إلى المجرم الذي كان زبوناً يأتي من وقت إلى آخر وهو معروف بسلوكه الشنيع، وقد طردوه خارجاً عدّة مرّات حيث كانت الزبونات دائمات الشكوى منه، ولكن لا أحد كان يعرف اسمه.

قال رئيس البوّابين: «إنّه واحد من أولئك الحمقى الذين يأتون إلى هنا ويتصرّفون وكأنّهم يملكون المكان، وسيكون من الجيّد التخلّص من هذا الوغد، وسنمنعه من الدخول إلى هنا منذ هذه اللحظة».

كبّل مارتن معصمي الرجل بالأصفاد، ورفعه ليقف على قدميه بمساعدة أرلندور، وكان قد جعله استلقاؤه على أرضية المطبخ أكثر عدائية، فقال صارخاً: «سأقاضي هذين الوغدين، هما من هاجماني، وجرّاني إلى هنا ثم ألقيا بي أرضاً، سأقاضيهما».

قال لهم الحارس: «لا أعلم إن كانت عين ساقي الملهى كيدي ستشفى، وسيرغب في التأكيد برفع دعوى ضدّ هذا الأحمق».

رافقوا الرجل إلى الخارج وساروا بين الحشد وقد انهال

عليهم الجميع بالشتائم حتّى وصولهم إلى سيّارة الشرطة. وحاول عدّة أشخاص من الواقفين بين الحشود أن ينتقدوهم، متمتمين بعبارات مهينة تشير إلى غباء الشرطة وظلمها، لكنّهم لم يعيروهم أدنى اهتمام، إذ كانوا معتادين على هذا النوع من الشتائم.

أخذوا بعدها استراحة لشرب القهوة في مركز الشرطة، فكانت المناوبة كغيرها من المناوبات المسائية حتّى الآن، فقد كانت حوادث السيّارات والسائقين الثملين وشجارات الحانات جزءاً من عملهم، تماماً مثل الإهانات التي تلقوها من أولئك المتفرّجين.

كان أرلندور منزعجاً من تمضية غاردر ومارتن معظم ليلتهما يتجادلان بشأن فرقة الروك البريطانية سليد، بعد أن سمعا في نشرة الأخبار أنّ الفرقة ستؤدّي عرضاً حيّاً في قاعة حفلات لوغارداتشول هذا الخريف، وكان غاردر متلهّفاً للحصول على تذاكر.

كانت فرقة بروكول هاروم–إحدى فرق مارتن المفضّلة– وقد أحيت حفلة في بداية الصيف في مسرح الجامعة، وقد حضر أوّل ثلاث حفلات للفرقة وأبهره أداؤها، وكان يهمهم أغنية (اي وايتر شيد أوف بيل) من دون انقطاع منذ ذلك الوقت، ولم يُلقِ صديقاه بالاً لحماسته، لذا عندما بدأ غاردر بالتحدّث عن فرقة سليد، استغلّ مارتن الفرصة لانتقاده بشدّة.

قال غاردر وهو يقضم قضمة من قطعة دونات: «سليد هي

أروع فرقة في الوقت الحالي بالتأكيد».

سخر منه مارتن وقال: «موسيقى (غلام) تشبه القمامة، صدّقني لن يستمرّوا طويلاً، ولن تتذكّر اسمهم حتى بعد عدّة سنوات. لم لا تستمع إلى بروكول هاروم أو أيّ فرقة ذات موسيقى جيّدة مثل (ذا ستونز)، فهم فرقة حقيقية، وأراهن أنّهم سيكونون رائعين حتّى عندما يصبحون في الخمسينات».

«لا، فرقة سليد هي الأروع، يا رجل».

سألهما أرلندور فجأة متذكّراً خبراً قرأه في الصحيفة: «ألا تفعل فرقة بيليكان الشيء نفسه؟».

أجابه مارتن: «بالطبع، فهم أروع بكثير، أغنيتهم (جيني دارلنغ) عبقرية حقّاً».

أنهوا ورديّتهم قرب المرفأ، الذي لا يبعد كثيراً عن الدعامة التي وقع رجل عنها في البحر، وكان قد أُنقذه في الوقت المناسب شخص كان يمرّ في الجوار، حيث قفز لنجدته ما إن رآه يتخبّط في مياه البحر قبل أن يصل المسعفون وينقلوه إلى المستشفى، وجلس بعدها في سيّارة الشرطة مبلّلاً بالماء وملفوفاً بعدّة بطّانيات، غير آبه بحالته، وقد استطاع أن يدلي بتفاصيل الحادث، مُبدياً قلقه على الرجل أكثر من قلقه على نفسه.

سأل: «ماذا سيحدث له؟».

أجابه أرلندور: «أعتقد أنّه سيُرسل إلى المنزل بعد أن يخضع للفحوصات اللازمة».

«إنّه في حال سيّئة».

«لا تقلق، سنهتمّ بأمره».

«لا، أعني حالته العقلية، عليكم أن تراقبوه».

«ماذا تعني؟».

«هو لم يقع».

«نعم؟».

«لا، لمَ يكن الأمر كذلك، فقد فعلها عن قصد، لقد قفز بإرادته».

«هل أنت متأكد؟».

«طبعاً، كان يدفعني عنه طوال الوقت، ويرجوني أن أدعه يغرق وأتركه يموت».

مكتبة
t.me/t_pdf

10

لم يذكر هانيبال خلال لقاءاتهم النادرة شيئاً عن أي أقارب له، وعندما بدأ أرلندور يسأل في الأرجاء عن ذلك المتشرّد علِم أنّه لم يعتد على التكلّم عن عائلته أو عن حياته السابقة، وإن حاول أحد أن يستدرجه إلى الكلام كان يستشيط غضباً ويتّهمه بالتدخّل في شؤونه الخاصّة.

اكتشف أرلندور بطريقة ما أنّ لهانيبال أختاً متزوّجة ولديها ثلاثة أولاد، وكانت قد عادت إلى العمل بصفتها موظّفة استقبال في عيادة طبيب في ريكيافيك بعد أن انتقل أولادها من المنزل، وكان لديه أيضاً أخٌ متزوّج وليس لديه أولاد، ويعمل مقاول بناء شمال أكيري. وممّا عرفه أرلندور فقد كانا مواطنين متّزنين، وفي الواقع كان الأخ عضواً في مجموعة محلّية لمكافحة شرب الكحول، ربما محاولةً منه للتعويض عن نمط حياة هانيبال.

قرّر أرلندور بعد بعض التفكير أن يحاول معرفة المزيد عن خلفيّة هانيبال عن طريق أخته، فاتّصل بالعيادة التي تعمل فيها، وعندما أجابت عرّف عن نفسه كأحد معارف هانيبال، ثم سألها إن كان في إمكانه التكلّم معها قليلاً.

كان يستطيع سماع الهاتف يرنّ أمامها والضجيج يملأ المكان، ما دلّ على شدّة انشغالها وكثرة الزبائن المنتظرين في

غرفة الاستقبال، عندما سألته: «حول ماذا تريد التكلّم؟».

«حول أخيك هانيبال».

«وماذا عنه؟».

«أنا...».

سألته بنبرة تذمّر: «لماذا تريد التكلّم بشأنه؟ ولمَ تسألني عن هانيبال؟».

«كنت أعرفه قليلاً، ربما سأتمكّن من التوضيح بشكل أفضل إذا وافقت على أن تقابليني لبعض الوقت».

«لا، أتعرف ماذا، ليس لديّ الوقت».

«سأكون ممتناً إذا...».

«أنظر، أنا حقّاً لا أمتلك الوقت لهذا الحديث، وعليّ أن أردّ على مكالمات أخرى».

«لكن...».

«أعتذر منك، لكن عليّ إنهاء المكالمة الآن، شكراً لك، وإلى اللقاء».

ثم أنهت المكالمة.

تفاجأ أرلندور من ردّ فعلها، ولكن بالنظر إلى تاريخ أخيها، فهو يعتقد أنها ظنّته أحد أصدقائه المتشرّدين، ولن ترغب بالتأكيد في أن يكون لها علاقة بهم، ربما كان عليه أن يكون دقيقاً أكثر في كلامه، ويعرّف بنفسه، موضّحاً طبيعة عمله، وأن يصرّ عليها حتّى توافق على مقابلته، عندها سيتّضح لها طبيعة علاقته بهانيبال، ولم كان لديه تلك الحاجة الملحّة إلى التعرّف إلى ماضيه.

لماذا كان مهتماً بمصير متشرّد لم يلتقِ به سوى عدّة مرّات؟ هل يمكن أن يكون السبب في أنّه هو من سحبه من الماء أو لأنّه كان أوّل شخص وصل إلى موقع الحادثة، فانحفرت تلك الصورة في ذهنه؟ لقد أصابته الدهشة حين ظهر أمامه وجهه الخالي من الحياة والشاحب اللون، بالرغم من أنّ الأمر يجب أن لا يشكّل صدمة بالنسبة إليه، فقد كان موت هانيبال متوقّع الحدوث عاجلاً أم آجلاً، حيث كانت صحّته متدهورة نتيجة ظروف حياته القاسية ومستوى عيشه المتدنّي، حيث يعاني من ضيق وبؤس شديدين طوال سنوات، ولم تكن حالته العقلية أفضل حالاً، فقد تكلّم عندما رآه آخر مرّة في مركز الشرطة عن يأسه من الحياة، وكيف أنّه يتمنّى لو يمتلك الشجاعة لإنهاء كلّ شيء.

أكان شعوره بالذنب هو الذي يدفع أرلندور إلى أن يبحث عن كلّ ما يمكن معرفته عن هذا الرجل؟ هل كان في مقدوره أن يفعل المزيد من أجله رغم رفض هانيبال أيّ نوع من العون أو التعاطف؟ لم يكن أحد يهتمّ بموت متشرّد، فما بالك إن كان متشرّداً يبدو أصلاً في أيّامه الأخيرة، فهذا لن يعني إلّا أنّ عددهم سينقص واحداً من الشوارع. لم يتساءل أيّ إنسان عمّا حدث لذلك الرجل الذي غرق ككلب ضالّ، حتّى ذلك المتشرّد الذي التقى به عند باب مستشفى الحِمى لم يعره بالاً، رغم أنّه بدا متأكّداً من أنّ موت هانيبال لم يكن محض صدفة.

أيمكن أنّه حرّك مشاعره حين غضب متّهماً أرلندور بالتدخّل في حياته وإصراره على معرفة سبب ذلك؟

أياً يكن السبب، فقد كان هناك شيء بشأن قصّته الحزينة استحوذ على تفكير أرلندور، ليس فقط المصير الذي حلّ به، بل أيضاً إصراره الكبير على عزل نفسه عن بقية المجتمع، من أين أتت هذه الرغبة؟ ما الذي سبّبها؟ كان أرلندور متعاطفاً مع معاناته ووحدته، ومع ذلك كان هناك عامل آخر يتعلّق بشخصيّته أثار اهتمامه، كالطريقة التي عزل نفسه بها عن مظاهر الحياة كافّة، فظلّ وحيداً وبعيداً عن الجميع من دون أن يتلقّى أيّ مساعدة. أوصلته قدماه إلى مبنى العيادة وهو لايزال شارداً في أحلام يقظته، فكانت غرفة الانتظار خالية إلّا من امرأة في الأربعين من عمرها منهمكة في ترتيب المكان وقد شارف دوامها على الانتهاء دوامها وحان وقت إغلاق العيادة. كانت شقراء، وترتدي سترة حمراء وتنّورة ضيّقة، في حين التفّ حول عنقها عقد جميل من اللؤلؤ.

سألها: «ربيكا؟».

رفعت رأسها مجيبة: «أجل؟».

«أعتذر عن الإزعاج، لكنّني اتّصلت في وقت سابق...».

«هل لديك موعد؟».

«لا، أُدعى أرلندور و...».

قاطعته قائلة: «لقد انتهى دوام العمل، لكن يمكنني حجز موعد لك إذا أردت، من هو طبيبك؟».

«لست هنا لرؤية طبيب، اتّصلت سابقاً بشأن أخيك هانيبال».

«أوه»، تردّدت المرأة للحظة قبل أن تكمل ترتيب المكان.

«أعتذر عن كوني مُلحّاً، فأنا-كما ذكرت عبر الهاتف- كنت

علـى معرفـة بأخيـك، وأردت التأكّد من منحي بعض الوقت كي نتحدّث».

سألت بصوت منخفض: «هل كنت أحد أصدقائه المتشرّدين في الشوارع؟».

أجـاب أرلنـدور: «لا لا، أبـداً، لـم أكـن يومـاً منهـم، أنا من الشرطة وقد التقيت به عدّة مرّات، واهتممت به خلالها، وهكذا عرفته».

«أنت من الشرطة؟».

«أجل».

«إن كنـت لا تمانـع، أفضّـل ألّا أناقـش في موضوعه معك، كانت حادثة مؤلمة، لكنّها انتهت الآن وهو ميت، ولا أرغب في أن أخوض فيها مجدّداً مع شخص غريب».

قال أرلندور: «أتفهّم موقفك تماماً، كان ذلك انطباعي أيضاً حيـن تحدّثنـا عبـر الهاتف، لكنّني أردت التأكّـد فقط. إنّ نواياي حسـنة إذا كان ذلك ما يقلقك، كنت أرغب حقّاً في التعرّف إليه بشكل أفضل لكنّه توفّي فجأة. حتّى إنّني كنت أوّل الواصلين إلى مكان غرقه، وأنا من سحب جثّته من الماء، ربما لهذا لا أستطيع أن أخرجه من ذهني».

أطفـأت المـرأة آلـة كتابـة ضخمـة، وخرجت مـن المكتب وأغلقـت البـاب خلفهـا وخلـف أرلنـدور، ثم مشـت معـه حتّى الرصيف.

وقالت له قبل أن تغادر: «لم يكن هانيبال شخصاً سيّئاً».

«لا لم يكن كذلك، أعلم ذلك».

تقع العيادة في ليكجارغاتا، وسط ريكيافيك حيث كان الزحام خانقاً ويضجّ بأبواق السيارات، والناس المستعجلين وهم في طريقهم إلى المتاجر أو المقاهي، أو إلى منازلهم للاسترخاء بعد العمل الشاقّ.

سألها أرلندور: «هل يمكنك التفكير في أحد كان يرغب في أذيّته؟».

«لم تكن تعرفه جيّداً، أليس كذلك؟».

«لا، مع الأسف أنا...».

«كان هناك شخص وحيد يرغب في إيذاء هانيبال، وهذا الشخص هو هانيبال نفسه».

11

أوشـك أرلنـدور أن يأخـذ غفـوة قبل الذهـاب إلى العمل عندمـا اختـرق سـكون المنزل صوت رنيـن الهاتف. كان منزله عبـارة عـن قبـو صغيـر في هيلـدرا، وعندما انضمّ إلى الشـرطة أبلغـوه أنّـه يمكن أن يُسـتدعى في أيّ وقـت خلال اليوم، أكان صباحاً أم مساءً، لذا سيحتاج إلى أن يضع هاتفاً في المنزل، فلم يشـعر من قبل بأنّه بحاجة إلى واحد، ولكن في نهاية المطاف ابتـاع جهـازاً قديماً أسـود اللون مع لوحـة أرقام معدنية، ولكنّه نـادراً مـا تلقّـى اتّصالاً يخصّ العمل عـدا من رقيب المناوبات الذي يتّصل به لينظّم ورديّاته. وفي بعض الأوقات كان زملاؤه في العمل يتّصلون ليدعوه إلى حضور فيلم أو الخروج للسهر، فلم يكن يستمتع بأيّ منهما لكنّه كان يتركهم يقنعونه بالذهاب. لـم يكـن مـن محبّي الشـراب، وفي أحسـن الأحـوال كان من الممكن أن يشرب كأساً صغيرة من التشارتروس الأخضر. وفي المناسـبات، قـد يمـرّون أمام منزله وهم فـي طريقهم إلى أحد الملاهي الليلية فيحاولون اصطحابه معهم، لكنّه كان يرفض في أغلب الأوقات، ويبقى في منزله ليقرأ، أو ليستمع إلى الراديو، أو ليشـغّل أسـطوانات موسيقى تناسب ذوقه، فقد اشترى عدداً لا بـأس بـه مـن الأشـرطة حتّـى أصبحت لديـه مجموعة كبيرة

مـن الألبومـات، أغلبها موسـيقى جاز أميركيـة وأوروبية، لكنّه كان يسـتمتع أيضاً بالاسـتماع إلى الأغاني الأيسـلندية الشـعبية وأعمال شـعرائه المفضّلين كغودمودسـون، وديفيد ستيفنسون، وستين ستينار.

أمّـا بالنسـبة إلى ما يتعلّق بأنـواع الأطعمة التي يفضّلها فهي تشابه نمط حياته التقليدي، فاختياراته بسيطة وتقليدية؛ سمك قد مطبوخ مع حبّات البطاطا، أو لحم الحمل المحمّر في المناسبات. وعندمـا يرغـب في تناول العشـاء يعرّج على سـكولاكافي، وهو مطعم صغير يقدّم طعاماً آيسـلندياً منزلي الصنع وهو طبق ثابت من قطع لحم الحمل مع الخبز، وكان يرتاد المكان غالباً العمال وسائقو الشاحنات.

يمكـن الدخـول إلـى شـقّة أرلنـدور من الحديقـة عبر غرفة الغسيل المشتركة، حيث كان يحفظ هناك مختلف أنواع الأطعمة التـي يـزوّده بهـا تاجـرٌ محلّـي فـي دلـو صغيـر مـن مصـل اللبن الحامـض، كلحـم الصدر ونقانـق الكبد إضافة إلى زيت الحوت الشحمي، وكان أرلندور يعيد تعبئة الدلو بشكل مستمرّ، ويدخل دومـاً فـي جـدالات حول عادات طعامه مـع غاردر الذي هو من أنصار الطعام الأميركي، فبالنسبة إلى أرلندور كان كلّ كلام غاردر عن البيتزا والهامبرغر عبارة عن هراء في هراء.

أجاب على الهاتف ليتفاجأ بسماع صوت ريبيكا، فلم يكن يتوقّـع أن تكلّمـه مجـدّداً، كونها أسـرعت إلى قول وداعاً قبل أن تتركه وتذهب.

قالـت لـه: «لقـد حصلـت علـى رقمك مـن مركز الشرطة، وأرجو ألّا تمانع».

ردّ أرلنـدور: «لا، بالطبـع لا، فرقمي ليس مسـجّلاً في دليل الهاتف».

«لقد أخبروني بذلك، وكانوا متردّدين في إعطائي إيّاه».

«شكراً على اتّصالك على كلّ الأحوال».

«كنت أفكّر في الذي قلته».

«حقّاً؟».

«لمَ سـألتني إن كنت أعرف أحداً يرغب في إيذاء أخي؟ ما الذي عنيته بذلك؟».

«كنت فقط أتساءل إن كان لديه أيّ أعداء قد تعلمين بأمرهم».

ردّت ريبيكا: «حسـناً، كنت أعلم أنّ حياته لم تكن سـهلة، لكنّ أخي لم يكن من الأشخاص الذين يسبّبون المتاعب، فليس ذلـك جـزءاً من شـخصيّته. هل كنـت تلمّح إلى أنّ الأمر لم يكن حادثة؟ أقصد موته؟».

«أوه، لا، يبـدو الأمـر حادثـة غالباً، لكن يمكن للعالـم الذي عـاش فيـه أن يكـون قاسـياً وغير متسـامح، وربما لم يسـبّب أيّ متاعـب مـن النـوع التي تتحدّثين عنها، لكنّني أشـعر بأنّه لم يكن يخـاف مـن قـول ما يجول في ذهنه للناس، وأعرف أنّه لم يرغب في أن يصبح مديناً لأحد بأيّ شيء».

«هـذا صحيـح، كان دائمـاً هكـذا، يمكنـه أن يكـون صعب المراس جدّاً».

«أجل».

«لم أتواصل معه بأيّ شكل منذ عدّة سنوات، لذا لا أعرف تحديداً ما الذي كان يفعله بنفسه، أو مع من كان يختلط. ومن المرجّح أنّك تعرف عنه أكثر منّي».

«ليس تماماً، كان منغلقاً على نفسه، فقد كان يقضي وقته مع بعض الأشخاص من ذوي الظروف المشابهة، لكن عدا ذلك لا أتوقّع أنّه كان يلتقي بأحد آخر، إذاً لم يكن على اتّصال بعائلته، أليس كذلك؟».

أجابته ريبيكا: «اختفى من حياتنا فجأة، ولا توجد طريقة أخرى لوصف الأمر، فقد غادر بشكل مفاجئ وفقد نفسه في مكان غريب»، صمتت فجأة قبل أن تكمل حديثها: «حاولنا مساعدته، لكنّه لم يقبل، استسلم أخي الأكبر في النهاية قائلاً إنّ لا أمل يُرجى منه، أنا... لم يرغب هانيبال في أن يسمع منّا أيّ شيء، فنحن بنظره ننتمي إلى عالم قد أدار ظهره له، وقد فعل ما في وسعه لتجنّبه».

قال أرلندور: «لابدّ أنّه من الصعب التعامل مع وضع كهذا».

أجابت ريبيكا: «أرفض أن أشعر بالذنب حيال ذلك، فقد جرّبت كلّ شيء استطعت التفكير فيه لمساعدته في لمّ شتات نفسه، لكنّه لم يهتمّ، وقال إنّني لا أفهم الأمر، وقد استطعت مساعدته آخر مرّة في التوقّف عن الشرب لشهرين أو ثلاثة، وكان ذلك منذ ثماني أو تسع سنوات، ولم يلبث أن عاد إلى زجاجته مرّة أخرى، وبعد ذلك فقدت الأمل منه حقّاً».

«إذاً لم يكن أخوك الأكبر على تواصلٍ معه أيضاً؟».أي إنسان عن حادثتن

«لا».

«هل كانا على خلاف؟».

«ما الذي تعنيه بذلك؟».

«لا شيء، أنا فقط...».

«هل تلمّح إلى أنّه قد يكون هو من هاجم هانيبال؟».

«لا، بالطبع لا، أنا فقط أحاول فهم ما جرى».

«يعيش أخي شمالاً في أكوريري، ولم يكن أصلاً في ريكيافيك حين غرق هانيبال».

«فهمت الأمر، أنظري، لم أكن أقصد التلميح إلى أيّ شيء حقّاً».

عمّ صمتٌ غير مريحٍ المكان، ثم قالت ريبيكا: «أنت الشخص الوحيد الذي سأل عن هانيبال، أو حتّى أبدى اهتماماً بأمره، كان عليّ أن أكون أكثر لباقةً معك، لكنّك فاجأتني بسؤالك، إن كنت ترغب يمكننا الالتقاء بعد العمل في وقتٍ ما».

أجابها: «سيكون هذا رائعاً»، ثم ودّعا بعضهما، ولم تمرّ دقائق حتّى رنّ الهاتف مجدّداً، كانت هالدورا هذه المرّة. «أردت فقط أن أسمع صوتك».

«أجل، أعتذر منك، كنت أنوي الاتّصال بكِ».

«هل أنت مشغول؟».

«أجل، أنشغل دوماً في وردية المساء، كيف حالك؟».

«بخير، أردت إخبارك بأنّني تقدّمت لوظيفة جديدة».

«حقّاً؟».

«أجل، في شركة الهاتف».

«يبدو هذا جيّداً، أليس كذلك؟».

«أعتقد ذلك، فالوظيفة التي تقدّمت لها في مقّسم المكالمات الدولية».

«هل تظنّين أنّك ستحصلين عليها؟».

«أعتقد أنّني أملك فرصة، لمَ لا نلتقي اليوم، ونذهب معاً إلى المدينة؟».

«لا مانع لديّ، فلنذهب».

«سأتّصل بك».

«حسناً».

أنهى أرلندور المكالمة، وألقى بنفسه على الأريكة بعد أن اختار كتاباً من الرفّ، آملاً أن يستطيع أخذ غفوة قصيرة قبل العمل.

في فترة مراهقته، أحبّ البحث في متاجر الكتب القديمة، وعثر ذات مرّة على سلسلة مجلّدات تتناول قضايا أشخاص اختفوا، أو ضاعوا خلال رحلاتهم في آيسلندا، نجا بعضهم ليروي قصّته، وكان هناك بعض القصص المتناقلة عن أُناس لم ينجوا، ولكن بقيت مغامراتهم ونهاياتهم المأساوية، التي انهزمت أمام جبروت الطبيعة، محفورة في الذاكرة. لم يكن أرلندور على علم بوجود كتب من هذا النوع، فانكبّ على قراءة تلك السلسلة

حتّى أنهاها، وبدأ منذ ذلك الوقت بتجميع الكتب، وأيّ شيء آخر يتعلّق بتلك الأمور، كالروايات التي تدور حول معاناة أناس علقوا في حطام السفن، أو في الانهيارات الجليدية، أو على الطرقات القديمة في برّيّة آيسلندا. كان يبحث عن هذه الروايات في متاجر الكتب، أو يدفع المزيد من المال لبائعي الكتب مقابل الحصول عليها، سواء أكانت أوراقاً أو حتّى رسائل خاصّة أو تقارير من شهود على تلك الحوادث. كان يشتريها كلّها من دون مساومة، وأصبح ينتظر نشر الأعمال الجديدة دوماً، بعد أن بنى مكتبة ضخمة تضمّ كتباً وروايات من مختلف المناطق، وقد تفاجأ بالكمّ الهائل من الأعمال التي كانت تنشر حول هذه المواضيع. كانت القصص تعود إلى وقت بعيد من الزمن، حيث كانت الحياة مختلفة، قبل أن تبدأ المدينة في توسّعها، وتتحوّل المزارع البعيدة إلى امتداداتٍ للقرى، ولكن بالرغم من ذلك لم يختفِ مجتمع المزارعين تماماً فقد وجدوا في ذلك التوسّع منزلاً جديداً لهم.

كان هناك العديد من القصص الأخرى عن أُناس ضلّوا طريقهم في العواصف القاسية، ولم يُعثر على جثثهم لشهور وسنوات أو حتّى عقود من الزمن، حتّى إنّ بعضهم لم يُعثر عليهم أبداً، علا صوت ريبيكا في أذنيه مجدّداً (اختفى فجأة من حياتنا). فهم أرلندور ما عنته بذلك، فقد عرف من خلال وضع هانيبال أنّه يمكن للأشخاص أن يفقدوا أنفسهم في شوارع ريكيافيك المزدحمة، وأن يضلّوا طريق العودة من الجبال خلال العواصف القويّة.

بدأ يشعر بالنعاس، فوضع الكتاب جانباً، وانتقل تفكيره إلى ليالـي مدينـة ريكيافيـك التـي تبدو متلألئة ومشـرقة من الخارج، لكنّهـا تخفـي فـي داخلها الكثير من اليأس والظلام، كان كلّ ليلة يجول مع أصدقائه في المدينة في سيّارة الشرطة الصدئة، حيث كانوا يشـهدون كلّ مشـاكل الناس المخفية عن الأعين. فبالنسـبة إلى بعضهم، كان الليل ستارةً للإثارة والإغراءات، وكان لبعضهم الآخـر، يمثّـل الخـوف والرعـب، ولأنه لم يكن يومـاً من محبّي السـهر والليـل، فقـد كان تغييـراً كبيراً بالنسـبة إليـه أن يترك عالـم النهار والضوء وينسـحب إلى عالـم الظلام، ولكنّه وجد نفسـه لا يمانـع الأمـر حالما انتقل إلى هناك. في تلك السـاعات تحديداً، كان يتصالـح مـع المدينـة، حيـن تخلـو الشـوارع من السـيّارات ويعمّها الهدوء، وتخفت كلّ الأصوات عدا صوت صفير الرياح وأزيز محرّك سيّاراتهم.

12

عندما وصل أرلندور، كان مالك المنزل يقف قرب درج السرداب يدخّن غليوناً، وقد ركن إلى جانبه مقطورة كبيرة مواجهة للباب، كانت موصولة بسيّارة جيب عسكرية قديمة، مُلىء نصفها بالقمامة والخردة. وقد بدا الرجل في الستينات، وكان ذا عينين صغيرتين، وكرشه الكبير يتدلّى أمامه، ويرتدي سترة رياضية رمادية، وبنطال جينز رثّاً، ويعتمر قبعة قذرة، وقد أطبقت أسنانه على الغليون الذي يدخّنه ما منح شفتيه الشاحبتين لوناً أقرب إلى الزرقة ما جعله يبدو مثل عامل حفريات. اسمه فريمان، عرفه أرلندور لأنّ هانيبال سبق له أن ذكر اسمه، بدا لقب مالك المنزل فضفاضاً بالنسبة إليه، فهانيبال لم يدفع أيّ إيجار مقابل بقائه في القبو، ومن جهة أخرى، لم يلائمه لقب مُحسن، فبالكاد كان ذلك القبو صالحاً للسكن، رغم أنّ هانيبال كان أكثر من راضٍ بالبقاء فيه.

حيّا أرلندور الرجل، فسأله فريمان بعد أن أبعد الغليون عن فمه: «هل أنت هنا للبحث عن شقّة؟».

«لا، هل هي للبيع؟».

أجابه فريمان: «بأفضل سعر»، قالها وكأنّه يحمل مفاتيح قصر ما، فقد كان هذا المنزل أقرب إلى كوخ خشبي تغطّيه بعض

الصفائح الحديدية، التي اختفى لونها الأزرق بمرور الزمن، ويعلو القبو غرفة جلوس وعلّية صغيرة، وكان المكان بحاجة شديدة إلى الترميم.

«هل السعر يتضمّن القبو؟».

«بالطبع، ومساحته واسعة، عليّ فقط أن أخليه من هذه الخردة اللعينة، ومن يعلم من أين أتت كلّها».

قال أرلندور فاحصاً المقطورة: «لست هنا للبحث عن منزل، أريد سؤالك عن متشرّد اعتاد أن يعيش هنا في القبو. اسمه هانيبال».

«هانيبال؟».

«أجل».

«وما علاقتك به؟».

«كنت أعرفه».

ردّ فريمان، دافعاً الغليون في جيب القميص تحت سترته: «إذاً أنت تعرف أنّه ميت».

«أجل، كانت نهايته مأساوية، وأنت كنت تسمح له بأن ينام في القبو».

«لم يكن يزعج أحداً بذلك».

«ومن أين تعرّفت إليه؟».

أجاب فريمان، وهو يهمّ بنزول الدرج ليخرج المزيد من الخردة: «منذ سنوات عملنا معاً على متن مركب».

سأله أرلندور: «هل تحتاج إلى مساعدة في ذلك؟».

حدّق إليه فريمان متفاجئاً. «هل تعرض عليّ المساعدة؟».

«إن كنت ترغب».

تـردّد فريمـان للحظة محاولاً أن يفهم هذا الشـابّ الغريب: «حسناً، إن رغبت في ذلك».

قال أرلندور: «أتيت إلى هنا مع هانيبال عندما كان يعيش في هذا المكان، لذا أعرف أنّه ينتظرك عمل شاقّ لتنظيف هذا القبو».

ردّ فريمـان: « قمـت بثلاث رحلات إلى المكبّ حتّى الآن، وبالـكاد يمكنـك ملاحظـة أيّ فرق، وليسـت كلّها أغراضي، فقد كنـت أخـزّن مختلـف أنواع الخردة لأناس لم يرجعوا من أجلها، وبعضهـا لأصحـاب المنـزل الأصليين، وليس لديّ فكرة من أين أتت بقيّتها، مع أنّني أشكّ في أنّ هانيبال قد جرّ بعضها إلى هنا».

كان القبـو أنظـف بقليـل من آخر مرّة زاره فيها أرلندور، فقد اختفت أغراض هانيبال ومن ضمنها البطّانية الرثّة التي استخدمها لتدفئة نفسـه، وزجاجات البرينيفين والمشـروبات الروحية، حتّى الرائحة الكريهة بدت أخفّ حدّة بكثير، لم يبقَ سوى أثر خفيف منها، وقد غطّى السخام الأسود كلّ المدخل إضافة إلى دعامات السقف وأجزاءٍ من الباب.

شـمّر أرلندور عن سـاعديه وشـرع في مساعدة الرجل على نقل الأغراض إلى الخارج، ولم تلبث أن امتلأت المقطورة تماماً.

عندما أعاد أرلندور فتح الحديث عن هانيبال، قال فريمان: «عاش في قذارة شـديدة، فكان ذلك أحد أسـباب طردي له. عدا ذلـك، لـم تكـن لتعرف أنّه موجـود، مع أنّني لم أكن آتي إلى هنا

كثيراً».

«إذاً أنت لا تعيش في هذا المنزل؟».

«لا».

«هل كان المستأجرون يشتكون منه؟».

«لم أسمع أيّ شكوى منهما، فقد كانا زوجين من الجنوب، لكنّهما كانا يثملان أكثر منه، لم يهتمّا بحالة المكان أيضاً لذا طردتهما في النهاية وقرّرت بيعه لأستفيد من ثمنه، فأنا لا أستطيع تحمّل تكلفة تجديده».

أشعل فريمان غليونه مجدّداً، ثم نظر إلى المقطورة قائلاً إنّه أزال ما يكفي من الخردة اليوم وسيكمل بقيّة العمل غداً.

«شكراً لمساعدتك أيّها الشابّ».

قال أرلندور: «لا عليك، هل عملتما معاً على القارب هنا في ريكيافيك؟».

«لا، في غريندافيك».

«لكن هانيبال من ريكيافيك، أليس كذلك؟».

«أجل، إنّه من هنا».

«هل تعلم أيّ شيء عن عائلته؟».

«لا، فقد اعتاد أن يتحدّث عن أمّه في بعض الأوقات، لكنّني لا أعلم إن كان لديه أيّ إخوة».

«كان لديه أخ وأخت، وقد توفّي والداه منذ سنوات عدّة».

«لم يأتِ على ذكر أيّ إخوة عندما كان يعيش هنا».

سأله أرلندور: «هل لديك فكرة كيف انتهى به الأمر هكذا؟».

«هل تعني كيف غرق؟».

«لا، أعني...».

«ألم يكن ثملاً كالعادة؟».

«على الأغلب، ولكن ما أقصده من سؤالي كيف انتهى به الأمر متشرّداً؟».

«هل من سبب واضح لانحراف الناس عن مسارهم؟ كان مدمن كحول كما تعرف، وأحياناً... كان هانيبال مزيجاً غريباً حقّاً، فقد كان شديد اللطافة ولكنّ مزاجه العصبي أوقعه في العديد من المشاكل، أتذكّر حين كنّا نعمل على المركب، كان يشرب كثيراً حتّى طُرد من عمله في النهاية، فلم يستطيعوا الوثوق به، فقد كان يفتعل الشجارات وينسى رحلات الإبحار، عدا عن أنّه كان كثير الكلام، وبحسب رأيك لمَ يمكن أن يكون الرجال بهذه الطباع السيّئة؟».

أشار أرلندور إلى الدعامات المحروقة: «أرى أنّ حريقاً قد شبّ هنا».

«هذا هو سبب طردي له من المنزل، فقد كنت خائفاً من حدوث شيءٍ كهذا، فطلبت إليه أن يجمع أغراضه ويغادر المكان، وعندما سمعت أخباره مرّة ثانية بلغني خبر موته».

«أتعلم إن كان لديه أيّ أعداء؟».

«سألتني الشرطة السؤال نفسه، لا ليس لديّ فكرة، لكنّه بالتأكيد وقع في البركة من شدّة ثمالته ولم يستطع النجاة، أليس كذلك؟».

«ربما».

قال فريمان مطفئاً غليونه من جديد: «من الأفضل أن أذهب إلى المكبّ».

سـأله أرلنـدور، رافضاً ترك الموضـوع: «كيف بدأ الحريق؟ ادّعى هانيبال أنّه متعمّد للتمكّن منه».

«هذا متوقّع منه، فقد زعم أنّه كان نائماً واستيقظ فجأة ليرى اللهب يلتهم الباب فأسرع إلى إطفائه، وأقسم إنّه استطاع وحده إنقاذ المنزل بأكمله من الحريق، لكنّ الأمر لم يكن كذلك، ولم يكـن الزوجـان في الطابق العلـويّ موجودين، لكنّ الأخوين في الغرفة المجاورة رأيا الدخان يتصاعد من نافذة القبو، فركضا إلى المكان، وعندها وجدا هانيبال مغمىً عليه، وبفضلهما لم يصبح الوضـع أسـوأ، فقـد أيقظاه وأخرجاه من القبـو. وأخبراني لاحقاً بأنّه لم يكن بكامل وعيه أبداً من شدّة سكره، وبأنّهما وجدا عُقب شمعةٍ ملقى عند الباب، ولابدّ أنّه وقع على القمامة».

«ألم يتّصلا بالإطفاء؟».

«لا».

«إذاً لم يُجرَ تحقيق في الحادثة؟».

«لا، تحقيق؟ ولمَ التحقيق؟ اتّصل الأخوان بي، ولم يستدعِ الحادث أن نجعله أمراً جللاً، لكنّني لم أرغب في أن يظلّ هانيبال مقيماً في هذا المكان بعد تلك الحادثة، مخافة أن يتسبّب بحرقه بأكمله، لذا رميته خارجاً».

«وكيف تقبّل قرارك؟».

أجابـه فريمـان: «كان ردّ فعلـه عنيفاً، وقد أقسـم إنّه لم يكن السبب في الحريق، وإنّ أحداً ما قد افتعله عمداً وحاول إلصاق التهمة به».

«ومن تظنّه يقصد؟».

«أظنّ ماذا؟».

«أشعل الحريق؟».

ردّ فريمان: «لا أحد، كان كلامه محض هراء وهذيان شخص ثمـل، فقد كان يحاول تخليص نفسـه مـن الورطة كالعادة، وهذا كلّ ما في الأمر».

لـم يتخلّـل مناوبتهـم أحـداث مهمّـة، وهـم يسـيرون عبـر ميكلابروت حيث كانت ليلة أربعاء هادئة، فبدأ غاردر بالحديث عـن الطعـام -أو عـن عدم وجوده- كما يفعـل عادة عندما يكون جائعاً.

سأل غاردر زميليه: «لم لا يوجد مثلاً أيّ مطعم بيتزا محترم في ريكيافيك؟»، وكأنّ ذلك كان أكثر ما يثير السخرية في حياته، بينما كان يشير قياس خصره الذي بدأ يتّسع إلى عدد المرّات التي كرّس وقته خلالها للتفكير ببطنه، فقد سـاهم قضاؤه لأسـبوعين في الولايات المتّحدة عند عائلته مؤخّراً في زيادة هوسه بالأطعمة السريعة.

سأل مارتن: «ألا يوجد أيّ مكان في المدينة يبيعها؟».

سأله أرلندور: «بيزا؟ هل تعني تلك الفطائر الإيطالية؟».

قـال غـاردر: «فطائـر..؟ أتكلم بجدّيـة، من الصعب أن يجد

المرء مكاناً يقدّم البرغر والبطاطا المقلية، فلا يوجد سوى بعض المطاعم، صدّقاني، إنهّ أمر متخلّف جدّاً».

أشار مارتن: «هناك استراحة سيّارات في غيثالس».

ردّ أرلندور: «حيث يقدّمون رأس خروف شهيّاً فعلاً».

وأضاف مارتن: «مع اللفت المهروس».

«هذا بالضبط ما أتكلّم عنه، أيّ نوع من الطعام هذا؟ لفت مهروس! على كلّ حال، تبعد غيثالس أميالاً عديدة، لم لا يرفعون مستواهم في المدينة هنا؟».

قال أرلندور مبتسماً: «كنت أحبّ غيثالس حقّاً».

سأله غاردر ساخطاً: «من يبتاع رأس خروف من استراحة سيّارات؟ نحتاج إلى مطاعم للبرغر والبيتزا، أو إلى القليل من تمازج الثقافات، لو كنت أملك المال لكنت افتتحت مطعماً بنفسي وجمعت ثروة».

أجابه أرلندور: «ثروة من البيزا؟ لا أعلم بشأن ذلك».

«اسمها بيتزا يا أرلندور! على الأقلّ حاول أن تلفظ الاسم بشكل صحيح، إنّ مذاق الأطعمة السريعة لذيذ وهي مناسبة جدّاً أيضاً، ولا تكلّف الكثير من المال، وفي الوقت نفسه توفّر عليك عناء طهوِ سمك القد والبطاطا كلّ الوقت والذهاب إلى مطاعم فارهة كناوستيد. يعرف الأميركيّون ما يفعلونه، فهذه الأماكن توصل الطعام إليك أينما كنت، وليس عليك الذهاب إليها، فيمكنك أن تجري اتّصالاً فقط، وتطلب أيّ نوع ترغب فيه، وهم يتكفّلون بإيصاله».

وصلهم إشعار عبر المذياع بالعثور على رجل ملقى على جانب الطريق العام، قرب كهف ناوثولسفيك، فأجابوا أنّهم في المنطقة. شغّل غاردر أضواء سيّارة الشرطة، وعندما وصلوا إلى المكان، وجدوا أنّ سيارة شرطة أخرى قد وصلت قبلهم إلى هناك، بالإضافة إلى سيّارة إسعاف. لمح زوجان في منتصف العمر رجلاً مُلقىً على الأرض وقد مُرّغ وجهه بالعشب، على بعد ثلاثة أمتار من الطريق العام، فنادياه لكنّه لم يستجب، واستنتجا أنّه ميت بعد أن اقتربا وألقيا نظرة أقرب عليه، فهرعا إلى فندق لوفيليدير، واتّصلا بالشرطة.

اتّضح أن وجود سيّارة الإسعاف لم يكن ذا فائدة لأنّ الرجل كان فعلاً ميتاً منذ بعض الوقت، فأرسلوا بطلب سيارة نقل الموتى بدلاً عنها، وقد أشارت كلّ الأدلة إلى أنّ الرجل وقع في المكان الذي وجدوه فيه، حيث لم يكن هناك أيّ دلائل على شجارٍ، أو أيّ جروح ظاهرة، وحتّى العشب حوله لم يكن مُمرّغاً، فقد أمسك الرجل بصدره بكلتا يديه وأنهار في مكانه ببساطة، وأفاد الطبيب الذي أحضروه معهم أنّ سبب الوفاة هو أزمة قلبية.

تعود الجثة إلى متشرّد اتّخذ من أحد أكواخ نيسين المتهالكة في كرينغوميري ملجأً له، عرفه أرلندور على الفور، على الرغم من أنّه لم يكن يتذكّر اسمه، فقد تحدث إليه قليلاً منذ عدّة أيّام أمام مستشفى الحِمى، إنّه الرجل الذي ادّعى أنّ موت هانيبال في كرينغوميري كان متعمّداً.

تعرّف أرلندور إليه من خلال معطفه السميك وقبّعته، إضافة

إلى يديه القذرتين، وعندما أداروه ليحملوه إلى عربة نقل الموتى، وجد التجاعيد المحفورة حول عينيه التي بدت كالشقوق في الجليد.

كان قد رُكّب قفلٌ جديد لباب القبو، ولم ينبعث أيّ ضوء من الطابق العلوي، وقد عُلّقت لافتة صغيرة كُتب عليها (للبيع) أمام المنزل، فأمسك أرلندور بالقفل فوجده محكم الإغلاق، فتركه وبدأ يبحث عن فتحة صغيرة لينسلّ منها إلى الداخل، وبعد جهد كبير استطاع فتح نافذة صغيرة خلف المنزل. كان المكان معتماً، لكنّه جاء مستعدّاً وأحضر معه مصباحاً صغيراً ذا ضوء خافت. كان فريمان قد أنجز عملاً متقناً فقام بتنظيف القبو، ومسح الأرض، فبدا مرتّباً تقريباً، بعد أن أصبح شبه فارغ من كلّ الخردة.

وجّه أرلندور ضوء المصباح إلى جانب الباب، وبحث عن أدلّة تشير إلى كيفية اشتعال الحريق، فلم يعثر على أيّ تمديدات رئيسية أو صناديق كهرباء عدا عن السلك الذي تدلّى من السقف ليضيء مصباحه مدخل القبو، وبالتالي استبعد أن يكون احتكاك كهربائيّ هو ما سبّب الحريق، ولا بدّ أن اللهب كان كبيراً، بالنظر إلى السخام الذي غطّى الجدران ودعامات السقف قبل أن يطفئه الأخوان اللذان يقطنان في المنزل المجاور.

مرّر أرلندور يده فوق آثار السخام وطرق على الخشب الجافّ، وكان قد فات الوقت على الأرجح لتحديد كيف بدأ الحريق وانتشر إلى الدعامات، وعلى الرغم من رفض هانيبال

لتلك الاتّهامات، ربما لم يكن بكامل عقله ليتذكّر ما حدث وقتها.

لكن إن أراد تصديق هانيبال، فهذا يعني أنّ شخصاً ما افتعل الحريق، فأزال القفل، وفتح باب القبو، ثم تسلّل عدّة خطوات إلى الداخل مشعلاً الشمعة التي ألقى بها في القمامة الموجودة على الأرض، ولم يمرّ وقت طويل قبل أن تشتعل النار فيها ويهرب الفاعل.

ولكن ما هدف الفاعل من افتعال الحريق؟ هل كان يعلم أنّ هانيبال في الداخل؟ هل كان يقصد قتله؟ أو لم يكن للحريق أيّ علاقة بهانيبال؟ فقد كان القبو هدفاً سهلاً بأعمدته وعوارضه الخشبية المتهالكة، ولولم يلحظ الجيران اللهب بسرعة، لكان المنزل أصبح كومة من الرماد خلال وقت قصير.

افترض الأخوان أنّ الشمعة قد وقعت وتدحرجت إلى الباب من مخدع هانيبال، لكن أرلندور لم يلحظ وجود أيّ شمعٍ هناك خلال زياراته السابقة للمكان.

كان أرلندور يجول في المدينة في أثناء عمله، وفي المرّة الثانية التي رافق هانيبال فيها إلى القبو، صادفه في هافنارسترتي، في مكان ليس بعيداً عن منزله، وبدا في حالة سيّئة جدّاً، فكان يعرج وكأنّه تعرّض للضرب المُبرّح، فذهب أرلندور إليه وسأله إن كان على ما يرام.

وبالطبع لم يرغب حينها في أن يكون له أيّ علاقة بالشرطة، فأجابه: «أنا بخير».

أشار أرلندور: «أنت تعرج، دعني أساعدك».

رمقه الرجل بنظرة غريبة لأنّه لم يكن معتاداً على أن يُعامل بطريقة لائقة: «لقد سبق لنا وأن التقينا، أليس كذلك؟».

«رافقتك إلى المنزل من أرنارهول بالأمس، كنت مستلقياً تحت سور التن».

قال هانيبال: «أوه، هذا أنت يا صديقي؟ هل شكرتك بطريقة لائقة؟».

«أجل، هل أنت في طريقك إلى المنزل الآن؟».

«هل يمكنك مساعدتي؟ هناك خطبٌ ما في قدمي، ليس في حوزتك شراب، أليس كذلك؟».

«لا، هيا بنا، سأوصلك فالمكان ليس بعيداً».

«ما رأيك في أن تعطيني بعض الكرونات؟».

أمسك أرلندور بذراعه، وأوصله إلى المنزل، ثم وضعه في السرير، وبقي هانيبال يلحّ عليه ليعطيه شراباً أو بعض النقود حتّى استسلم أرلندور، وأعطاه نقوداً، سائلاً إيّاه إن كان يملك أيّ شيء ليدفئه بعد أن لمس أصابعه المتجمّدة، حتّى ولو كانت شمعة.

أجابه أرلندور بجفاف: «لا».

«ولم لا؟».

«لأني أخاف من أن أحرق هذا المنزل اللعين».

13

اتّضــح أنّ اســم المتشــرّد الــذي وُجـد في ناوثولسـفيك هو أولافيور، وقد أكّد الأطباء الشـرعيون أنّ سـبب الوفاة يعود إلى إصابته بأزمة قلبية، فلم ترَ الشرطة داعياً لمتابعة التحقيقات، وكان لديه أختٌ كبرى تعيش في الريف ولم تتواصل معه منذ سنوات، وقد طلبت من الشــرطة إرسـال جثّته إليها حتّى يُدفن في مدافن العائلة.

وقد ذكر أولافيور أنّه يعرف هانيبال عندما تكلّم مع أرلندور أمـام مستشـفى الحِمـى، أمـا بيرغموندور فقد عُـرف أنّه عاد إلى عادة الشرب، وكان يتسكّع عند تقاطع أوستورفوليورن ولم يكن العثور عليه سـهلاً لأنّ أرلندور لم يسـبق له أن قابله، فشـرع في التجوال في أرجاء المدينة باحثاً عنه، وكان الجوّ يومها مشمسـاً وجميـلاً، وقـد عجّت الشـوارع بالمتسـوّقين، وكان المتشـرّدون ومدمنـو الكحـول يتجمّعـون فـي مثـل هـذه الأيّـام علـى مقاعد التقاطع، يحتسـون المشـروبات غير المرخّصة ويشربون الميث، ويتجادلون مستمتعين بأشعّة الشمس الدافئة، وإذا حدث ومرّت امـرأة مـن جانبهـم عليهـا أن تتحمّـل زخّـاً من الكلمـات المذلّة والمهينة.

رفـع أرلنـدور نظـره إلـى تمثـال بطـل الاسـتقلال جـون

سيغوردسون، الذي انتصب في وسط التقاطع، وقد أدار ظهره لأولئك المنبوذين، فتساءل مبتسماً حول ما كان جون ليشعر تجاههم، مع أنّه لم يعتقد أنّه كان من النوع المتكبّر. جلس على القسم الخلفي من التمثال شابّ ذو مظهر مخزٍ ولحية ناعمة، يرتدي ملابس العمّال وينتعل صندلاً مفتوحاً ويضع نظّارة بدت وكأنّها تعود إلى سيّدة ما.

سأله أرلندور بشكل عفوي وكأنّه معتادٌ على التحدّث إليه: «هل رأيت بيرغموندور في الأرجاء؟».

كرّر الشابّ، محوّلاً نظره إليه: «بيرغموندور؟».

«أجل، عاد إلى الشرب مرّة أخرى»، كان ذلك كلّ ما يعرفه أرلندور عنه.

«أتقصد بيرغموندور؟ كان في المدينة بالأمس».

«هل رأيته اليوم؟».

«لا».

«هل بقي مقلعاً عن الشراب لفترة طويلة؟».

أجابه الشابّ وكأنّه استنتاج بديهي: «لا، ليس لفترة طويلة، فلم يستطع الصمود».

«أتعلم أين يمكنني أن أجده؟».

«كان يعيش مع عدّة أشخاص في منزل مهجور في هيفرفيسغاتا».

لمح أرلندور بطرف عينه أحد الذين ألقى القبض عليهم ذات مرّة، واقتاده إلى مركز الشرطة، كان مجرماً محتالاً يدعى

إيليـدي، منخرطـاً فـي جرائم تهريب مشـروبات كحولية، إضافة إلـى عـدد آخر من الجرائم الصغيرة كالسـرقات. وقد سُـجن في سجن ليتلاهرون بسبب اعتداء أدّى إلى إلحاق ضرر كبير بجسد الضحيـة، وكان برفقـة رجـل لـم يعرفه أرلنـدور، فراقبهما وهما ينتقـلان مـن مقعـد إلـى آخـر وكأنّهما يبحثان عن أحد، ارتشـف إيليـدي مـن الزجاجـة التـي كان يخبّئها تحت معطفـه، ثم مرّرها إلى رفاقه، وبعدها ألقى دعابة عليهم وانفجر ضاحكاً.

أضاف الشـابّ ذو النظّارة: «إنّه يتسـكّع أحياناً في أرناهول تحت سور التن».

توقّـف إيليـدي فـي مكانه عندما رأى أرلنـدور وحدّق إليه، كان قـد صادفـه مرّتيـن منـذ أن انضـمّ أرلندور إلى الشـرطة. في المرّة الأولى، كان قد وصل بلاغ عن شجار في منزل في مقاطعة بريدهولـت، فقـد تسـبّب إيليـدي بدخول رجلٍ إلى المستشـفى، وقتهـا رفـض الرجـل التقدّم بأيّ شـكوى بحقّ إيليـدي مدّعياً أنّه كان المسـؤول عـن افتعـال الشـجار. فقضى إيليـدي ليلة واحدة في الحجز في هيفرفيسـغاتا، لاحقاً علم أرلندور أنّ الرجل كان مدينـاً لإيليـدي بالمال بعد أن اشـترى منه كمّية من المشـروبات الكحولية. وفي المرةّ الثانية، اعتقله أرلندور وزميلاه بتهمة القيادة بسـرعة قصـوى بالقـرب مـن مينـاء الحاويات في سـونداهوفن، يومهـا حـاول الهرب منهم، لكنّهم اسـتطاعوا توقيفه، وعثروا في السيّارة على خمسين كرتونة من السجائر الأميركية، والعديد من غالونـات الفـودكا. وكان إيليـدي وقتها ثملاً جدّاً ومنتشـياً فهدّد

بقتلهم جميعاً، قبل أن يهاجم مارتن، وفي نهاية الأمر، تمكّنوا من التغلّب عليه بصعوبة مع وصول التعزيزات.

قال له إيليدي مبتسماً وهو يقترب من السيّارة: «حسناً، هذا هو القروي، ما الذي تفعله هنا؟»، كان ضخم الجثّة ومفتول العضلات، ويضع ضمادة على إحدى عينيه وقد تورّمت شفته السفلية.

استطاع أرلندور أن يشمّ رائحة المشروب التي فاحت من أنفاسه، فلوّح إيليدي بالزجاجة في وجهه وقال: «هل تبحث عن شراب؟ هناك المزيد من حيث أتت هذه إن كنت مهتمّاً».

ردّ الشابّ ذو النظارة بعد أن وقف على قدميه، مثبتاً نظره على الزجاجة: «كان يسأل عن بيرغموندور».

«بيرغموندور؟ ماذا تريد منه؟ هل كان فتىً سيّئاً؟».

أجابه أرلندور: «لا».

سأله إيليدي: «ألم يقلع عن الشرب؟».

قال الشاب ذو النظّارة: «عاد إليه مرّة ثانية».

مرّر إيليدي الزجاجة إليه: «هل رأيت هولبيرغ في الأرجاء؟».

ردّ الشابّ بعد أن ارتشف من الزجاجة: «لا».

«ماذا عن غريتار؟».

«لا، لم أره أيضاً»، وارتشف رشفة أخرى.

سحب إيليدي الزجاجة منه، ودفعه بقوّة: « لا تشرب أكثر أيّها الغبي».

وقال لأرلندور: «من المفترض أن ألتقي به هنا، إن كنت

تظـنّ أنّنـي مخبول فعليك أن تلتقي به وبهوليبيرغ وغريتار.. فهم يشكّلون ثلاثياً لطيفاً».

رافق آخر جملة ضحكة واهنة، فهمّ أرلندور بإكمال طريقه قبل أن يسمع إيليدي يصرخ مجدّداً: «قروي...وغد».

أخيراً، عثر أرلندور على بيرغموندور قرب معمل السـمك السـويدي، حيث جلس رهط من الرجال واسـندوا ظهورهم إلى السـياج المحيط بالمعمل، كانوا يتشمّسـون ويتشـاركون زجاجة شـراب مسـروقة، وقـد خلـع أحدهـم قميصه كاشـفاً عن بشـرته البيضاء الشاحبة تحت الشمس.

سـألهم أرلنـدور إن كانوا يعرفون مـكان بيرغموندور، فقال أحدهم إنّه المقصود، وأراد أن يعرف من الذي يسـأل عنه. كان رجلاً في منتصف العمر، قوي البنية، وبدا أقلّ سـوءاً من رفاقه، فصافحه أرلندور، وسأله إن كان في إمكانه أن يكلّمه على انفراد، فلم يعترض الرجل، ومشـى معه إلى المقاعد بجانب تمثال أوّل مسـتوطن في أيسـلندا إينغولفور أرنارسـون، وجلسـا على مقعد مطـلّ علـى وسـط المدينـة، وأخـرج بيرغمونـدور زجاجة ميث وارتشف منها.

أشـار بيرغمونـدور: «هذه آخر واحـدة، لقد أصبح الصيادلة متردّدين في بيعها لنا هذه الأيّام، فقد سـمحوا لي بشـراء زجاجة واحدة فقط في المتجر في لاوغافيغور، زجاجة من كلّ صيدلية، هـذه هـي القاعـدة الجديدة، فعليك الآن أن تتجوّل في كلّ أنحاء المدينة لتحصل على ما يكفي».

سأله أرلندور: «هل كنت تعرف أولافيور، الرجل الذي مات منذ فترة؟ اعتاد أن يقضي لياليه في أحد أكواخ نيسين القديمة في ناوثولسفيك».

أغلق بيرغموندور زجاجة الميث، وأعادها إلى جيبه. «أنت صديقٌ لأولي؟ لم أعتقد أنّ له أصدقاء».

«التقيت به مؤخَراً وأخبرني بأنّك كنت تعرف هانيبال».

«طبعاً، كنت أعرف هانيبال، لقد غرق السنة الماضية، لكنّك حتماً تعرف ذلك، أليس كذلك؟».

«أجل، هذا صحيح، هل تذكر حين احترق القبو الذي كان يعيش فيه؟ حصل ذلك قبل فترة قصيرة من موته».

«لقد طردوه بسبب ذلك الحريق».

«أجل، فقد اعتقد المالك أنّها غلطته».

قال بيرغموندور: «ربما كان ذلك صحيحاً».

«ماذا ظنّ هانيبال أنّه قد حدث؟».

«ظنّ أن الحريق حصل بفعل فاعل، بل كان متأكّداً من ذلك، لكنّني لا أدري إن كان كلامه صحيحاً».

«بمن كان يشكّ؟».

قال بيرغموندور بحدّة: «سيبيعون عدداً أكبر لك».

«ممَّ تريد عدداً؟».

فتح زجاجة الميث مجدّداً: «من الزجاجات».

«هل تقصد أنّك تريدني أن أبتاع لك الميث؟».

«يمكنك شراء خمس زجاجات معاً، فأنت لا تبدو مدمناً».

«هل تملك المال؟».

«ظننت أنّك لن تمانع من أن تدفع ثمن عدّة زجاجات، وستفي خمس زجاجات بالغرض».

«هل أخبرك هانيبال من افتعل الحريق؟».

«كان لديه شكوكه».

«فيمن شكّ؟ أكان أحد الذين يتسكّع معهم؟ أكان متشرّداً آخر مثلاً؟».

«تقصد المجرمين، لا لم يكونوا متشرّدين».

«إذاً كان هنالك أكثر من شخص؟».

«شكّ في الأخوين المقيمين في المنزل المجاور».

«في الأخوين في المنزل المجاور..؟».

«لا أعرف اسميهما أو شيئاً عنهما، جلّ ما أعرفه أنّه كان هناك أخوان في المنزل المجاور، وأصرّ على أنّهما من افتعلا الحريق وألقيا اللوم عليه».

عاد أرلندور بذاكرته إلى الزوجين اللذين كانا يعيشان في الطابق العلوي فقد كانت قصّتهما مشابهة لقصة بيرغموندور، قالا إنّ الأخوين هما من تسبّبا باشتعال الحريق.

ألحّ بيرغموندور مجدّداً: «أتظنّ أنّه يمكنك الذهاب إلى الصيدلية من أجلي؟».

«لماذا رغبا في حرق القبو؟ هل كان هانيبال يعرف السبب؟».

«بضع زجاجات وسنكون متعادلين، ستفي خمس زجاجات بالغرض».

«نكون متعادلين؟ أنا لست مديناً لك بأيّ شيء».

وقف بيرغموندور وهمّ بالمغادرة: «حسناً، كما تريد، أنا لا أستطيع القيام بذلك، سيكون عليك أن تجد وغداً آخر ليجيب عن أسئلتك».

ردّ أرلندور وقد نفد صبره: «حسناً حسناً، سأذهب إلى الصيدلية من أجلك، تابع كلامك».

«كانا يرغبان في التخلّص منه، فقد اعتادا أن يشتكيا منه إلى مالك المنزل، الذي كان صديقاً لهانيبال وسمح له بالنوم هناك، وقد أراد الأخوان إبعاده عنهما، وبحسب ما قال هانيبال، فلم يكن يجرؤ على إبقاء حتّى عود ثقاب في القبو من شدّة خوفه، وقد أضرم الأخوان النار في بعض القمامة الموجودة قرب الباب حين كان نائماً، ثم تصرّفا وكأنّهما أنقذاه من الحريق في ذلك اليوم، وبعدها طلبا أن يُطرد هانيبال من المنزل حالاً، فما كان من المالك إلّا أن استجاب لطلبهما وطرد هانيبال ».

«هل كان لديه أيّ دليل على صحّة هذا الكلام؟».

«دليل؟ ما الذي تتكلّم عنه؟ أيّ دليل؟».

«أقصد...».

قال بيرغموندور بصوتٍ حازم: «كان هانيبال متأكّداً، فلم يكن هناك أحد آخر يمكنه القيام بذلك، هل تعتقد أنّه أحضر عدسة مكبّرة وبدأ التحرّي في أدلّة كمحقّق لعين؟».

«متى أخبرك بذلك؟».

«قبل أن يموت بفترة قصيرة، كنّا جالسين هنا قرب سور

التن، وكان هانيبال متأكّداً، واعتقد أنّهما كانا يلاحقانه للتخلّص منه ونجحا في النهاية، ولن يفاجئني أمر كهذا».

«هل تعني إغراقه؟».

«لن أستغرب ذلك، فقد قال إنّهما خطران».

«اعتقد أولافيور أنّ غرق هانيبال كان متعمّداً».

«أترى ما أعنيه؟».

«لكن كان ذلك كلّ ما يعرفه، لم كانا يريدان قتل هانيبال؟».

قال بيرغموندور: «لأنّه يعلم أنهما من سبّب الحريق؟ وما أدراني أنا، ربما يعرف شيئاً عنهما يريدان أن يبقياه سرّاً».

«أتعني أنّهما كانا يريدان إسكاته؟».

«بالطبع، ولم لا؟ فذلك ليس أمراً غريباً، فقد عرف هانيبال شيئاً عنهما، وأرادا التخلّص منه».

وصلتهما أصوات الزحام من الأسفل، فحوّل أرلندور نظره إلى الميناء، ثم إلى خليج فاكسافلوي حيث وصلت عبّارة أكرانيس إلى الشاطئ، ثم سأل وقد تذكّر وعده للرجل بالذهاب إلى الصيدلية: «ألن تفضّل أن أبتاع لك بعض زجاجات البرينيفين؟».

ردّ بيرغموندور بعد لحظات من التفكير: «لا، اجعلها زجاجات ميث».

بعد بضع دقائق وجد أرلندور نفسه في لاوغافيغور مع بيرغموندور، واتّجه إلى أقرب صيدلية، كان قد حاول في طريق الذهاب أن يختلق عذراً مناسباً لشرائه كمّية كبيرة من الميث،

بحيث لا يثير أيّ شكوك. وبعد ذلك أسرع إلى الداخل في حين انتظره بيرغموندور خارجاً، وطلب خمس زجاجات من تلك المادّة، فتردد البائع قليلاً قبل أن يحضرها له، ثم راقبه بنظرات مليئة بالشكّ وهو يعدّ النقود ليعطيه إيّاها، عندما خرج أرلندور من هناك كان متأكّداً من أنّ البائع ظنّه مدمناً جديداً.

14

وجـد الأخـوان اللـذان اعتادا السـكن في المنـزل المجاور لهانيبـال مسـكناً جديـداً وصحّيـاً أكثر فـي فالكاغاتا، وقد حصل أرلنـدور علـى اسـميهما مـن فريمـان، وقـرّر زيارتهما فـي اليوم الـذي تلـى لقـاءه مع بيرغموندور، وبعدها رغـب في التنزّه على طول أيغيسيدا على شاطئ المدينة الغربي، ليستمتع بهواء البحر المالح مسـاءً، واعتقد أنّ أفضل وقت لإيجادهما هناك سـيكون بعـد العشـاء، كـون خطّته كانت تقتضـي الذهاب من دون موعد، وقـد كان محقّـاً، فعندمـا وصل كانا يتابعان الأخبار، وكان إليرت وفيغنير في الأربعينات من العمر، ولم يكن الفرق بينهما يزيد على سنتين، رغم أنّهما لا يشبهان بعضهما بالشكل أبداً، فأحدهما كان قصيراً وممتلئاً وذا بنية ضخمة، وملامح حادّة، أمّا الآخر فقد كان طويلاً ونحيفاً وملامحه أكثر نعومة. وعلى الرغم من ذلك، بدوا غير منفصلين، فظنّ فريمان أنّهما يعملان نجارّين أو عاملين من نوع ما، وعلى حدّ علمه، لم تطرق بابهما أيّ امرأة خلال السنوات السبع التي عاشاها هناك.

فتـح فيغنيـر–الأخ القصيـر – البـاب، ولـم يبـدُ متفاجئاً كثيراً لاسـتقباله ضيفـاً غيـر متوقّـع، فقد بدا الأخـوان معتادين على أن تُقاطع أمسـيتهما، فعرّف أرلندور عن نفسـه بصفته أحد معارف

هانيبال، جارهما القديم إنّ صح القول، الذي توفّي فجأة منذ سنة، وتساءل إن كان في إمكانه طرح بعض الأسئلة عنه.

انضمّ إيليرت إلى أخيه عند المدخل في الوقت الذي انتهى فيه أرلندور من الكلام، وتبادلا النظرات.

سأل إيليرت: «هل ستستغرق أسئلتك وقتاً طويلاً؟».

«لا، ليس طويلاً، فلديّ بضعة أسئلة فقط».

قال فيغنير وهو يقوده إلى الداخل: «كنّا على وشك مشاهدة أيرونسايد، فنحن لا نفوّته أبداً».

قال أرلندور، رغم أنّه لم يفهم إلى ماذا يشير: «آه لا، لن تكون هناك مشكلة، فأنا لن أطيل البقاء».

بدا التلفاز الموجود في غرفة الجلوس جديداً، وكانت قد انتهت نشرة الأخبار، وبدأ برنامج ما حول الطبيعة، وكانا يبقيان عيناً على التلفاز طوال حديثهما مع أرلندور، وكأنّهما ممتعضان من كلّ دقيقة يفوّتانها من البرنامج.

قال فيغنير: «اشترينا للتوّ تلفازاً جديداً».

أضاف أخوه: «كان القديم يلفظ أنفاسه الأخيرة».

اتّضح أنّ الأخوين لم يتعاملا كثيراً مع هانيبال، لكن لم يكن الأمر وكأنّ لديهما أيّ شيء ضدّ متشرّد يعيش في الجوار، فلم يكن يمكث كثيراً في المنزل، وكان يأتي من وقت إلى آخر لينام فقط. كان فريمان قد سألهما إن كان لديهما مشكلة بأن يلتجئ متشرّد إلى مكان بجوارهما، فلم يمانعا، لأنّه وبحسب كلامهما لم يكن هانيبال مزعجاً، أو مصدراً للضجيج، كما لم يجلب أيّ

زوّار، لا رجالاً ولا نساءً، لذا وباختصار، لم يكن لديهما أيّ سبب للشكوى منه.

قال فيغنير: «لم يجلب معه أيّ متشرّد أبداً».

وافقه إيليرت: «لا، على حدّ علمي».

أشار أرلندور: «بما أنّ لا وجود لقفل على الباب، فأيّ شخص يمكنه الدخول إلى القبو».

قال فيغنير: «في الحقيقة كان هناك قفل، لكنّني أعتقد أنّ هانيبال أضاع المفتاح في ليلة ما، واضطر إلى اقتحام المكان بكسر القفل».

قال إيليرت: «لم تكن لنا أيّة علاقة بهذا الرجل».

أشار أرلندور: «يبدو أنّ فريمان كان سهل التعامل جدّاً».

لم يجب الأخوان على ذلك، فقد كانا يتابعان التلفاز، وهما مذهولان بلقطة اللبوة التي تغرز مخالبها في ظبي، وكانا يجلسان على أريكة تتّسع لشخصين، متموضعة أمام التلفاز مباشرة، وقد سطع وهج التلفاز على وجهيهما.

قال فيغنير حين بدأت اللبوة بتمزيق الظبي إرباً: «اللعنة، انظر إلى هذا».

لم يرغب أرلندور في مقاطعتهما، فجلس الثلاثة صامتين لعدّة دقائق يشاهدون ما يجري على شاشة التلفاز. كانت غرفة الجلوس صغيرة ومؤثّثة، تملؤها رفوف الكتب التي تتخلّلها بضع لوحات على الجدران، فبدت الشقّة بكاملها على قدر كبير من الترتيب، واستطاع أرلندور أن يلمح من مقعده مطبخاً صغيراً،

وتساءل إذا كانا يتبادلان الأدوار في طهو الطعام، أو في أعمال المنزل، إذ بدا وكأنّه بيت زوجين متحابّين.

سأل فيغنير حين انتهت اللبوة من فريستها: «ماذا كنت تقول؟».

أجابه أرلندور: «أوه، لقد كنت أسأل عن فريمان، هل تملكان أيّ فكرة عن سبب بيعه للمنزل؟».

قال إيليرت: «من الواضح أنّه مفلس».

وافقه فيغنير: «ربما يحتاج إلى المال».

«لكن هل تعلمان السبب؟».

أجابه إيليرت: «لا».

«ماذا حدث في ليلة الحريق؟».

قال فيغنير: «كاد الرجل أن يحرق المنزل، ولو كنّا قد خلدنا إلى النوم حينها، لا أحد كان سيعرف ما كان يمكن أن يحدث، ربما تحوّل المكان برمّته إلى كومة من الرماد، ولكن لحسن الحظّ كنّا مستيقظين».

قال إيليرت قبل أن يعيد نظره إلى التلفاز: « حدث ذلك في وقت متأخّر من الليل، أعتقد أنّنا أنقذنا حياته».

شرح فيغنير: «شممت رائحة شيء يحترق، فنظرت من النافذة لأتفاجأ بأعمدة دخان تتصاعد من القبو، هرعنا إلى هناك، وحين وصلنا كان اللهب يشتعل خلف الباب، لحسن الحظّ، لم يكن الحريق قد انتشر حينها، فاستطعنا إخماده. مع أنّ إيليرت حرق يده».

قال إيليرت: «لم يكن شيئاً خطيراً، ثمّ جررنا هانيبال خارجاً، فكان يسعل بشدّة، ولكن عدا ذلك لم يصبه أيّ مكروه».

«هل كان يعرف كيف بدأ الأمر؟».

أجاب فيغير: «لم تسنح لنا الفرصة لنسأله، فقد تحرّك مبتعداً وكأنّ لا علاقة له بالموضوع، ولا أعلم إن كان قد عاد بعد ذلك».

قال إيليرت باقتناع: «كان غاضباً».

وأكّد أخوه: «وثملاً أيضاً».

«ولم تتّصلا بالإطفاء؟».

«ولماذا الإطفاء؟ فقد أخمدنا الحريق، ولم تكن الأضرار كبيرة، اتّصلنا بفريمان وأتى إلى هناك، لكنّه لم يتّصل بالشرطة أو بأيّ أحد من هذا القبيل، قال فقط إنّها حادثة مؤسفة، وألقى اللوم حالاً على هانيبال، وأعتقد أنّه منعه من العودة إلى المكان».

قال أرلندور: لم يكن الزوجان اللذان يسكنان في الأعلى موجودين حينها».

«أجل، لاحظنا ذلك».

«حسناً، أنتما تظنّان أنّ هانيبال أوقع شمعة من دون قصد، وهكذا بدأ الحريق».

قال إيليرت: «حسناً، وجدنا عقب شمعة قرب الباب في كومة القمامة والكرتون، لذا بدا هذا تفسيراً معقولاً».

«هل كنت تعلم إن كان هانيبال يستعمل الشمع هناك؟».

قال إيليرت: «وكيف لي أن أعرف؟ كم مرّة أخبرتك بأنّه لم يسبق لي أن دخلت إلى هناك، فلم أكن أعرف الرجل».

أضـاف فيغنيـر: «ولا أنـا أيضاً».تى إلى هناك، لكنّه لم يتصل بال

«هل خطر لكما أنّ أحداً ما قد أشـعل الحريق عمداً لإيذاء هانيبال؟».

قـال إيليـرت وقـد أصبـح متيقّظاً بعد انتهـاء برنامج الطبيعة واقتـراب عـرض أيرونسـايد: «إن كان ذلـك صحيحاً، فلن يكون عليه سوى عبور الباب ولن يواجه أيّ صعوبة».

«من كان يعلم أنّه يعيش هناك؟».

قال إيليرت: «ليس لديّ فكرة، بحسـب علمي لم يأتِ أحد لزيارته».

بـدأ إعـلان مفروشـات مشـهور علـى شاشـة التلفـاز جاذباً اهتمـام الأخويـن في الحال، حيث مـرّرت امرأة يدها فوق غطاء طاولة بلاسـتيكي، ثم سـأل صوت التسـجيل: «هل هو رخام؟»، تبعه صوت رفيع: «لا، إنّه فورميكا»، بعدها فُتحت أبواب خزائن: «هل هو خشب حقيقي؟»، «لا، إنه فورميكا».

قـال أرلنـدور معارضاً: «لكن هانيبال كان يخشـى الحرائق، أعلم أنّه لم يكن يحضر الشـمع خوفاً من حادثة كهذه، لا أعتقد أنّه قد يشعل شمعة حتّى، فما بالك بإيقاعها، سواء أكان ثملاً أو صاحياً».

قال فيغنير من دون تركيز: «أوه؟».

قال إيليرت مشيراً إلى التلفاز: «لقد بدأ».

وأولى الأخوان كلّ تركيزهما إلى البرنامج.

«إذاً لم تكونا على خلاف مع هانيبال؟».

«حول ماذا؟».

«حول أيّ شيء كان يفعله، أو كنتما تفعلانه مثلاً».

أدار فيغنير رأسه نحوه وسأل: «لا، ما الذي تلمّح إليه؟».

تردّد أرلندور، غير متأكّد إلى أيّ حدّ يمكنه أن يضغط عليهما ويتّهمهما بجريمة لا يستند فيها سوى إلى الشكوك. من جهة أخرى، فقد كان في مكان مغلق تحت رحمتهما، وعليه أن يحسب خطاه بحذر، فلم يكن يعرف كيف يتصرّف في هذه المواقف، فهو لا يملك أيّة خبرة في عمل المحقّقين، ولم يكن بالنسبة إلى الأخوين سوى شخص مزعج يعكّر أمسيتهما.

أخيراً قال: «سمعت أنّه كان يلومكما على الحريق».

قال إيليرت: «هذه كذبة».

وأضاف أخوه: «محض هراء».

«وسمعت أنّه أمسك شيئاً عليكما كان...».

قال إيليرت: «ما الذي تقصده؟ لم يمسك علينا أيّ شيء، اسمع جيّداً، نحن لم نكن حتّى نعرف الرجل، كان أحدهم يخدعك حتماً يا صديقي».

«إذاً أنتما تنفيان الأمر؟».

أجاب إيليرت: «إنّه كلام فارغ، أرجو ألّا تكون تتجوّل في الأرجاء وتنشر هراءً كهذا».

وقف أرلندور: «لا، أبداً، حسناً إذاً، لا يجدر بي أخذ المزيد من وقتكما، شكراً لكما وأعتذر عن الإزعاج».

قال فيغنير: «لا مشكلة، ونعتذر عن عدم تمكّننا من مساعدتك».

أشار أرلندور إلى التلفاز بعد أن انتهت شارة البرنامج وظهر البطل على الشاشة: «هل هو على كرسيّ متحرّك؟». لم يكن يعرف البرنامج كونه لم يكن يمتلك تلفازاً.

أجاب فيغنير بجدّية: «أجل، إنّه يعيقه حقّاً».

لم يرافقاه إلى الباب حين خرج، وبقيا متسمّرين على أريكتهما، وعاد أرلندور مشياً إلى منزله مستمتعاً بنسيم المساء العليل، ومتعجّباً من اهتمام الأخوين بجريمة مختلقة في أحد المسلسلات الأميركية أكثر من نقاش في حادثة غامضة حصلت في الحياة الواقعية، وقد أدّت إلى موت أحدٍ يعرفانه.

15

كان أرلندور نائماً بعمق حين بدأ هاتفه بالرنين بصوت حادّ ومتواصل، ملأ صوته الشقّة حتى استيقظ في النهاية وجرّ قدميه ليردّ على المتّصل، فكان الرجل على الخطّ يبدو ثائراً.

سأله بفظاظة: «هل أنت أرلندور سفينسون؟».

«أجل، هذا أنا».

«أنهيت للتوّ مكالمة مع أختي ريبيكا، وأخبرتني عن محادثتكما وعن الذي قلته عنّي، وأردت إخبارك بأنّ ذلك شنيع! أن تلمّح... أن تلمّح إلى أنّني قد أؤذي أخي هانيبال، ذلك ضرب من الجنون، وإذا استمررت بنشر أكاذيب كهذه فسأضطرّ إلى اتّخاذ إجراءات بحقّك، فكيف تجرؤ على التفوّه بهذا الكلام؟ كيف تجرؤ؟!».

استنتج أرلندور أنّه أخو هانيبال.

تابع الرجل بانفعال: «لن أسمح لك بالتدخّل في أمور ليست من شأنك، وإنّه لمن المقزّز أن تنشر هذه الشائعات عنّي».

اعترض أرلندور: «لكنّني لا أعتقد أنّني نشرت أيّ شائعات».

«حقّاً؟ إلّا أنّ الأمر بدا حتماً كذلك بالنسبة إليّ».

«كلّ ما ناقشته مع ريبيكا كان بسرّية تامّة، الأمر هو أنّني كنت أعرف أخاك قليلاً وأرغب في معرفة كيف انتهى به الأمر إلى الغرق بهذه الطريقة».

قال الرجل: «أنت تتدخّل في قضية عائلية مؤلمة، ولا علاقة لك بها بأيّ شكل من الأشكال، وأريدك أن تتوقّف عن ذلك حالاً! أخبرتني ريبيكا أنّك شرطي جديد ولم تكن على تماسّ مع الحادثة، سأشتكيك إلى المسؤولين إن لم تتوقّف عن التدخّل في القضيّة».

قال أرلندور: «في الواقع، كانت ريبيكا جاهزة لتقديم المساعدة».

«ما الذي تقصده؟».

«خضنا حواراً مطولاً، وكان - كما أكّدتُ لك- بسرّية تامة، ولا أعلم ما الذي أخبرتك به، ولكن إن كنت تظنّ أنّ تعاملي معها لم يكن محترماً، فأنا أعتذر عن ذلك، وأرغب حقّاً في لقائك ومناقشة الحادثة معك وجهاً لوجه، إن كنت مهتمّاً بذلك».

«لقائي؟ هذا غير ممكن! يمكنك أن تتركني وأختي وشأننا، فهذا الأمر لا يعنيك أبداً، وأكرّر، لا يعنيك!».

«كان هانيبال...».

وقبل أن يتمكّن أرلندور من إنهاء جملته، أنهى الرجل المكالمة.

كان أرلندور هادئاً في تلك الليلة أكثر من العادة، فقد كانوا في إحدى دوريات تنظيم السير، وقد خلت ورديتهم من أيّ أحداث مهمّة عدا اعتقال رجل للشكّ في أنه تخطّى السرعة المسموحة، رغم إصراره على إنكار الأمر، كان قد اصطدم بسائق درّاجة متوجّه إلى عمله، وقد ادّعى أنّ الرجل كانت تنبعث منه رائحة المشروب

وأنّه تناول حفنة من حلوى المنتول للتخلّص منها عندما كانا بانتظار الشرطة، فاستشاط سائق الدراجة غضباً، ولم يكن أحد ليلومه على ذلك، فعدا أنّه تأذّى، كانت قد تحطّمت درّاجته الجديدة. فأوصلوه إلى المستوصف قبل أخذ الرجل إلى إجراء فحص دم، وقد أمضى الطريق وهو يحتجّ ويصرخ مستنكراً تصرّفهم واصفاً إيّاه بعديم الجدوى، وكيف أنّ الأمر برمّته عبارة عن سوء تفاهم، وأنّه سيشتكيهم إلى رؤساهم ويطردهم من عملهم.

لم تعد هكذا تهديدات جديدة بالنسبة إليهم، فلم يعر أرلندور أيّ اهتمام لاحتجاجاته، فقد كان مشتّت الذهن طوال الوقت وهو يفكّر في هانيبال والمكالمة الهاتفية الواردة من أخيه.

سأله مارتن بعد أن قدّموا تقاريرهم وعادوا إلى التجوّل حول لاغافيغور في سيّارة الشرطة: «هل أنت على ما يرام يا أرلندور؟».

أجابه من دون تركيز: «طبعاً».

قال غاردر وهو يقود: «أنت هادئ جداً».

رمق مارتن غاردر بنظرة حيرى عندما لم يجب أرلندور، لكنّهما لم يضغطا عليه، ثمّ لمحوا متشرّداً خلال تجوالهم حول بوسثوستراتي، وعرف أرلندور على الفور أنّه بيرغموندور، فكان متّكئاً على جدار مبنىً متسمّراً في مكانه ولا يقوم بأيّ حركة، فلابدّ أنّه قد أنهى زجاجات الشراب التي اشتراها له مقابل الحصول على المعلومات.

سأل مارتن: «هل نطمئنّ عليه؟».

قـال أرلنـدور: «سـأذهب أنا، فأنـا أعرفه، ويمكنكمـا القيام بجولة حول الحيّ في هذا الوقت».

توقّـف غـاردر ليترجّل أرلندور من السـيّارة، ثم انطلق على طـول أوستورسـتريتي، بينمـا اتّجـه أرلنـدور إلـى بيرغمونـدور لإيقاظـه، فألقـى عليـه التحية، وقد اسـتغرق تعـرّف بيرغموندور إليه بعض الوقت، وهو يحدّق إليه بعينين مغبشتين، مستغرباً بلا شـكّ قبّعته البيضاء والعصا المعلّقة إلى جانبه، واسـتمرّ المتشـرّد يتأمّل زيّه الرسمي متفحّصاً إيّاه من رأسه إلى أخمص قدميه، حتّى استوعب الأمر في النهاية.

قال متمتماً بصوت ثقيل وغير مفهوم: «أنت لم تكن... أنت شرطيّ لعين؟».

«أخشى ذلك».

«لكنّك ابتعت... الميث من أجلي».

«أجل».

«ما هذا...بحقّ الجحيم، لماذا لم تخبرني بطبيعة عملك؟».

«ولم عليّ إخبارك؟ هل أنت بخير؟».

«أنا... بخير. لا تقلق...بشأني».

كان ثملاً جدّاً، وقد حفظ توازنه لأنّه كان مستنداً إلى الجدار، كما برزت على وجهه ندبة جديدة، وعلى الأرجح أنّها تعود إلى تعثّره وسقوطه على الأرض، كما انبعثت منه رائحة كريهة.

سـأله أرلنـدور: «لمَ لا تأتـي برفقتي وتقضي الليلة في مركز الشرطة؟ لا يمكنك البقاء هنا طوال الليل».

«لا، أنـا ذاهـب.. ذاهـب.. لرؤية حبيبتي ثوري، فلا تقلق... بشأني».

«ثوري؟».

«امرأة... رائعة، حبيبتي.. هي...»، فلم يفهم كلمة من حديثه المتعثّر.

«أين تعيش؟».

«أتعلم... في.. أتمانسيغور..أت..أتمانسيغ...».

استغرق الأمـر عـدّة محـاولات حتّى يعرف أرلندور اسـم الشـارع، وبعدهـا لـوّح بيرغمونـدور بيده فاختلّ توازنه، فأسـرع أرلنـدور إلـى إسـناده قبـل أن يقـع. وكان هنـاك ملجـأ لمدمنات الكحـول فـي أمتمانسـتيغور، يديره مركز الخدمـات الاجتماعية لريكيافيك، ولم يذهب أرلندور إلى هناك قطّ، ولكنّه تعرّف إليه من إحدى المدمنات التي كانت تقضي مدّة عقوبتها في السجن.

سأله أرلندور: «هل تعيش في الملجأ؟».

قـال بيرغمونـدور وقـد علت وجهـه تعابير الشـوق والوله: «ثوري صادقة، ثوري امرأة صادقة ورائعة».

ردّ أرلنـدور: «لا أشـكّ فـي ذلـك، ولكن هل أنت متأكّد من أنّها سترغب في لقائك وأنت في هذه الحالة؟».

«حالة؟.. أيّ حالة؟».

عاد مارتن وغاردر بعد أن أنهيا جولتهما، لكنّه أشار إليهما أن يمنحاه دقيقة إضافية، فتقدّمت سـيّارة الشـرطة عدّة أمتار قبل أن تقف مجدّداً.

اقتـرح أرلنـدور: «ربمـا عليك أن تؤجّـل زيارتك إلى صباح الغد، أين تعيش الآن؟».

«أين..؟».

«سأوصلك إلى المنزل؟».

«أنا...سأرى ثوري..».

«ربما عليك أن تزورها في وقت آخر».

«إذا تابعت.. مع هانيبال.. فهذا يكفيني».

«هانيبال؟».

«أجل».

«ماذا عنه؟ هل كان هو وثوري يعرفان بعضهما؟».

«طبعاً..».

«كيف؟».

«أنا... أنا...».

حينها كان قد فقد القدرة على الكلام من شدّة ثمالته.

«هل كانا على علاقة؟».

انزلـق بيرغمونـدور ببـطء علـى الجـدار حتّـى جلـس على الرصيـف مجـدّداً واضعاً إحدى قدميه تحته، فأشـار أرلندور إلى زميليه، واقتربت السـيّارة منهما في الحال، ثم انطلقوا إلى مركز الشـرطة مصطحبيـن معهـم بيرغموندور ليقضـي ليلته هناك، فلم يُبـدِ أيّ اعتـراضٍ عندما وضعـوه في المقعد الخلفي، وقد حاول أرلندور بعدها التحدّث إليه، ولكنّه لم يحصل على نتيجة إذ كان غارقاً في النوم.

16

لـم يكـن ملجأ أمتمانسـتيغور يختلف عـن باقي المنازل في حيّ ثينغولت القديم، ومع ذلك كان يوفّر ملاذاً للعديد من النساء اللواتي يعانين من مشـاكل الإدمان ولا يملكن مكاناً آخر يذهبن إليـه، وكانـت الناظرة مسـؤولة عـن الحفاظ علـى قواعد الملجأ والحرص على النظافة، ولكن عدا ذلك كان للنساء حرّية التصرّف داخل المكان. وعندما زار أرلندور المكان، كان يحتوي على أكثر مـن ثمانـي قاطنات يحصلن علـى الطعام والمأوى والحماية من مخاطر الحياة في الشوارع. وكنّ جميعهنّ مدمنات كحول، وقد وصلـن إلـى مرحلة التشـرّد، وحالهنّ حال الرجال في مستشـفى الحِمى، إلّا أنّ بعضهنّ يحاربن الإدمان منذ سنوات.

وفـي اليـوم التالـي نوى أرلندور أن يسـأل بيرغموندور أكثر عن ثوري، لكنّه عندما وصل إلى مركز الشرطة كان قد صحا من ثمالتـه وذهـب فـي طريقه، لذا أخذ أرلنـدور وقته في التوجّه إلى أمتمانسـتيغور، فسـارعلى مهل في الطقس الصيفيّ المنعش، وما إن وصـل حتّـى تكلّم قليلاً مـع الناظرة التي كانت تعرف ثوري، فأعلمته أنّ اسـمها الحقيقي هو ثوريدور، وأنّها مقيمة سـابقة في هـذا المـكان، ولكنّهـا الآن تجاوزت مرحلـة الإدمان، ومع ذلك فهي تأتي أحياناً لتشارك المدمنات تجربتها وخبرتها خصوصاً مع

الفتيات اليافعات. وكانت قد خرجت قبل وصوله، ولكنّها ستعود قريباً، فقرّر أرلندور التجوّل قليلاً في المدينة والعودة لاحقاً لرؤيتها، رافضاً دعوة الناظرة إلى انتظار عودتها في الداخل.

بعد ساعة عاد إلى الملجأ مجدّداً، فعرف أنّ ثوري لم تعد بعد، لذا انتظرها في غرفة الجلوس الواسعة، حيث كانت ثلاث نساء من أعمارٍ مختلفة يلعبن اللودو بهدوء، فرحبّن به عندما دخل إلى الغرفة، ولكن بعد ذلك تجاهلنه، وكان آخر ما أراده أن يتنصّت عليهنّ، ولكن على الرغم من أنّ أصواتهنّ كانت خافتة وأقرب إلى الهمس فقد سمع حديثهنّ الدائر حول أنواع المشروبات.

«إذا كنت تريدين الأنواع الصناعية فعليك أن تعرفي حلّاقاً».

«لكنّها مقرفة جدّاً، اللعنة على مقوّيات الشعر البرتغالية».

«ولكنّني أرى أنّ خلاصة الهال هي الأسوأ، فلا أستطيع ابتلاعها إلّا بصعوبة».

«دعيني أخبرك بإنّه من السهل إدخالها إلى الحانات، فيمكنك وضعها داخل ملابسك الداخلية، بحيث لا يتمكّن الحرّاس من التفتيش داخلها».

ألقت رامية النرد نظرة خاطفة إلى أرلندور، ثم حرّكت بيدقها.

فأشارت إحداهنّ إلى صديقتيها، وقالت: «لا يمكنني الجزم، لكنّني أعتقد أنّ رغبتي في احتساء الشراب لم تعد بالشدّة نفسها».

كانت أكبرهنّ سنّاً، ربما في الخمسينات، وكانت امرأة ممتلئة

الجسد ذات ملامح خشنة وشعر رمادي، وفم كبير. والثانية وهي حتّماً أصغرهن سنّاً، بدت في العشرينات، وهي نحيفة الجسد وشعرها طويل وخفيف، وحولاء العينين. أمّا الثالثة، فكانت بحسب تقدير أرلندور في الأربعينات، على الرغم من أنّها كانت تفتقد لمعظم أسنان صفّها العلوي، الأمر الذي جعل وجنتيها تغوران إلى الداخل، وقد صبغت شعرها بلون باهت.

تابعت أكبرهنّ كلامها بكلّ ثقة، وهي تُحرّك بيدقها: «يجب عليكنّ أن ترغبن فعلاً في الإقلاع عن احتساء الكحول، وإلّا فلن تنجحن في القيام بذلك أبداً، فلا جدوى من القول إنّكنّ ستقلعن، إن كنتنّ ستعدن إلى شرب الكحول باستمرار».

قالت الصغرى: «إنّ فحص الكحوليات يفيد أحياناً».

«فحص الكحوليات ما هو إلّا ركيزة..».

عندها ظهرت امرأة عند المدخل.

قالت لأرلندور: «هل كنت تبحث عنّي؟».

«هل أنت ثوري؟».

«أجل، هذه أنا، ومن أنت؟».

وقف أرلندور وعرّف بنفسه، ثم سألها إن كان في إمكانه أن يكلّمها على انفراد، فرفعت النساء الثلاث نظرهنّ إليهما.

سألته ثوري: «ماذا تريد؟».نا إليه

«يتعلّق الأمر بأحد كنت أعرفه، كما كنت تعرفينه أيضاً».

قالت المرأة ذات الفكّ الغائر: «أليس صغيراً قليلاً بالنسبة إليك يا ثوري؟».

وانفجرت النساء الثلاث بالضحك حتّى إنّ أكبرهنّ تعرّضت لنوبة سعال قوّية، وقد حاولت جاهدة التقاط أنفاسها، ثم ابتسمت المرأة فاقدة الأسنان ابتسامة ساخرة، فتجاهلتهنّ ثوري، وأشارت إلى أرلندور ليلحق بها.

نادت الكبرى: «ثوري أتركي بعضهم لنا»، وعدن إلى الضحك مرّة أخرى.

خرج أرلندور وثوري ووقفا أمام المبنى، ثم أخرجت علبة سجائر، وأشعلت إحداها، وأخذت منها مجّة قائلة بصوت أجشّ: «يا لهنّ من وغدات غبيات، هنّ فقط يغرن منّي لأنّني أظلّ واعية بعد أن استطعت قضاء أربعة أشهر من دون احتساء الكحول، وهنّ يحسدنني على امتلاك الإرادة لتحرير نفسي من هذا الوضع المزري».

كانت ثوري امرأة قصيرة القامة ونحيلة، وتلبس معطفاً رثّاً وبنطال جينز، وقد امتلأ وجهها الشاحب ببقع بنّية شوّهت ملامحه، وقد توقّع أرلندور أنّها في أوائل الخمسينات، وكانت عيناها تتحرّكان دائماً بخوف وحذر في الأرجاء.

قال أرلندور: «أردت أن أسألك عن رجل يدعى هانيبال، أعتقد أنّك كنت على علاقة وطيدة به».

حدّقت إليه ثوري متفاجئة: «هانيبال؟».

«أجل».

«ماذا عنه؟».

«هل كنت تعرفينه جيّداً؟».

أجابـت بحـذر: «إلـى حـدّ ما، لماذا تسـأل عنـه؟ أتعرف أنّه ميت؟».

«أجـل، أعلـم ذلك وأنا على دراية بالحادثة، لكنّني أتسـاءل إن كان في مقدورك أن تساعديني قليلاً».

«أَحول كيفية موته؟ لقد غرق».

«هل فاجأك سماع الخبر؟ هل صدمك؟».

أجابته بعد تفكير قصير: «لا لم يصدمني، فكلّ سـنة يموت بعض المتشرّدين، وعندما سمعت الخبر، أدركت أنّ دور هانيبال قد حان، ولكن في ذلك الوقت... كنت في حالة سيّئة، لذا كلّ ذكرياتي مشوّشة».

«أكنت تعلمين أنّه كان ينام بجوار خطّ الأنابيب؟».

«أجـل، فقـد قمـت ذات مرّة بزيارته قبـل أن يجدوه ميتاً في البركـة بفتـرة قصيـرة، وكنـت أريـد حينها أن أقنعه بتـرك المكان ومشـاركتي السـكن في منزلي المتواضع، إذ كان وضعي حينها جيّـداً، فلـم يمانع بشـدّة، لأنّه كان متعبـاً من صعوبة الحياة قرب خطّ الأنابيب، والشعور بالبرد كلّ ليلة، رغم أنّه لم يعترف بذلك مباشرة».

«حسناً، هل وافق في النهاية؟».

«لا، أراد التفكيـر فـي الأمـر، فيمكنـه أحيانـاً أن يكون وغداً غريبـاً، ولـم يكـن يتقبّل مـا... لم يكن يتقبّل بعض الأشـياء التي أقوم بها، وبعدها سمعت خبر موته».

«ما الذي لم يكن يتقبّله؟».

«الأمـور التـي كنـت أقـوم بهـا للحصـول علـى الشـراب والمخدّرات».

«أمور..؟».

صرخـت ثـوري بغضـب: «أصـغِ إليّ جيّداً، لقـد كنت أبيع جسـدي هل فهمت الآن؟ وليس بشـيء غريب أن تنتقدني، لذا هيا انتقدني إن كنت ترغب في ذلك، فأنا لا أهتمّ بالأمر».

قال أرلندور: «أنا لا أنتقدك».

«هذا ما تظنّه».

«هل كنتما قريبين من بعضكما؟».

«في السابق، اعتدنا أن نثمل معاً، ولكنّني أقلعت عن شرب الكحول بعد ذلك، وأدرت ظهري لتلك الحياة التعيسة، فهذا ما عليك فعله إن رغبت في أن تعطيك الحياة فرصة ثانية. ولم أرَه بعدها سـوى بضع مرّات، وكنّا نلتقي أحياناً عندما كنت أضعف وأعـود إلـى حالـة الإدمان مجـدّداً، وظلّ الحال هكـذا لفترة من الزمن، وغالباً ما كان ينتهي بي الأمر إلى العودة إلى الإدمان».

«هل عشتما معاً؟».

«أجل، فقد تشـاركنا غرفة قذرة في سـكيبهولت لسنة كاملة، وكنّا نتشارك فيها العديد من الأمور، فكان هانيبال شخصاً وحيداً، ولكنّـه كان صديقـاً وفيّـاً، وأعتقـد أنّها كانت أطـول فترة قضيتها برفقته، وقد كان...».

توقّفـت لأخـذ مجّـة من سـيجارتها ثم تابعـت: «كان رجلاً جيّـداً، رغـم أنّـه أحياناً قد يكون غريباً، ومـمّـلاً ومتقلّب المزاج،

إلّا أنّه كان متفهّماً ويملك قلباً طيّباً، فلم يعاملني يوماً بدونية».

نفثت سحابة من الدخان من فمها وقالت: «لقد كان صديقاً عزيزاً بالنسبة إليّ، وما حدث له كان مروّعاً».

«هل كنت تعلمين أنّ أحداً كان يضمر له الحقد؟ هل أتى على ذكر خوفه من أحد ما؟ كأشخاص أغضبهم في السابق مثلاً؟».

«اعتاد هانيبال أن يقحم نفسه في شجارات كبيرة أحياناً، فقد كان يفقد أعصابه ويتشاجر مع الناس لأتفه الأسباب، لكنّني لا أستطيع التفكير في أيّ أحد يرغب في إيذائه».

«في آخر مرّة رأيتُه فيها، ظهرت على وجهه كدمات».

قالت ثوري: «لم تكن تلك المرّة الأولى، ولكنّ الفرق أنه أستطاع مجابهتهم عندما كان بكامل قوّته، وفي النهاية لم يعد ندّاً لأحد».

«حسناً، ألا تستطيعين تذكّر أيّ شخص كان خائفاً منه أو..؟».

أجابت ثوري بسرعة: «لم يكن خائفاً من أحد، ولم يكره أحداً أيضاً، عدا الأخوين على ما يبدو».

«أكره الأخوين اللذين سكنا في المنزل المجاور له؟».

«طُرد من القبو بسببهما، واتّهماه بأنّه من أشعل الحريق في المكان، ولكنّهما هما من أشعلاه للتخلّص منه، ولم يصدّقه مالك المنزل، فانتهى به الأمر إلى الإقامة بجوار أنابيب الماء الساخن».

«هل تواصل هانيبال معهما بعد ذلك؟».

t.me/t_pdf

«لا أعلـم، لكنّـه لـم يتكلـم عنهما بالخير أبـداً، فقد دعاهما بالمجرمين».

«هل تعلمين ما كان يقصد من ذلك؟».

«لا، فلـم يفسّـر لـي الأمر أبداً، لكنّنـي أتذكّر أنّه كان يخاف منهما كثيراً، هل انتهينا من هذا الاستجواب؟ يجب عليّ العودة إلى الداخل».

«أجل بالطبع، شكراً لمساعدتك».

أضافـت ثـوري، بعـد أن فتحـت بـاب الملجـأ: «لقد ذهبت لأجمع أغراضه عند خطّ الأنابيب بعد عدّة أيّام من عثور رجال الشـرطة على جثّته، لكنّهم غالباً أخذوها وأرسـلوها إلى عائلته، على الأقلّ هذا ما أعتقده، وآمل ألّا تكون قد سُرقت».

«بالطبع لا».

توقّفـت ثـوري عنـد المدخـل، وقالـت: «لم تكـن أغراضه تسـاوي الكثيـر علـى كلّ حـال، فلـم يكن من النـوع الذي يخزّن الأشـياء الثمينة، لكن كان لديه حقيبة صغيرة تحتوي على بعض الكتـب والأغـراض الشـخصية التي احتفظ بهـا طويلاً، واختفت كلّها الآن».

«أنا متأكّدٌ من أنّ الشرطة قد أوصلت ممتلكاته إلى عائلته».

قالت ثوري: «أردت شـيئاً لأتذكّره من خلاله، شـيئاً مثل... على أيّ حال، اختفى كلّ شيء، ولم أجد سوى قرط».

«قرط؟».

«أجل، وجدته ملقى تحت الأنابيب».

مكتبة

«عثرت على قرط في المكان الذي كان ينام فيه؟».

«أجل؟».

«أي نوع من الأقراط؟».

«بـدا قرطـاً جديداً، وكبير الحجم وذهبي اللون، كان جميلاً حقّـاً، ولا بـدّ أن هانيبـال قـد عثـر عليـه في مكان مـا، ثم أضاعه تحت الأنابيب».

17

كان قد مرّ النصف الأوّل من شـهر تموز، والصيف قد بلغ أشـدّه، لكنّ الليالي بقيت منعشـة، ودفع الجوّ الجميل الكثير من النـاس إلـى قضاء الوقت في الخارج، فكانت الحانات مزدحمة، وعنـد انتهـاء دوام العمـل كان الجميـع يندفعـون إلى الشـوارع، ويسـتمتعون بالتجـوال في الأمسـيات المنعشـة، حيـث يكملون السهر في حيّ أوستورفولور أو في حديقة هلجومسكالاغاردور بجانـب البحيـرة. وكانت الزجاجات تنفتح ويتشـاركها الجميع، ويعلو الصراخ في الأزقّة حين تمرّ فتاة حسناء. وفي الوقت نفسه، لـم يكـن الأمـر يخلو من وجـود مفتعلي المشـاكل، والمجرمين سـيّئي السـمعة، الذيـن يتجوّلـون فـي المدينـة وهم فـي حالات متباينة من الثمالة مفتعلين الشجارات بحثاً عن أشخاصٍ يدينون لهـم بالمـال. وكانـت الشـرطة تُلقي القبض عليهـم وترميهم في السجن، ولكنّ الأمر كان يتطلّب ثلاثة شرطيين على الأقلّ حتّى يسيطروا عليهم. كما كانت حالات الاقتحام شائعة جدّاً، فقد كان السـارقون يسـتغلّون عطلة الأسبوع تلك لينهبوا المنازل الفارغة، وكان الأمـر منوطـاً بالجيـران الذين لـم يغـادروا منازلهم للإبلاغ عن تلك السرقات.

وفي عطلة نهاية الأسـبوع تلك، انشـغل أرلندور في العمل،

وشـهد حادثتيـن خلالها، ففي ليلـة الجمعة، لاحظ أحد الجيران في إحدى ضواحي فوسـفوغور أشـخاصاً يتحرّكون خلسة خلف منزل مهجور أسفل الوادي، وعندما وصلوا، قاد أرلندور السيّارة بهـدوء مـن دون إصـدار ضجّة وركنها بجانب المنزل، ثم أغلقوا الأبواب بحذر كي لا يصدروا صوتاً، وذهب مارتن باتجاه مقدّمة المنـزل، بينمـا دخـل أرلندور وغاردر من الحديقـة، فكان الباب الخلفي مفتوحاً، وقد كُسـر أحد ألواحه الزجاجية، فتسـلّلوا إلى المنزل لكنهّم لم يستطيعوا سماع أيّ حركة في الداخل. وعندما دخلوا، وجدوا أنفسـهم في غرفة جلوس أنيقة حيث كانت امرأة في منتصف العمر ممدّدة على الأريكة باسترخاء، وبيدها زجاجة شراب، ثم سمعوا ضجّة قادمة من الرواق، فبقي غاردر مع المرأة بينما تسلّل أرلندور باتّجاه غرفة النوم الرئيسية، وعندما نظر إلى الداخـل رأى رجـلاً منحنيـاً أمام عـدّة دروج، وقد وجد صندوق مجوهـرات، يهـمّ بإفـراغ محتوياتـه بين يديه، قبـل أن يضعها في جيوب بنطاله.

راقبـه أرلنـدور لدقيقـة أو اثنتين، ثـم صاح بصوت حادّ: «ما الذي تفعله؟».

قفـز السـارق مذعوراً، وأطلـق صرخة عالية، ثم هرب دافعاً أرلندور قبل أن يتمكّن الأخير من القيام بأيّ حركة، ففقد أرلندور توازنه، وحاول الإمساك بالسارق، ولكنّه فرّ هارباً من غرفة النوم وهو يتفحّص غرفة الجلوس حيث كان غاردر يحرس حبيبته، ثم توجّه مباشرة إلى الباب الأمامي، وفتحه ليصطدم بمارتن، الذي

دفعه بقوّة فوقع على الأرض. عندها وصل أرلندور وساعده في تكبيلـه بالأصفـاد، وأخيـراً وضعاه في سـيّارة الشـرطة. فلـم يكن السـارق مشـتبهاً به سـابقاً، وعند سـؤاله عن اسمه لـم ينبس ببنت شفة.

لـم يستطيعوا التعرّف إلى شريكته، التي لا تزال نائمة بعمق، إمّا من شدّة الثمالة أو من شدّة الإرهاق، فهي غطّت في نوم عميق في أثناء السـرقة، ولـم تسـتفق حتّى بعد أن قبضوا على شـريكها، فتناقشوا حول ما سيفعلونه بها، ولـم يرد غاردر أن يوقظها بنفسه، لكن توجّب عليه ذلك، فربت على ركبتها محاولاً إيقاظها، وبعد عدّة محاولات فتحت عينيها وحدّقت إلى رجال الشرطة الثلاثة.

سألت: «ما الذي تفعلونه هنا؟».

سألها مارتن: «ما الذي نفعله نحن؟ ماذا عنك؟».

«لا، أنا أعني...».

قال غاردر: «أخشى أنّه عليك أن ترافقينا».

استقامت في جلوسها، ثم قالت: «لا.. أعني... ماذا تريدون؟ أين دودي؟».

تبادلوا نظرات ساخرة، لأنّ اسم التحبّب هذا لا يلائم مجرماً كالرجل الذي احتجزوه في السيّارة.

سأل مارتن محاولاً حبس ضحكته: «دودي؟».

«ما الذي..؟ أين هو؟».

قـال غـاردر وهـو يمدّ يده إليهـا: «دودي ينتظرك خارجاً في السيّارة، ما رأيك في الانضمام إليه؟».

وفي النهاية، لم يتمكّنوا من أن يحدّدوا أكانت المرأة لا تزال ثملة، أم أنّها لم تصحُ تماماً من نومها، فرمقت الرجال الثلاثة بملابسهم السوداء الموحّدة، قبل أن تقبّل يد غاردر وتتّكئ عليه وهو يخرجها من المنزل، وظلّت ممسكة بزجاجة البراندي، وأخذت منها رشفة كبيرة ثم مرّرتها إلى غاردر.

«أترغب في القليل؟».

«لا، لا بأس، احتفظي بها أنت، يمكنك مشاركتها مع دودي».

تجنّب أرلندور النظر إلى عيني مارتن، الذي كان يضحك بصمت محاولاً ألّا يصدر أيّ صوت، في حين انهال دودي على المرأة بالضرب فور دخولها إلى السيّارة، فمن الواضح أنّه لم يكن راضياً عن أدائها بصفتها مراقبة، وصرخ في وجهها بصوت ساخط: «أيّتها الحقيرة السكّيرة».

ردّت المرأة عليه بحدّة: «أوه، لم لا تصمت فقط؟»، وطأطأت رأسها، فقد بدت معتادة على تحمّل شدّة غضبه.

18

قرّر أرلندور زيارة الأخوين مجدّداً، فقد أراد أن يستجوبهما أكثر عن حريق القبو، فقد وصفهما هانيبال بالمجرمين، وكان فضول أرلندور يزداد كلّما اكتشف دليلاً جديداً حول هذه الحادثة.

استجمع أفكاره وهو في طريقه إلى منزل الأخوين، فتذكّر القرط الذهبي الذي وجدته ثوري في ملجأ هانيبال، وكانت قد أخبرته أنّ في إمكانه رؤيته عندما يزورها. ولكن كيف انتهى الأمر بالقرط تحت خطّ أنابيب ساخنة بحقّ الله؟ من المستحيل أن تكون ريبيكا قد فقدته هناك، فهي لم تكن تضع قرطين، وذكرت أنّها لم تذهب إلى هناك أبداً حتّى بعد موت أخيها، ولم يكن لنساء الشرطة أيضاً، فعلى الرغم من وجود نساء مجنّدات منذ زمن في الشرطة في وحدات أخرى، ولكنّهنّ في وحدتهنّ ولم يبدأن العمل في الميدان حتّى هذا الصيف، وذلك ينفي وجودهنّ في مكان الحادثة السنة الماضية.

من جهة أخرى، ربما عثر عليه هانيبال خلال تجواله في المدينة، كما تتوقّع ثوري، إذ تؤكّد أنّ لديه عينين ثاقبتين تنجذبان إلى الأشياء الثمينة الملقاة في القمامة، ومن الواضح أنّ ثوري امتلكت الموهبة نفسها، وإلّا ما كانت لتعثر على القرط تحت الأنابيب.

أخيراً، سألها أرلندور قبل أن تودّعه وتدخل الملجأ: «كيف يمكن لامرأة أن تفقد قرطها؟»، عندها ابتسمت في وجهه للمرّة الأولى منذ أن بدآ حديثهما، وأجابته أنّه كان قرط كبسٍ، وهذا النوع سهل الانزلاق من الأذن، والنساء يفقدنه طوال الوقت.

سألها: «إذاً لا يتطلّب الأمر قوّة لنزعه؟».

«ليس بالضرورة، بالطبع يمكن أن يقع خلال شجار، لكنّه يقع غالباً من دون سبب».

«هل يمكن للمرأة التي فقدت القرط أن تكون قد تشاجرت مع هانيبال؟».

قالت ثوري: «انظر، من المستحيل أن يضرب هانيبال سيّدة، فقد عرفته منذ زمن بعيد، ولم يضرب امرأة في حياته».

مشى أرلندور على طول سودورغاتا مجتازاً المقبرة، لقد مرّ بهذا الطريق سابقاً خلال نزهاته في المساء، والذي جذبه إليه أنّ أحد الروائيين المفضّلين لديه كان يعيش في هذا الحيّ، وقد لمحه أرلندور مرّتين يتمشّى قرب البحيرة، لكنّه لم يرغب في إزعاجه. وقد كتب هذا الروائي منذ سنوات أحد أكثر الكتب التي قرأها أرلندور إضحاكاً، وهو يتناول قصّة شابّ ينتقل من الريف إلى مدينة ريكيافيك خلال الحرب ليصبح صحفياً. وكان أرلندور يقف عند شبّاك منزله في كلّ مرّة يمرّ من أمام منزله، ويلقي عليه تحيّة خفية. وهناك شاعرٌ أيضاً يحبّ زيارته من وقت إلى آخر، ولكنّه لم يعد في هذا العالم، أمّا رفاته فموجودة في المقبرة القديمة، وقد اعتاد أرلندور أن يسترق النظر من فوق

السياج الأسود الذي يفصل الأحياء عن الأموات، ويرسل تحية إلى إلبينيديكت غروندال.

أصبح في إمكانه سماع صوت الهتافات الصادرة عن مباراة كرة القدم التي تجري في ملعب ميافيلليـر، فقطع هرينغبراوت وتتبّع السياج الأصفر مصغياً إلى صرخات المشجّعين، لكنّه لم يكن يوماً من محبّي كرة القدم ولا يعرف أيّاً من الفرق المشاركة. فهو لم يجرّب من الرياضات سوى الملاكمة، ففي عشريناته رافق أحد أصدقائه من المبنى الذي كان يسكن فيه إلى مركز تدريبه، وتدرّب معه مدّة سنتين بدافع الفضول، وكان مدرّبه ذا بنية قويّة وقبضتين شديدتين، وقد أعاره حينها قفّازيه وأخبره أنّ لديه إمكانات واعدة، ولكن لسوء الحظّ لم يكن في إمكانه الاستفادة منها لا هو ولا أيّ من المتدرّبين هناك، لأنّ الملاكمة ممنوعة في أيسلندا وجلسات التدريب لم تكن محبّذة كثيراً بين الناس، فتوقّف أرلندور في النهاية عن ممارستها ولم يجذبه بعد ذلك أيّ نوعٍ من الألعاب الرياضية.

كانت معرفته بالمدينة التي انتقل إليها عندما كان في الثانية عشرة تزداد يوماً بعد يوم، فعرف مبانيها وشوارعها وسكّانها الأحياء منهم والأموات. حيث انتقل مع عائلته ليعيشوا في منزل يقع على أطراف المدينة، في بناء كان ذات يوم حمّاماً للجنود البريطانيين، وبعد وفاة والده، استأجر مع والدته قبواً غرب المدينة قرب الميناء، حيث اعتاد أن يسلك الطريق الذي يمرّ بالمقبرة، قبل أن يتعمّد الذهاب إلى هناك ليستكشف طرقها

الضيّقة، ويفكّ رموز الكتابة الموجودة على شـواهد القبور، فلم يكـن يخـاف مـن الأموات ولا من المقبرة، رغـم أنّها من الممكن أن تصبح مخيفة في الشتاء عندما تبدو أغصان الأشجار متشابكة في الظلام، لكن عدا ذلك كانت أرواح الموتى الراقدة تبعث في نفسه الهدوء والسلام.

بعد ميافيللير وعبر سودورغاتا كانت تطلّ منشأة أرنارناجنين الحديثة، التي حوت على مخطوطات آيسلندا العائدة إلى العصور الوسطى، كان أرلنـدور قـد زارهـا مرّة ليشـاهد أقـدم كنوز تلك المخطوطـات ألا وهـو مجلّـد كودكس ريغيوس للشـاعر إيدي، وقد تفاجأ حين رأى أنّ المجلّد الذي يحوي على تلك الجواهر الثقافيـة كان متّسـخاً، وذا شـكلٍ غيـر مميّز، عـدا عن كونه صغير الحجم.

استقبله الأخـوان بجفـاء، وسـمحا له بالدخـول حتّى البهو فقط، فلم يرغب أرلندور في البقاء أكثر من اللازم، فدخل مباشرة في صلب الموضوع، وسألهما مجدّداً عن الحريق، مذكّراً إيّاهما بالذي قاله في المرّة السابقة عن الشائعة المنتشرة بأنّهما من افتعلا الحريق ليتخلّصا من هانيبال.

سـأل فيغنير: «ما هذه الشـائعة التي تسـتمرّ في تكرارها؟ هل أنت من ينشرها في الأرجاء؟».

أجـاب أرلنـدور من دون اكتـراث: «كان هانيبال مقتنعاً بها، فقد أخبر كلّ أصدقائه بذلك».

قـال إليـرت ناظراً إلى أخيه: «حسـناً، لسـنا نحـن من افتعل

الحريق، هل هذا ما قاله ذلك المتشرّد العجوز؟».

«هل كنتما تريدان إخراجه من القبو؟».

تبادل الأخوان النظرات لبرهة، فلم يكن برنامجهما المفضّل قد بدأ، وكان التلفاز في غرفة الجلوس صامتاً من دون أيّ صورة أو صوت.

قال فيغنير: «لم يكن ذلك من شأننا، ولم يكن لنا علاقة بالحريق أيضاً، فقد بدأه ذلك المتشرّد بنفسه ونحن أطفأناه، حتى أنه لم يشكرنا».

قال أرلندور: «لكنّه كان يخاف من الحرائق، ولم يكن يتجرّأ على إشعال شمعة هناك، وأنتما قلتما إنّكما وجدتما عقب شمعة قرب الباب حيث بدأ الحريق، ولا أعتقد أنه كان الفاعل».

ردّ فيغنير: «لم تكن الشمعة لنا أيضاً، هل سألت فريمان إن كان هو من فعلها؟».

«فريمان؟».

«ربما كان لديه أسبابه الخاصّة لحرق المكان».

«مثل ماذا؟».

«مثل احتيالاتٍ للحصول على مال التأمين».

«احتيالات تأمين؟».

«كان دوماً يحاول الحصول على المزيد من المال من ذلك المكان، أليس كذلك؟».

«أتعتقد أنّ فريمان..؟».

أجاب فيغنير: «لا أعلم، لم لا تسأله؟ لكنّنا متأكّدان من أنّنا

لسنا الفاعلين، فنحن من أطفأ الحريق بحقّ السماء!».

أضاف أخوه: «إن لم نكن نحن المسؤولين، ولم يكن هانيبال أيضاً، فربما يكون الرجل الذي عليك السعي وراءه هو فريمان».

«هل تواصلتما مع هانيبال بأيّ شكل بعد أن طُرد من المكان؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

أجاب إيليرت: «لا».

وأكّد فيغنير: «أبداً».

«أتتذكّران عندما سمعتما خبر موته؟».

قال إيليرت: «ربما رأيت اسمه في الصحيفة، ألم يكن ذلك العجوز ثملاً كالعادة؟».

«هل كنتما في ريكيافيك في ذلك الوقت؟».

«وما علاقتك بذلك بحقّ السماء؟».

«أكنتما تعرفان أين كان ينام؟».

«لا».

سأل فيغنير: «لماذا تسأل كلّ هذه الأسئلة الغبية؟ من غير الممكن أن تكون مقتنعاً بأنّنا آذيناه، أليس كذلك؟».

سألهما أرلندور بشكل صريح: «هل ألحقتما به الأذى؟ هل كان يعرف عنكما شيئاً لا ترغبان في أن يعرفه؟».

قال فيغنير: «ما الذي تعنيه؟ هل تشير إلى أنّنا من قتله؟».

تبعه إيليرت قائلاً: «نحن؟ كيف توصّلت إلى هذا الاستنتاج بحقّ السماء؟».

التقت عينا الأخوين مرّة ثانية قبل أن يسألهما أرلندور: «ألم

تكونا تبيعان المشروبات الكحولية التي تصنعانها بنفسيكما؟ ألا تهرّبان بضاعة ممنوعة؟».

تفحّـص أرلنـدور بعينيـه كلّ واحـد منهما بـدوره منتظراً ردّ فعلهمـا، ولـم يحتـج إلى أن ينتظر طويلاً فسـرعان ما علا صوت فيغنير صارخاً: «ما كلّ هذا الهراء؟».

قال إيليرت: «اخرج من هنا حالاً، أتسـمعني؟ لا أريد رؤية وجهك في هذا المكان مجدّداً»، ثم دفع أرلندور خارجاً وأغلق الباب خلفه.

19

استيقظ أرلندور قبل منتصف النهار بقليل على صوت رنين الهاتف الذي أصبح يرنّ كثيراً في الفترة الماضية بخلاف العادة، فنهض من سريره ليجيب على المكالمة.

«مرحباً. أنا هالدورا».

«أوه، أهلاً».

«هل أيقظتك؟».

«لا، لا عليك».

«يبدو صوتك بعيداً»

رفع صوته قليلاً، وقال: «هل هكذا أفضل؟ كنت أعمل في نهاية عطلة الأسبوع».

«أنت تعمل دائماً».

«أجل، فقد كلّفوني بالمناوبات الليلية لأسابيع عدّة».

«هل كنت تعمل في الليلة الماضية؟».

«أجل».

«هل حدث شيء مثير للاهتمام؟».

أجاب أرلندور، وقد بدأ يصحو: «أوه، كلّ شيء جرى كالمعتاد، ولا شيء مميّز».

«لا أعتقد أنّ في استطاعتي تحمل العمل ليلاً مثلك، ألا

يفسد سهرك طوال الليل مواعيد نومك؟».

اعترف أرلندور: «يمكن للأمر أن يكون مرهقاً في بعض الأحيان، لكنّه ليس بذلك السوء».

صمتت هالدورا قليلاً قبل أن تقول: «أنا لا أسمع صوتك إلّا نادراً».

«لقد كنت مشغولاً».

«أنا دائماً من يتّصل، ويجعلني ذلك أشعر... وكأنّني أزعجك».

«هذا هراء».

«ربما أنت ترغب في إنهاء العلاقة».

أجاب أرلندور: «أنا...أوه، أرجوك، أنت لا تزعجينني أبداً، الأمر فقط أنّني كنت أعمل كثيراً مؤخّراً».

ساد صمتٌ مُطبِق، ولم يعد يعرف أيّ منهما ما عليه قوله، واستمرّ سائداً حتى ظنّ أرلندور أنهّا أنهت المكالمة، فقال: «مرحبا؟».

أجابت هالدورا: «ظننت أنّه في إمكاننا أن نلتقي ونقوم بنشاط ممتع، فأنا متفرّغة بعد الظهر».

قال أرلندور وهو يحكّ رأسه: « حسناً، رائع، أنا موافق».

«هل تريد الذهاب لحضور فيلم أو..؟».

قاطعها قائلاً: «أو يمكن أن نذهب إلى المدينة، أو ربما إلى مقهىً ما؟».

«الجو جميل اليوم، ما رأيك في أن نذهب للتنزّه ونبتاع

المثلّجات، ثم نقرّر ما سنفعله بعدها؟».

«حسناً، يبدو ذلك جيّداً».

اتّفقا على اللقاء في المدينة ثم أنهيا المكالمة، وأخذ أرلندور حمّاماً سريعاً، وتناول فطوراً خفيفاً واحتسى القليل من القهوة. كانت هالدورا محقّة، فهي التي كانت تتّصل بأرلندور دائماً، وتقترح مواعيد اللقاءات، وهي التي كانت تحافظ على استمرار علاقتهما، أمّا هو فيندر أن يتّصل بها. وكان هناك الكثير من الأمور التي تجذبه إليها، كابتسامتها وهي تتكلّم عن الأشياء التي تحبّها، واهتمامها به عندما يمارسان الحبّ، وحتّى الإعجاب الذي تكنّه له طغى على إعجابه بها، وقد أوشكت حياته أن تكون راكدة وجافّة لولاها، وربما حان الوقت للتغيير، وتجربة مشاعر جديدة، وكسر الرتابة والروتين، ومن يدري ربما كانت هالدورا هي الحلّ لكلّ تلك المشاكل.

لقد تذكّر أرلندور أنّه كان يخطّط للاتصال بريبيكا بعد أن أخبرته ثوري بعثورها على القرط، فقد أعطته رقمها قائلة إنّه يستطيع الاتّصال بها ساعة يشاء، واتّفقا على أن يلتقيا مجدّداً، لكن ذلك لم يحصل حتّى الآن.

ردّت ريبيكا على المكالمة الهاتفية بعد ثالث رنّة، وتبادلا التحيات بشكل موجز قبل أن يدخل أرلندور في الموضوع مباشرةً.

«هل زرت خطّ الأنابيب حيث كان ينام هانيبال؟».

«أتعني عندما كان على قيد الحياة؟».

«أو حتّى بعد مماته».

«لا، أبداً».

«هل ترك أيّ أغراض شخصية؟ هل أعطوك أيّاً من ممتلكاته؟».

«لا، لا شيء عدا بضع بطّانيات وكتب، إضافة إلى حقيبة رثّة، حافظ عليها رجال الشرطة خوفاً من سرقتها، وكأنّ أحداً سيسرق أشياء لا قيمة لها، ولكن لمَ تسأل؟».

«لقد تكلّمت مع صديقة هانيبال التي اعتاد أن يثمل معها، وقالت لي إنّها ذهبت إلى هناك بعد أن مات مباشرة، وعثرت على قرط ذهبي كبير حيث كان ينام».

«أوه؟».

«فكّرت في أنّك ربما تعرفين شيئاً عن الأمر، فأنا لم أرَ القرط بنفسي، ولكنّه مع تلك المرأة، وبحسب ما وصفته يبدو أنه قطعة من مجوهرات ثمينة، لذا...».

«ظننت أنّه ملكي؟».

«لن يضرّ السؤال».

«لكنّني لم أذهب إلى هناك أبداً».

«هل تعرفين أحداً قد يكون زار المكان؟».

«لا، لا يمكنني التفكير في أيّ امرأة قد تكون زارت هانيبال في ذلك المكان البشع، في الواقع أنا لا أعرف أحداً من معارف هانيبال من السنوات الماضية، وأخشى أنّني لن أستطيع مساعدتك في هذا الأمر، ولكنّني أؤكّد لك أنّ القرط ليس ملكي».

قال أرلندور: «ربما لايجدر بي البحث كثيراً في الموضوع، فهناك طرق كثيرة يمكن أن تفسّر وصوله إلى هناك، وقد لا يكون للأمر علاقة بهانيبال أصلاً، ورغبت فقط في أن أتحقّق».

«أتساءل إن كان...».

«ماذا؟».

«لا، لا شيء... لست خبيرة في المجوهرات، لكن بعض النساء يضعن الكثير منها حتّى إنّك يمكن أن تسمع صوت خشخشتها عن بعد ميل، ولكنّني لا أدري ما الذي تريده امرأة كهذه من هانيبال».

قال أرلندور: «هذا ما أعتقدته أيضاً، سأُعلمك إن رأيت القرط على كلّ حال».

«أجل، من فضلك، فأنا أرغب حقّاً في رؤيته».

اتّفقا على أن يلتقيا مجدّداً في ذلك الأسبوع، ثم أنهيا المكالمة، وبعد ذلك توجّه أرلندور إلى موعده في المدينة مع هالدورا، فكان شارداً طوال الطريق وهو يبحث عن تفسير لوجود القرط في ملجأ هانيبال من دون أن يتوّصل إلى أيّ نتيجة، وظلّ يستذكر مكالمته مع ريبيكا أيضاً، فقد كان هناك شيء في كلامها يؤرق تفكيره، لكنّه لم يكن يعرف ما هو بالتحديد. مشى عبر لافغافيغور منغمساً في أفكاره، حتّى كاد أن يصطدم بواجهة المتجر التي أمامه، فتوقّف أمام متجر المجوهرات وتأمّل واجهته، حيث تُعرض خلف الزجاج حِلى متنوّعة الأشكال والأنواع من الساعات إلى الخواتم الذهبية والفضّية، التي رُصّع

بعضها بأحجارٍ ثمينة كالألماس، إضافة إلى الأساور والعقود والأقراط، وكلّها موضوعة في صناديق جميلة حُفر عليها اسم المتجر، فتفحّص أرلندور تلك المجوهرات، ووقع نظره على صندوق صغير يحتوي على قرطين جميلين، وحينها أدرك ما الذي كان يؤرقه منذ حديثه مع ريبيكا.

يمكنك أن تسمع صوت خشخشتها على بعد ميل.

همس أرلندور أمام واجهة الزجاج: «مفتونة بالمجوهرات، لا، لا يمكن».

حدّق إلى القرطين خلف الواجهة، وعلّق قائلاً: «لا يمكن، أليس كذلك؟».

فقد تذكّر فجأة في أثناء وقوفه أمام تلك الواجهة البرّاقة تفاصيل حادثة المرأة التي اختفت وهي في طريقها إلى المنزل في ثورسكافي، فقد كانت مهووسة بالمجوهرات، وتحبّ أن ترتدي كلّ أنواعها، من خواتم وأساور وعقود وأقراط...

نظر إلى الصندوق الصغير بتمعّن، غير قادرٍ على تخيّل العلاقة التي تربط هانيبال باختفائها.

20

كانت الرابعة من بعد منتصف الليل من يوم الجمعة، عندما وصلوا قبل سيّارة الإسعاف إلى موقع حادث السيّارات الضخم في سكولاغاتا، وكانت السماء تمطر، ولم يكن قد بدأ الزحام في الشوارع، ومع ذلك فقد كان هذا ثالث حادث سيّارات يحدث تلك الليلة، ولكنّه كان أكثرها خطورة. فقد أوقع سائق سيّارة جيب عقب سيجارة مشتعلاً على مقعده، وفقد السيطرة على المقود وهو يحاول رميه على الأرض، ما أدّى إلى انحراف السيّارة إلى الاتجاه المعاكس من الطريق واصطدامها بسيّارة أخرى قادمة باتّجاهها، فأصيبت امرأة وابنتها بجروح بليغة، فالمرأة كانت عالقة خلف مقود السيارة مغميً عليها، وابنتها تتألّم على المقعد إلى جانبها، أمّا سائق الجيب فقد كان مذهولاً ومرتبكاً من هول الحادث، وقد غطّت الدماء وجهه نتيجة جرح نازف، وقال حين قاده أرلندور إلى سيّارة الشرطة: «لم أرَ ما حدث، لم أرَ شيئاً، ستكونان على ما يرام، أليس كذلك؟ هل تظنّ أنهما ستكونان على ما يرام؟».

«إنّ سيّارات الإسعاف في طريقها إلى هنا».

«حاولت أن أتفاداهما ولكن كان الأوان قد فات، فاصطدمت بهما، وبعدها حاولت فتح الباب لكنّه كان مغلقاً بإحكام وهما

عالقتان في الداخل، عليكم بمساعدتهما في الخروج».

لم يبدُ الرجل ثملاً، لكنّ أرلندور رجّح أن يجروا له فحص دم في المستشفى أيّاً يكن الأمر، واستطاع غاردر ومارتن بصعوبة أن يفتحا الباب الخلفيّ، ثم زحف مارتن إلى الداخل في محاولة يائسة ليخرج الفتاة من المقعد الأمامي، وكان واضحاً أنّها فقدت الكثير من الدماء التي غطّت وجهها ويديها، وقد سُحقت قدماها تحت لوحة القيادة. أمّا الأم فبدت وكأنّها تعود إلى رشدها، بعد أن ارتطم رأسها بقوّة بالمقود لدرجة أنّه انكسر، ثم ضربته مجدّداً بالزجاج الأمامي، فأغمي عليها، وكان وجهها ينزف أيضاً، فلم يجرؤ مارتن على تحريكها، لكنّه طمأنهما بأنّ فريق المساعدة في طريقه إلى نجدتهما بأسرع ما يمكن، وسينقلهما إلى المستشفى.

أمسكت الأم بيد ابنتها وقالت بصوت هادئ: «سيكون كلّ شيء على ما يرام، لا تقلقي ستأتي المساعدة خلال دقائق، وسيخرجوننا من هنا، وسيكون كلّ شيء على ما يرام». فشدّت الفتاة يد أمّها.

سمعوا صوت سيّارة الإسعاف وهي تقترب، لقد وصل فريق الإنقاذ بسرعة لتحرير الأمّ وابنتها من الحطام، وفي ذلك الوقت بدأ غاردر ومارتن برسم مكان الحادثة، فقاسا المساحات وجمعا كلّ الأدلّة، كما قاسا آثار العجلات، وبعد دفع غاردر عجلة قياسٍ دوّن الأرقام على دفتر ملاحظاته. أمّا أرلندور فقد أخذ على عاتقه تحديد ماركات السيارات التي كانت موجودة وقت الحادثة، ثم راقب عناصر فريق الإنقاذ وهم يحرّرون الأم وابنتها وينقلونهما

على حمّالتين إلى سيّارة الإسعاف، التي انطلقت مسرعة بأضوائها اللامعة وصفّارة إنذارها، أمّا سائق الجيب فقد نُقل في سيّارة الإسعاف الثانية، ثم وصلت شاحنتا نقلٍ لجمع حطام السيّارتين وعندما أنهتا مهمّتهما وغادرتا، وبدا المكان وكأنّ شيئاً لم يحدث فيه، فعاد أرلندور وزميلاه إلى سيارة الشرطة وأكملوا ورديّتهم.

بعد ذلك، ألقوا القبض على رجلين للاشتباه بقيادتهما تحت تأثير الكحول، فأخذوا عيّنات من دمهما وجهّزوا تقاريرهم حول الحادثة، فكان أرلندور يكره الأعمال الورقية، رغم تفهّمه أهمّيتها، فقد كانت تتطلّب الكثير من الوقت حتّى يُلمّوا بكلّ جوانب الحادثة ويسجّلوها، فعليهم أخذ الأسماء وتسجيلها وملء التقارير واحداً تلو الآخر بدقّة متناهية قبل تقديمها إلى المسؤولين، ولا يجب إهمال أيّ معلومات، فالدقّة ضرورية في عملهم.

عندما انتهوا من عملهم، ناقش غاردر ومارتن فرصة حصولهما على إجازة هذا الصيف، لكن أرلندور لم يُعر حديثهما اهتماماً.

قال غاردر: «ربما بعد الاحتفالية السنوية في ثينغفيلير».

سأل مارتن: «أعتقد أنّه سيتوجّب علينا التواجد حينها، أليس كذلك؟».

فقد كانت التحضيرات جارية على قدم وساق للعطلة في آخر شهر تموز، حيث يحتفل الآيسلنديون بالسنوية الحادية عشرة بعد المئة لاستقلال جزيرتهم، وكان أرلندور وزميلاه يحضرون العديد من الاجتماعات حول زيادة المراقبة والوقت الإضافي،

فمن المتوقّع أن يحضر الاحتفالية حشد كبير من الناس في ساحة ثينغفيلير القديمة، وسيكون للشرطة دور مهمّ في فرض الأمن، والتأكّد من أنّ كلّ شيء يسير بسلاسة.

قال غاردر: «إنّه مدهشٌ حقّاً».

«ما هو؟».

«أنّنا استطعنا البقاء على هذه الصخرة مئة وإحدى عشرة سنة».

بعد ذلك استُدعوا إلى شقّة تقع في الطابق الأرضي في وسط المدينة، فقد اشتكى أحدهم من انبعاث ضجيج في المكان، ولكنّهم لم يعثروا على أيّ أثرٍ لذلك، وحين وصلوا كان المكان هادئاً تماماً. خرجوا من السيّارة وتحقّق أرلندور من أنّهم حضروا إلى العنوان الصحيح، وبعد برهة خرج الجار الذي اتّصل بالشرطة من منزله، وقد ارتدى ملابسه على عجلة فوق ملابس نومه.

قال وهو يقترب منهم: «لقد كانوا يحدثون ضجيجاً غير محتمل، ثم هدأ كلّ شيء فجأة قبل وصولكم».

سأله أرلندور: «من يعيش هناك؟».

«مجموعة من الشياطين المدمنين، استولوا على الشقّة ولم يسبّبوا سوى المتاعب، يشغّلون الموسيقى بأعلى صوت، ويرتفع دائماً صوت صراخهم، عدا عن الأصدقاء الذين يأتون ويقودون درّاجاتهم النارية ويتجوّلون حول المكان بأقصى سرعة، يستمرّ الأمر طوال الوقت، ولكن بشكل خاصّ في الليل فيوقظونك من نومك ويزعجون الأطفال. المستأجران شابّان غبيان، وقد اشتكينا

مراراً وتكراراً عليهما، وحتّى حاولنا إخبار مالك المنزل لكنّه لا يفعل شيئاً حيال الأمر».

سأله مارتن: «لم قلت إنّهم شياطين مدمنون؟».

«لأنّ المكان عبارة عن عرين للمخدّرات، فستجدون كلّ أنواع الممنوعات ملقاة في الأرجاء، ومن الواضح أنّهما يبيعان المخدّرات. وقد هدّد أحدهما بضربي اليوم، كان واقفاً هناك يدخّن سيجارة فتجرّأت وطلبت منه ألّا يرمي عقبها على الرصيف، فكاد يتعرّض لي، وأخبرني بأن أقفل فمي. ويمكنكم رؤية أعقاب السجائر حول المكان بأكمله.

«أخشى أنّنا لا يمكن أن نساعدك...».

قفزوا متفاجئين عندما بدأت موسيقى روك قويّة تصدح من الشقّة، كان صوتها مرتفعاً جدّاً، فقال الجار: «ها هما مجدّداً! يستمرّان على هذا المنوال كلّ الليل، أيمكن أن تتخيّلوا كيف نستطيع تحمّل ذلك؟».

«هل يعيش أحدٌ آخر هناك عدا الشابّين؟».

«ليس لديّ أدنى فكرة، فالعديد من الأشخاص يأتون ويذهبون طوال الوقت، ومن المستحيل أن أعرف».

طرقوا الباب لكنّ أحداً لم يجب، فطرقوه بقوّة أكبر، وعندما لم يصلوا إلى نتيجة، لم يجدوا بديلاً من اقتحام المكان مباشرة، فخلع أرلندور الباب ليرى بهواً صغيراً مضاءً بمصباح إنارة يتدلّى من السقف، واستطاع أن يرى غرفة الجلوس حيث تركّز مصدر الضوضاء، فقد كان مشغّل الأغاني جديداً وموضوعاً على الطاولة،

تبعه مارتن وغاردر إلى الداخل، ليجدوا شـابّين مسـترخيين على أريكة مريحة يتشـاركان غليوناً، وقد أحاطت بالشـقّة سـحابة من الدخان الأزرق. كان الشـابّان منتشـيين لدرجة أنّه لم يرفّ لهما جفن عند رؤيتهما لثلاثة شرطيين يدخلون الغرفة.

مشـى غـاردر إلـى مشـغّل الأسـطوانات ورفع الإبـرة عنه، وأخيراً لاحظ أحد الشابّين حصول شيء طارئ في وسط الهدوء المفاجـئ الـذي عـمّ المكان، فقـال منزعجاً: «توقّـف عن هذا يا رجل، لا توقف الموسيقى».

أعلمـه غـاردر: «لقد تلقّينا شـكوى من انبعاث الضجيج في هذا العنوان، وسيتوجّب علينا أن نطلب منكما إيقاف الموسيقى ليتمكّن جيرانكما من النوم قليلاً».

قـال صديقـه: «لمـاذا تزعجنـا؟ اتركنا وشـأننا يـا رجل»، لم يحاول أيّ منهما الوقوف، فقد كانا منتشيين جدّاً، وكانت أعينهما تهيم في عالم آخر ولم يستوعبا ما يحصل.

استطاع أرلندور أن يرى على الطاولة أمامهم وسط كلّ تلك الفوضـى، ثـلاث كعـكات بنّية بحجم محفظـة الجيب، وقد أُخذ من إحداها عدّة قضمات وكان هناك أيضاً ثلاثة أكياسٍ بلاستيكية تحتوي على بودرة بيضاء، إضافة إلى ثلاثة غلايين، وعلبة كبريت وقدّاحات، وعدّة زجاجات من الشـراب وعلب سـجائر، وأوعية مختلفة من الحبوب المخدّرة.

لـم يكـن الجـار يبالـغ عندما قال إنّ المكان عبارة عن عرين مخدّرات، لم يسـتطع أرلندور سـوى الاعتقاد أنّ الشـابين غبيان

حقّاً ليلفتا الانتباه إليهما بإصدار هذا الكمّ من الضجيج عند منتصف الليل، ويبدو أنّهما يحتفلان بوصول دفعة جديدة من البضائع، أو بنجاحهما في عملية تهريب أخرى، ومن الواضح أنّهما أرادا التحقّق من جودة المواد، لكن كان في إمكانهما أن يكونا أقلّ إثارة للشبهات حول الأمر.

راقب غاردر الشابّين بينما ذهب مارتن إلى السيّارة لطلب الدعم، تاركاً أرلندور يستكشف باقي غرف الشقّة، فعثر بعد غرفة الجلوس مباشرة على غرفة النوم التي كانت أرضيّتها مغطّاة بأكوام من الملابس والقمامة، وتمكّن من رؤية غطاء سرير متّسخ في الظلام، وقد تموضع تحته شيء ما يدعو للتحقّق منه. توقّع أرلندور أن يكون ذلك الشيء شريكهما الثالث.

مشى إلى السرير ورفع الغطاء، ليجد تحته فتاة شابّة تغطّ في نوم عميق، وكانت بكامل ملابسها، وقد استغرق الأمر دقيقة ليلاحظ أرلندور أنّ ملابسها توافق وصف الملابس التي كانت ترتديها الفتاة التي اختفت مؤخّراً، فكانت ترتدي بنطال جينز، وسترة زهرية، وحتّى إنّ الحذاء الرياضيّ نفسه، وبالتأكيد لن يكون المعطف المموّه بعيداً عنها. كان الحديث في مركز الشرطة عن أنّها من عائلة محترمة، فقد شرح والداها المطلّقان كيف أنّ ابنتهما خرجت عن السيطرة قبل أن يدركا الأمر، وأصبحت بالكاد تتواصل معهما هذه الأيّام، لذا كان من الصعب أن يعرفا أين كانت تقضي وقتها، ومع ذلك لم تكن تتوانى عن لومهما على الحالة التي وصلت إليها.

ربت أرلندور على كتف الفتاة حتى استفاقت، فالتفّتت واستلقت على ظهرها ثم فتحت عينيها، ولم تستطع التعرّف إلى وجهه في الظلام.

«ماذا... من أنت؟».

«اسمي أرلندور».

«أرلندور... ماذا...؟».

«هل أنت بخير؟».

«هل أنت... هل أنت شرطي؟».

«إنّ أمّك قلقة لاختفائك».

بعدها سمع جلبة آتية من غرفة الجلوس، فقد بدا أنّ الشابّين استوعبا أخيراً الوضع، فهجما على غاردر.

لاحقاً في ذلك النهار الغائم، تصدّرت قصّة حادث السيّارة تلك عناوين الأخبار عبر محطّات الراديو، فأذاع مقدّم البرنامج الخبر بلهجة حادّة ولكن بحيادية، وكأنّه معتاد على تقديم هذا النوع من التقارير، فأعلن أنّ سيّارة جيب مسرعة تسير عكس السير اصطدمت بسيارة قادمة في ذلك الاتّجاه، وهذا أدّى إلى وفاة الفتاة ذات الثمانية عشرة عاماً وهي في طريقها إلى المستشفى، وكانت تجلس في المقعد الأمامي وقت الحادث، ولم يُفصح عن اسمها في الوقت الحالي.

وأعلن مقدّم النشرة بعد عدّة أخبار عن العثور على الفتاة التي فُقدت مؤخّراً، وكانت حيّة وبصحّة جيّدة.

21

نام أرلندور حتّى ظهر اليوم التالي، ثم توجّه إلى سكولاكافي لتناول الطعام، وهو يفكّر بثوري وبالقرط، فشعر بالقلق من إلقاء نظـرة عليـه، وكان يفكّـر في طريقة تقنع ثوري بلقاء ريبيكا خارج عيـادة الطبيـب. وكان ذلـك النهـار حـارّاً وجافّـاً، وقد توسّـطت الشـمس كبد السـماء، فاسـتغلّ الناس ذلك الجوّ الحارّ ليتنزهّوا في الشـوارع مرتدين ملابسـهم الصيفية. نظر أرلندور وهو ينتظر خارج العيادة إلى باكرابريكا على الطرف الآخر من السفح، حيث تموضع حطام أكوام من البيوت الخشبية، كان قد احتدم الرهان حول إن كان من الأفضل هدمها أو الإبقاء عليها كمعالم تاريخية.

علا صوتٌ من خلفه: «لقد أتيت»، كانت ريبيكا.

«أجل، مرحباً».

«كنـت أتسـاءل، هـل ترغب في التنزّه حـول البحيرة؟ الجوّ ساحر جدّاً، وقد كنت محبوسة في الداخل طوال اليوم».

تنزّهـا جنوبـاً على طول لايكجارغاتـا، وانعطفا عند الزاوية قرب متحف إدنو القديم، حيث رأيا مجموعة أهالي مع أطفالهم يطعمـون البـطّ، فعلـت أصوات البطّات وهي تحرّك أجنحتها في المـاء، وتعاركـت حول فتـات الخبز، بينما حـاول الأطفال رمي القليل منه إلى البطّات البعيدة عنهم.

كانت أشعّة الشمس تنعكس على وجهيهما حين تمشّيا على طول البحيرة حتّى الحديقة، وقد تجمّعت طيور خطاف البحر حول الجزيرة الصغيرة في البحيرة، وهي تتعارك مع النوارس ذات الرؤوس السوداء.

أشارت ريبيكا: «إنّ عددها يتناقص كلّ سنة، فالنوارس عدائية جدّاً».

قال أرلندور: «هناك الكثير من طيور خطاف البحر في سيلتجارنارنيس، ربما يمكنها أن تلتجئ إلى هناك».

صمتت ريبيكا قليلاً ثم سألت: «هل هناك أخبار جديدة تتعلّق بحادثة هانيبال؟».

أجاب أرلندور: «ليس الكثير، هل سمعت عن الحريق؟».

«أيّ حريق؟».

«نشب حريق في القبو الذي كان أخوك ينام فيه قبل أن يموت بفترة قصيرة، وقد طرده المالك لأنّه ظنّ أنّه السبب في ذلك».

«هل كان هو السبب؟».

«أستبعد ذلك، فقد أخبرني أنّه يخاف من الحرائق، ومن أن تشتعل في المكان، وعلمت مؤخّراً بأنّ الرجلين اللذين سكنا بجواره كان لديهما أسباب خاصّة للتخلّص منه. لم تعلمي أيّ شيء بهذا الخصوص، أليس كذلك؟».

«لا، فكما سبق لي وأخبرتك، لم أتواصل معه منذ سنوات، ولم أكن أعرف أنّه ينام عند خط الأنابيب حتّى أخبرتني الشرطة بذلك».

«لقد انتقل إلى هناك بعد أن فقد ملجأه في القبو».

«بحثت عنه مرّة في مستشفى الحِمى، منذ ثلاث سنوات تقريباً، وقالوا لي إنّه يأتي إلى هناك أحياناً، ولكنّه يكون ثملاً في معظم الأوقات فلا يقبل الموظّف إدخاله».

«هل بحثت عنه لسبب معيّن؟».

«لا، فقد اعتدت أن أبحث عنه كلّ فترة، وأردت معرفة أحواله حتّى بعد أن فقدت الأمل منه، وفي النهاية لم يستطع أحد إخباري بمكان إقامته».

وصلا إلى الحديقة، فجلست ريبيكا على أحد المقاعد وجلس أرلندور إلى جانبها.

«أشعر بالخجل من الاعتراف بهذا، لكنّني لم أتفاجأ كثيراً عندما سمعت بموت هانيبال، فقد كنت أعلم أنّه سيموت فقيراً ومشرّداً في مكان ما عاجلاً أم آجلاً، حتّى لو لم تكن هذه هي الظروف التي توقّعتها. وعندما اتّصلت الشرطة بي أدركت أنّ للأمر علاقة به، وأنّ حياته قد انتهت، فكنت أتوقّع حدوث ذلك منذ سنوات، لذا كما أخبرتك، لم يكن الأمر مفاجئاً تماماً».

«متى كانت آخر مرّة رأيته خلالها؟».

«صادفته مرّة في ساحة أوستورفولور، كان مع مجموعة رجال متشرّدين مثل حالته، وقتها بدا بحالة جيّدة، فلم يكن ثملاً جدّاً أو تحت تأثير أيّ مخدّرات على حدّ علمي».

«عمَّ تكلّمتما؟».

قالت ريبيكا: «لا شيء مهمّ، فلم يكن لدينا شيء نتحدّث

بشأنه، فقد انتهى كلّ شيء بيننا، وكنّا مثل غريبين يحاولان التحدّث بلباقة، حتّى إنّني شعرت بالراحة حين توقّفت عن المحاولة، فهو كان يعلم مكان إقامتي، وطلبت منه أن يتّصل بي إن شعر بالحاجة إلى ذلك، لكنّه...». نقلت نظرها نحو البحيرة.

«ماذا؟».

«كنت أشعر... شعرت بالأسف حياله عندما فكّرت في الأمر لاحقاً، فلم يكن يسمح لأيّ شخص بأن يشفق عليه أو يتعاطف معه، ولكنّه بدا مختلفاً في ذلك اليوم، بدا محرجاً وخجلاً من نفسه، ولا يريدني أن أعرف نمط حياته، ولم أرَه يتصرّف بهذه الغرابة من قبل».

«كيف انتهى به الأمر هكذا؟ ما الذي جعله ينحرف نحو هذا الطريق؟».

«اعتاد أخونا الأكبر أن يقول عنه إنّه جبان، ولم يستغرق الكثير من الوقت حتّى استسلم، ولم تعد تجدي محاولاته مع هانيبال، فلم يكن يستطيع تحمّل ما حدث له، فضيّع حياته».

«لابدّ أن الأمر كان صعباً وشاقّاً».

«هل تتوقّع أن هانيبال قد قُتل؟».

«لا أعلم، فلا يوجد سبب للتفكير في ذلك، ما الذي أدّى به إلى هذه الحالة بحسب رأيك؟».

«ألم يقل لك؟».

«ماذا؟».

«عن الحادث؟».

«لا، أيّ حادث؟».

«أعتقد أنّ كان لديه نقطة ضعف تجاه الكحول منذ البداية، فهو كان دائماً يعاني من إدمان المشروب، لكن بعد ذلك... بعد ذلك، أصبح وكأنّه لا يحتمل البقاء صاحياً».

«ما الذي تعنينه؟ بعد ماذا؟».

قالت ريبيكا: «سمحا لي بالذهاب معهما في ذلك اليوم، فقد سألني هانيبال إن كنت أرغب في القدوم، وكان دائماً يفكّر في الآخرين، ويفكّر في توفير راحتي، ولكان الوضع مختلفاً حتماً لو لم أرافقهما، فأعتقد أن الخطأ كان خطئي».

«عن أيّ خطأ تتحدّثين؟».

انخفض صوت ريبيكا حتّى أصبح كالهمس حين قالت: «الأمر الذي حدث لها، أسأل نفسي دائماً إن كان بسببي، لم أستطع حتّى الآن أن أجيب عن هذا السؤال».

انتظرها أرلندور حتّى تكمل حديثها، في حين سبحت بجعتان أمامهما، وحدّقتا إليهما، قبل أن تكملا طريقهما.

قالت متابعة كلامها: «يقول أخي إنّ هانيبال كان ضعيفاً، وكان يقسو عليه دائماً، حتّى قبل الحادث. أتعلم أنّ زوجته كانت أخت هيلينا؟ فقد تزوّجا أختين، ولا شكّ في أنّ ذلك كان له أثرٌ كبير على حالته، فلم تسامح زوجته هانيبال أبداً، فقد استعار هانيبال سيّارته ذلك اليوم منذ ثلاثين سنة، وكان يوم سبت».

22

كان هانيبال وأخوه مشـغولين خلال الحرب، فقد عملا في البدايـة لصالـح البريطانيين، ثـم لصالح القوّات الأميركية، وجنيا الكثيـر مـن المال مـن بناء مخيّمات للجيش ووضع الأساسـات لمطـار ريكيافيـك، ونظـام طـرق جديد، ولم يكـن هانيبال يجيد إنفـاق المـال باعتـدال، فقـد كان مرحـاً وكريمـاً، تملـؤه الحيـاة ويستمتع بجمالها. أمّا أخوه فكان على النقيض منه، يعيش حياة قاسية وجافّة بجدّية وحذر شديدين، وهو حريص جدّاً في إنفاق المـال لدرجـة البخل أحياناً، فقد كان يوفّره للمسـتقبل، ولطالما نبّه هانيبال ليهتمّ بأموره المالية أكثر، لكنّه لم يكن يصغي إليه.

وكانت ريبيكا في المدرسة الابتدائية فهي أصغر من أخويها، وكان هانيبال أخاها الأثير، فكان يهتمّ بها، ويتحدّث إليها كندّ له، ويدعوها إلى السينما، ويشتري لها الأزهار والحلوى، ويساعدها في إنجاز واجباتها المدرسية، بينما لم تكن علاقتها قوية بأخيها الكبير، فقد كانت مختلفة عنه جدّاً، ولم تكن تشغل باله أبداً.

تـرك أخوهـا الكبيـر المنزل وتلقّى تدريباً في النجارة واضعاً نصب عينيه إنشاء شركة بناء مع اثنين من أصدقائه، ولم يكن ذلك كلّ شيء، فقد حصل على سيّارة أميركية فخمة عن طريق معارفه في الجيش، وارتبط بفتاة من هافنارفجوردور، كانا قد التقيا بعد

الحرب عندما كان يعمل في وحدة معالجة لأبيها، الذي كان يمتلك مسمكة في المدينة، وكانت لديها أخت صغرى تربطها بها علاقة قويّة، وكانت تدعى هيلينا.

في إحدى الليالي اصطحب الأخوان الأختين في موعد مزدوج إلى السينما، وكانت تلك المرّة الأولى التي يلتقي فيها هانيبال بهيلينا، ومنذ ذلك اليوم لم ينفصلا على الإطلاق.

كانت هيلينا منجذبة إلى كلّ صفات هانيبال التي تحبّها ريبيكا في أخيها، من كرمه وحبّه للمساعدة التي يقدّمها دائماً لأخته، إلى طبيعته المرنة في التعامل مع الآخرين والتي قد تجعله متهوّراً أحياناً، ولكن في الوقت نفسه كان محبّاً للحياة، ولم يكن صعب المراس أبداً أو عصبياً، بل يتعامل دائماً مع المشاكل بابتسامة وهدوء عوضاً عن الغضب، ولكنّ ذلك لم يعنِ أنّه كان ضعيف الشخصية، فعلى العكس تماماً كان قوياً ويعرف ما يريده، فقد كانت ثقته بالنفس كبيرة، وهو يفرض احترامه أمام الأصدقاء الذين ينجذبون إليه.

بعد ذلك بفترة قصيرة، أصبح هانيبال وهيلينا لا يذكر اسمهما إلّا معاً، كانت هيلينا تدرس التمريض، وكانت تماثل هانيبال في بثّ الحياة والحيوية، والتعامل مع كافّة الأمور ببساطة، والنظر دائماً إلى الجانب المشرق. وعندما أتمّا شهرهما السادس معاً، سمعا أنّ أخاه وأختها يخطّطان لإقامة حفل زفافهما في الصيف، ولم يحتج هانيبال عندها إلى مزيد من التشجيع فقد كان يفكّر في هذا الموضوع منذ فترة، فذهب مباشرة واشترى خاتماً ذهبياً

بسيطاً من متجر مجوهرات هافنارفجوردور، ثم احتال على هيلينا لترافقه في نزهة إلى ألفاتانس بينسينسولا، وطلب يدها للزواج عندما كانت الشمس تغيب خلف الجبال غرباً، وأقاموا حفل زواج مشتركاً تخلّلته أغاني الحظّ الجيّد ورفع الأنخاب والرقص حتّى الفجر. وقضيا بعدها شهر عسل قصيراً، وكانت هيلينا قد أنهت دروسها وبدأت في العمل في مستشفى جوزيف حين وقعت الحادثة.

اعتاد هانيبال أن يستعير سيّارة أخيه من وقتٍ لآخر، وكان قد تعلّم القيادة خلال الحرب وبعدها تجاوز الاختبار، لكنّه لم يشترِ سيّارته الخاصة. وكان أخوه متحفّظاً نوعاً ما في إعارته سيّارته، على عكس زوجته التي كانت سعيدة بإعارتها له في المناسبات عندما يكون زوجها خارج البلدة، وكانت ليلة صيفية جميلة، عندما أراد هانيبال أن يأخذ هيلينا في جولة، فتوقّفا أمام منزل والديه في لوغارنس ليساعدا والده في إنجاز عمل بسيط، وعندما عادا إلى السيّارة رأيا ريبيكا بجوار الطريق، وبدت مكتئبة وهي ترتدي فستانها الصيفي، لذا سألاها إن كانت ترغب في الذهاب معهما، فقبلت بسرعة وركبت السيّارة تملؤها السعادة، فقد كان هانيبال دوماً لطيفاً جدّاً معها.

قاد هانيبال السيّارة إلى هافنارفجوردور، واشتروا مثلّجات الشوكولا والفانيليا، وتناولوها مستمتعين بالحديث والضحك ولا سيّما عند رواية هانيبال قصّة سمعها من أحد أصدقائه في العمل. جلست هيلينا في المقعد الأمامي، وكانت تبتسم حيناً

وتضحك حيناً آخر، في حين جلست ريبيكا في الخلف، تستمتع بحلواها وبحديثهما عن حلمهما بشراء منزل في هافنارفجوردور. فقد كانا وقتها قد استأجرا شقّة صغيرة في أقدم مناطق ريكيافيك، وكان يشاع بين الناس خبر البدء بمشروع بناء عقارات سكنية جديدة في كينار.

انطلقوا باتّجاه الميناء، وعلى الرغم من أن هانيبال كان يستمتع بالقيادة إلّا أنه لم يكن سائقاً ماهراً، فقد كان غالباً ما يميل إلى أن يسرع ويفقد تركيزه، واضطرت هيلينا أكثر من مرّة أن تطلب منه الإبطاء. في ذلك الوقت أدرك متأخّراً أنّه يسير بسرعة قصوى وهو شارد الذهن، فانحرف عن الطريق باتّجاه أحد أرصفة الموانئ، فضغط على المكابح، ولكنّ الرصيف كان زلقاً بسبب أكوام السمك التي اصطيدت سابقاً، فانزلقت السيارة على الطين ولم يتمكّن هانيبال من السيطرة عليها مجدّداً، وقبل أن يدركوا ما حصل معهم سقطوا عن الحافة إلى الميناء.

غرقت السيّارة مباشرة في عمق البحر البارد، وكانوا يسيرون والشبابيك الأمامية مفتوحة، فدخلت المياه الباردة إلى السيارة، وعندما اصطدموا بالصخور، ارتطم رأس ريبيكا بقوّة مرّة بالشباك الجانبي وأخرى بالسقف، وفقدت الوعي، فرأها هانيبال تطفو في الخلف غير واعية، بينما كان رأس هيلينا قد تأذى بشدّة بعد ارتطامه بالزجاج الأمامي، وقد غمرها الماء وهي تحت لوحة العدادات وقد علقت على المقعد.

أدرك هانيبال أنّ عليه أن يتصرّف بسرعة، ولكنّه عرف أنّه

لن يتمكّن إلّا من سحب كلّ واحدة منهما على حدة إلى السطح، بينما على الأخرى الانتظار، وخسر لحظات ثمينة في محاولته استيعاب خطورة ذلك المأزق المرعب، فقد كانت زوجته عالقة تحت لوحة العدادات، بينما ريبيكا ملقاة من دون حراك في المقعد الخلفي، فحاولت هيلينا تحرير نفسها عبر الإمساك بيده.

كانت الثواني تمرّ وأخيراً، أمسك هانيبال بأخته وشقّ طريقه خارجاً من الشبّاك الجانبي، وسحبها خلفه، ولكنّ فستانها علق بالباب مما كلّفه المزيد من اللحظات الثمينة وهو يحاول شدّه بقوّة حتى تمزّق القماش وتحرّرت.

وصل إلى السطح وأخذ نفساً عميقاً، فنظر حوله لكنّه لم يجد أحداً، فلم يشهد أحد الحادثة، فشقّ طريقه في الماء ممسكاً بجسد ريبيكا الساكن بين يديه، صارخاً طالباً النجدة حتّى وصل بعد جهد جهيد إلى إحدى دعامات رصيف الميناء، كان يتدلّى منها حبل رفيع فأمسك به ولفّه حول يد أخته، ثم وضعها فوق الدعامة ورفع رأسها فوق الماء.

تركها هناك بعد أن تأكّد من أنّها تتنفّس، ثم أخذ نفساً عميقاً وغطس مجدّداً في المياه الباردة لإنقاذ هيلينا، فلم يكن مصاباً سوى بجرح طفيف في رأسه وألم حادّ في خاصرته، فسبح بكلّ قوّته حتّى وصل إلى السيّارة فدخل من النافذة ليخلّص هيلينا العالقة بين المقعد ولوحة الإعدادات، وكانت يدها التي امتدت إليه سابقاً، تطوف وقد غابت عنها الحياة، فأمسك بها هانيبال لكنّها لم تتحرّك، ثم أمسك بكتفيها وحاول رفعها بكلّ ما لديه

مـن قـوّة، أخيراً، اسـتطاع تحرير إحدى قدميها، ثـم حرّر الثانية، ودفع بها خارجاً من النافذة أمامه.

كان قـد أمضـى حينهـا وقتـاً طويلاً تحت المـاء، وبدأ يبتلع مـاء البحـر، لكنّـه لم يـرخِ قبضته أبداً عن هيلينا، وحين بدأ يعتقد أنّه لن ينجو، وصل أخيراً إلى السطح، وبدأ بالسعال شاعراً بثقل فوق صدره، وأكمل السـباحة رافعاً رأس هيلينا فوق الماء، حتّى وصل إلى المكان الذي ترك فيه ريبيكا تتدلّى عن الدعامة غائبة عن الوعي.

سـيطر الذعـر عليـه، فصـرخ طالبـاً النجدة، ثمّ صـاح منادياً بأعلـى صوتـه ريبيـكا، هيلينـا وهما بين يديـه إلّا أنّ هيلينا كانت قد لفظت أنفاسـها الأخيرة، فصرخ بيأس متوسّـلاً ربّه، ولكن لم يسمع أحدٌ صراخه.

سـبح حاملاً هيلينا إلى سـلم حديدي ضيّق، ثم رفعها فوق كتفـه وبـدأ بالتسـلّق صعـوداً، وكانت كل خطـوة يخطوها بمثابة عذاب شديد له، ولكنّه لم يكن يملك الوقت، وبدأ أثر بقائه طويلاً في الماء البارد يظهر عليه، فحالما وصل إلى رصيف الميناء أخذ يرتجـف مـن البـرد مـن دون توقّف. فوضع هيلينـا على الأرض وأخذ يحاول إخراج الماء من رئتيها، فضغط على صدرها مراراً وتكراراً، وهو ينادي باسـمها ويدعوها إلى أن تسـتيقظ، وأخبرها بأنّ كلّ شـيء سـيكون بخير، فاستمرّ ينادي اسمها طوال الوقت، ثم صرخ طالباً النجدة، ولكن لـم يسـمعه أحد. فقد كان يعلم أنّ الأوان قـد فـات بالرغـم من خـروج بعض الماء مـن فمها، لكنّه

لم يرد الاعتراف بالأمر، وأصبح يدرك تماماً أنّه من المستحيل إنقاذها.

في النهاية، لم يستطع ترك ريبيكا في الماء لوقت أطول، فغطس مجدّداً سابحاً إليها، وحرّرها من الحبل الملتفّ حول يدها، وكانت قد بدأت تستفيق حين حملها على السلّم ووضعها بجانب زوجته، قبل أن يكمل معركته في محاولة إنقاذ هيلينا، وبعد بعض الوقت، لم يجد خياراً سوى أن يتقبّل هزيمته، فجثا منهكاً بجوارها، ووضع رأسه فوق صدرها الخالي من الحياة.

23

سبحت البجعتان قريباً منهما مجدّداً، وأبطأتا على أمل أن تأخذا بعض فتات الخبز من الجالسين على المقعد، فخاب أملهما بعد قليل من الوقت، وتابعتا طريقهما، ثم خفقتا بأجنحتهما على سطح الماء لتحلّقا بعدها برشاقة في السماء متّجهتين شمالاً نحو جبل إيسجا، فتابعتهما ريبيكا بنظرها حتّى اختفتا، ثم قالت: «لم يعد هانيبال إلى طبيعته بعد ذلك اليوم، وكما تعلم، فإنّ مأساة كهذه يمكنها أن تغيّر الشخص، فقد غيّرت مسار حياته بأكملها».

قال أرلندور: «أجل، أعتقد ذلك».

تابعت ريبيكا: «اختفت ملامح وجهه السعيدة، تماماً كالعديد من الأمور الأخرى، فقد خرج عن السيطرة بعد موت هيلينا، ولم يعد الشخص نفسه، ورفض التكلّم عن الحادث، ولم يذكر اسم هيلينا أبداً، ثم بدأ بالشرب حتّى الثمالة، وبدّل العديد من الوظائف، قبل أن يحاول العيش في الريف لفترة قصيرة، وأصبح بعد عشر سنوات من حصول الحادث المتشرّد الذي التقيت به، وفعلنا كل ما في وسعنا، لكن كان من المستحيل إنقاذه من معاقبة نفسه، وفي المرّات النادرة التي استطعنا فيها حثّه على التحدّث عن الحادث كان يستشيط غضباً ويلوم نفسه، وإذا حاولنا مساعدته كان يتّهمنا بالتدخّل بشؤون حياته، فهو لم

يستطيع تحمّل الأمر وحسب».

«حسناً، لام نفسه على ما حدث».

«أجل».

«ماذا عنك؟ لا بدّ أنّ الحادثة شكّلت صدمة لك أيضاً».

قالت: «بالكاد أستطيع تحمّل التفكير في الطريقة التي فرضت بها نفسي عليهما حتّى بعد مرور كلّ هذا الوقت، وما حدث لهانيبال جعلني أشعر بالسوء، فقد كان بمثابة تذكير دائم بالحادثة، كيف انهارت حياته، وكيف عزل نفسه، وكيف عاش، و... آه، لا أعرف...».

«ماذا؟».

«كيف مات، لقد مات هو الآخر غرقاً، بعد كلّ هذه المدّة، يا لسخرية القدر!».

قال أرلندور: «لكن من المؤكّد أنّ نجاتك على الأقلّ كانت نوعاً من العزاء له».

لم تجب ريبيكا.

«أليس كذلك؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

قالت: «لا أعرف، بصراحة لا أعرف، ربما من ناحية ما، أجل بالطبع، لا بدّ من ذلك، ولكن من الواضح أنّ نجاتي لم تكن تكفي، فقد كانت هيلينا كلّ ما يفكر فيه».

«وأظنّ أنّ أخاك الكبير لم يفعل شيئاً لتخفيف الألم».

«لا، كان ذلك شيئاً مختلفاً تماماً، فقد قال هو وزوجته أخت هيلينا العديد من الأشياء التي لم يكن عليهما قولها له، أشياء

أعلـم أنّهمـا ندمـا علـى قولها لاحقاً، أو علـى الأقلّ أخي قد ندم على ما قاله. فسـألاه مباشـرة إن كان قد شـرب الكحول، لأنّهما كانا يعرفان أنّه يمكن أن يكون متهوّراً وأنّه لا يستطيع الابتعاد عن الكحول بشـكل تامّ، لكنّه لم يكن قد شـرب أيّة قطرة، وبالطبع يمكنني أن أشـهد بذلـك، كمـا جرى تحقيق أزال كلّ الشـكوك، وعلى الرغم من ذلك، لم يستطيعا تجاوز غضبهما، وبالكاد تكلّم شـقيقاي بعدهـا مع بعضهمـا، اعذرني لكنّي مقتنعة من أنّ أخت هيلينا كانت السـبب الرئيسـيّ في حصول ذلك، فلم أحبّ تلك المرأة قطّ».

سـألها أرلنـدور: «عندمـا وصلـك خبـر مـوت هانيبال، هل فكرت في علاقتهما على الإطلاق؟».

«في علاقتهما؟».

«بأخيك الأكبر هانيبال».

«لا، ماذا تعني؟».

«ربما خاضا شجاراً؟».

«هذا ما قلته في اليوم الفائت».

«أجل».

أمعنت ريبيكا في التفكير، ثم قالت: «أنت لا تعتقد حقّاً أنّه مـن الممكـن أن يكـون قـد قتـل هانيبال، أليس كذلـك؟ بعد كلّ تلك السـنوات؟ لا، هذا محض غباء، لا أفهم... لا أدري كيف أمكن لأمر كهذا أن يخطر في بالك، فلا شيء ممّا قلته يمكن أن يعطيك سبباً لتوجيه اتّهامات كهذه».

قال أرلندور: «لا، بالطبع لا، بالمناسبة اتّصل أخوك بي بعد حديثنا، ولم يكن سعيداً أبداً».

«لا، أنا... لم أقل له شيئاً سوى فحوى حديثنا، فمنذ عقود لم يتواصل وهانيبال أبداً».

«هل حضرا الجنازة؟».

«أجل، على الأقلّ هو حضر، أمّا زوجته فبقيت في الشمال، إنّه أمرٌ متوقّع منها، فلم يكن في قلبها ذرّة غفران واحدة له، ولكن ليس عليك التفكير في أخي بهذه الطريقة حقّاً، ما كان ليؤذي هانيبال».

«لكنه فعل، أليس كذلك؟ بشكلٍ غير مباشر؟».

حدّقت إليه ريبيكا، متفاجئة وغاضبة، فأدرك في الحال أنه أخطأ في الكلام.

«كيف يمكنك أن تفكّر بهذه الطريقة؟ كيف تجرؤ؟».

«أنا أعتذر، أنا..».

«لمَ أنت فضولي بشأن هانيبال على أيّ حال؟».

«لأنّني تعرّفت إليه لفترة وجيزة قبل موته، وهناك شيء بشأنه، وبشأن الطريقة التي قرّر العيش وفقها، وربما كان الأمر غالباً يتعلّق بالذي قاله لي حين رأيته آخر مرّة، كان قد تعرّض للضرب، لذا اصطحبته إلى مركز الشرطة حيث تحادثنا، وأخبرني عن معاناته وبؤسه، وقال لي إنّه من غير المهمّ إن مات أو عاش، فتساءلت ما الذي جعله يشعر بهذا الإحباط واليأس».

«قال لك ذلك؟».

«أجل، صدقاً، لم أقصد أن أتّهم أحداً، وأرجو أن تعذريني إن فُهم الأمر بتلك الطريقة».

أمعنت ريبيكا النظر في أرلندور، بفمه الحازم، وخطوط الحزن المحفورة عميقاً حول عينيه، ثم قالت: «الموضوع لا يخصّ هانيبال وحسب، فهنالك المزيد».

لم يقل أرلندور شيئاً، فسألت ريبيكا: «هل حدث شيء؟».

«ما الذي تقصدينه؟».

«ما الذي أثار اهتمامك بشأن قصّة أخي بالتحديد؟».

«لقد أخبرتك».

«لا، أنت لم تخبرني شيئاً، على الرغم من أنّني كنت صادقة معك وأخبرتك بكلّ شيء عن عائلتي، وأشعر بأنّك تدين لي بتفسير عن سبب فضولك، السبب الذي جعلنا نجلس معاً ونتناقش في قضية أخي، ولا أعتقد أنّك صادقٌ كلّياً معي».

انتظرت قليلاً إجابته قبل أن تقول: «حسناً؟»، لكنّ أرلندور لم ينطق بكلمة.

وقفت ريبيكا، وقالت: «إذاً ليس لدينا شيء آخر لنتحدّث بشأنه، وداعاً، وأتمنّى أن تحترم قراري وتحافظ على الأسرار التي أخبرتك بها عن عائلتي وألّا تبوح بها أبداً».

تركته ريبيكا يحدّق إلى البحيرة ومشت باتّجاه المدينة، في النهاية وقف أرلندور وناداها: «أنا...كان لديّ أخ أيضاً، مثلك».

توقّفت ريبيكا وهمست: «أخ؟».

«فُقد في الجبال الشرقية، حيث ترعرعنا، كنّا قد ضللنا

الطريق معاً، لكنّهم عثروا عليّ فقط، فأعرف شعورك تماماً عندما تقولين إنّه لا يمكنك تحمّل أن تتذكري كيف خرجت معهما يومها، فعندما تكلّم هانيبال عن معاناته حرّك مشاعر دفينة في داخلي».

بعدها جلس أرلندور وعادت ريبيكا إلى جانبه، فصمتت لبرهة قبل أن تسأله: «أما زلت تعاني؟».

«أفكّر في الأمر كلّ يومٍ تقريباً».

قالت ريبيكا: «لقد عذّبت نفسي على مرّ السنوات، وفكّرت في الحادثة دائماً، لو لم أذهب معهما، لو لم أكن واقفة بجانب الطريق عندما ذهبا، لو كنت ألعب مع أصدقائي عوضاً عن... اعتدت أن أفكر في هذا دائماً منذ صغري، ماذا لو لم يضطرّ إلى القلق بشأن أخته الجالسة في المقعد الخلفي؟ من المؤكّد أنّه كان سيجد الوقت لينقذها، هل كان موتها بسببي؟ هل كان كلّ ما جرى بسببي؟».

اعترف أرلندور بهدوء: «لست غريباً عن تلك الأفكار».

تابعت ريبيكا كلامها: «في أحد الأيّام لاحظت أنّني كنت أقسو جدّاً على نفسي، مستخدمة الحادثة ذريعة لتعذيبها من غير داعٍ، فتوقّفت عن ذلك، إذ لا جدوى منه، لقد أنقذ أخي حياتي، وتدمّرت حياته، وعانيت من هذه المعرفة لسنوات، لكنّني تعلّمت ألّا أربط الحدثين ببعضهما».

قال أرلندور: «لا أعتقد أنّ هانيبال توقّف عن تعذيب نفسه بهذه الأفكار».

«لا، كانت تلك الأفكار رفيقته الدائمة».

«ودمرّته في النهاية».

قالـت ريبيـكا وهـي تنظر إلـى أرلندور: «أجـل، ودمّرته في النهاية».

24

توجّـه أرلنـدور إلـى الملجـأ في أمتمانسـتيغور بعـد مقابلته ريبيكا، فلم تكن ثوري هناك، كما أنّه لم يرَ النساء الثلاث اللواتي كـن يلعبـن اللـودو المرّة الماضية، واتّضـح أنّ ثوري لم تمرّ إلى الملجأ منذ عدّة أيام، ولكن على حدّ علم الناظرة لا تزال مقلعة عن معاقرة الخمر.

سـأل أرلنـدور اثنتيـن من المقيمـات إن كنّ يعرفن ثوري أو يعلمـن أيّ خبـر عنهـا، ولكـن لم تكن لـدى أيّ منهما معلومات عنها، إلّا أنّ إحداهما تذكّرت شيئاً عن استئجارها غرفة مع امرأة أخرى في أقصى الغرب، لكنّها لم تكن تعرف العنوان.

سـار أرلنـدور نـزولاً إلى أوسـتورفولور، حيـث تجمّع عدّة سـكيرين علـى المقاعـد فـي السـاحة، مثبتين أعينهم على أشـعّة شـمس الظهيرة، وقد اختلفت أعمارهم ودرجة ثمالتهم، ورثاثة ملابسـهم، وكان أصغرهـم يبلـغ حوالـي العشـرين عامـاً، وهـو ذو شـعر طويـل وبنيـة قوية، وقد كشـف كمّا قميصـه المرفوعان عن ذراعين تغطّيهما الوشـوم. بينما كان أكبرهم مكسـوّاً بسـترة آيسـلندية تقليدية سـميكة، وكان رجلاً كبيراً في العمر وضعيف البنية وهزيلاً، وقد غطّت وجهه لحية كثّة، وخلا فمه من الأسنان، أمـا الباقـون فتتـراوح مراحـل أعمارهـم بين الشـباب والكهولة،

وكانوا يستمتعون بأشعّة الشمس وهم يتحدّثون إلى جيرانهم، أو يشاهدون العالم بهدوء بتعابير تنمّ عن الوعي والحكمة، وقد ظهر أرلندور ليزعزع أمنهم وسلامهم.

سألهم ولديه بصيص أمل في معرفتهم صاحبة هذا الاسم: « هل رأى أحد منكم ثوري؟».

لم يُبدِ معظم الرجال أيّ اهتمام بسؤاله، ولكن رفع اثنان منهم نظرهما وحدّقا إليه.

«من أنت؟».

قال أرلندور: «يجب أن أجدها بأيّ وسيلة، هل يعرف أحدكم مكانها؟».

قال الشابّ ذو الوشوم: «من ثوري؟».

قال أرلندور: «كانت تقيم في الملجأ في أمتمانستيغور، ولكنّها تركته».

سأل الرجل ذو الوشوم: «أنت تقيم علاقة معها إذاً؟».

ضحك الرجال الآخرون، وراقبوا أرلندور باهتمام، وقد أثار الحديث اهتمامهم.

ابتسم أرلندور، وخطر في باله فكرة أن يكون وحده بين أولئك المثيرين للمتاعب.

«لا، أحتاج إلى أن أتواصل معها فقط».

أصرّ الشابّ قائلاً: «لتقيم علاقة معها؟».

كان الشابّ وسط بيئته الطبيعية، وجلس الرجال الأكبر سنّاً حوله وهم يضحكون.

سألهم أرلندور، موجّهاً الحديث إليهم هذه المرّة: «هل تعلمون أين هي؟».

قاطعه الشابّ وقال: «وجّه حديثك إليّ، لماذا تسألهم؟ ما قصّتك أنت وثوري هذه على أيّة حال؟ أنتما على علاقة أم ماذا؟ هل تخونك؟ ألا تريد أن تقيم علاقة معك بعد الآن؟».

تفحّصه أرلندور لوهلة قبل أن يستنتج أنّه لا بد أنّ يكون ثملاً، فقد كانت عيناه ذابلتين ومنتفختين.

قال الشابّ: «أظنّ أنّني رأيتها منذ قليل، كانت تقيم علاقة مع ستيبي هناك»، ثم أشار إلى الرجل الكبير عديم الأسنان، وانفجر الجميع ضاحكين، ثم دفع الشابّ أرلندور بإصبعه قائلاً: «لم لا تغادر هذا المكان وتتركنا وشأننا؟ قبل أن أضربك».

«لن تضرب أحداً».

«آه، حقّاً؟ هل تراهن؟».

«على رسلك».

قال الرجل مندفعاً نحوه: «على رسلك أنت»، ووجّه لكمة إليه كادت تصيب أرلندور في فكّه لو لم يكن مستعدّاً ليتجنّبها، فقد راوغ وتفاداها مطبّقاً ما تدرّب عليه في الشرطة، فلكمت قبضة الشابّ الهواء، وجعله خوفه من أن يخسر مكانته بين رفاقه أكثر غضباً.

ولكن وبينما كان يستعدّ لتوجيه لكمة ثانية إلى وجهه، لكمه أرلندور على معدته فصرخ ألماً، ثم وجّه إليه لكمة ثانية، فضربتين قويتين متتاليتين، مطبّقاً ما تعلّمه في أثناء تدريب التصويب على

كيس ملاكمة، فانهار الرجل وجثا على ركبتيه، وانكمش على نفسه ممسكاً بمعدته من شدّة الألم، فرفعه أرلندور وثبّته ليتأكّد من ألّا يقع على وجهه مباشرة، ثم قال بهدوء للرجال الذين كانوا يشاهدون النهاية المفاجئة للقتال: «إذاً لا أحد منكم يعرفها؟».

فقال الرجل الذي يخلو فمه من الأسنان ناظراً إلى صديقه الذي كان يعاني، وهو يلتقط أنفاسه: «أنا أعرفها، لكنّني لم أرَها منذ زمن بعيد، أظنّ أنّها تركت الشرب، وهي تديرُ وإحدى صديقاتها حانة بولين، وتدعى سفانا، يمكنك أن تحاول الاستفسار عنها هناك».

«سأفعل ذلك».

تقدّم الآخرون لمساعدة الشابّ المصاب، لكنّه دفعهم بعيداً، وهو يشاهد بامتعاض أرلندور يتوجّه نزولاً نحو بوسثرستريتي.

كان أرلندور يعرف بولين (ذا بول)، فقد كانت حانة مخصّصة لمدمني الكحول، وتديرها امرأة ممتلئة الجسم، تعيش منذ زمن في كوبنهاغن، في مقاطعة كريستيانيا وهي سيّئة السمعة. وكانت تلتزم بزوّارها الدائمين، وتدعوهم بالزبائن، بينما دعاهم الآخرون بالحثالة، إذ كانوا من المشرّدين مثل هانيبال، والمرأة من الملجأ، والرجال الذين كانوا يملأون مقاعد ساحة أوستورفولور.

كان المكان خالياً عندما نظر أرلندور عبر الباب، ولم يكن متأكّداً من أنّه مفتوح، ولكّنه لمح المالكة منحنية خلف المشرب، تنقل صناديق مملوءة بالزجاجات.

«سفانا؟».

رفعت المرأة رأسها ونظرت إلى أرلندور.

«أجل».

«قيل لي إنّك تعرفين ثوري وفي استطاعتك إخباري أين يمكنني إيجادها».

«ومن أنت؟».

«تكلّمت معها في الملجأ في أمتمانستيغور منذ عدّة أيام وعليّ أن أوصل إليها رسالة».

عادت سفانا إلى نقل الصناديق: «مرّت فترة منذ أن أتت إلى هنا آخر مرّة، فقد تركت الشرب، وهي لا تظهر في هذا المكان عندما لا تشرب».

«سمعت أنّها استأجرت مكاناً في برادريديشولت، هل يصادف أنك تعرفينه؟».

«لماذا تريد رؤيتها؟».

«الأمر شخصي».

«هل أنت أحد أقاربها؟».

فكر أرلندور بسرعة، فالكذب سيكون الخيار الأفضل بما أنّ العذر قد أُعطي له بسهولة، وسيكون البديل عنه مشاركة معلومات لا شأن لسفانا بها.

«أجل».

«ثوري المسكينة، إنّها فتاة لطيفة، ولكنّها مدمنة ولا أمل منها، سررت كثيراً عندما سمعت أنّها تحاول ترك الكحول، فقد سبق لها أن حاولت عدّة مرّات، ولكن انتهى بها الأمر دائماً إلى

العودة إلى احتساء الكحول، وكأنّ الشياطين تستولي عليها، وهي تعيش قرب المسمكة في برادريديشولت، أمام ملعب كرة القدم، وأبلغها تحياتي، وأتمنى أن تكون أمورها جيّدة، وأنّها لم تضعف مجدّداً».

تعقّب أرلندور ثوري بعد أن حصل على رقم المنزل من سفانا، فكان المكان عبارة عن غرفة قبو في بناية مؤلّفة من طابقين ذات جدران إسمنتية جرداء، وكان للغرفة مدخلها الخاصّ، وهي مواجهة لحديقة ذات أرض قاحلة، وعندما طرق أرلندور الباب تفاجأ بأنّه لم يكن مغلقاً بل كان مشقوقاً شقّاً ضيّقاً، وتنبعث من الداخل أصوات مكتومة، فدفع الباب ودخل، خوفاً من أن تكون ثوري تواجه مشكلة ما.

كان المكان أشبه بخزانة للمكانس منه إلى غرفةٍ، فقد كان مليئاً بقمامة جمعتها ثوري، وتبعثرت على الأرض ثياب قديمة وعلب طعام، إضافة إلى أكياس بلاستيكية، حتّى إنّه رأى عربة تسوّق في إحدى الزوايا، وكانت قطع الأثاث الموجودة في المكان عبارة عن أريكة قديمة وسرير مبقّع، وكانت ثوري مستلقية عليه محاولة أن ترتشف زجاجة ميث، بينما كان بيرغموندور يقيم علاقة معها وهو لا يزال في معطفه القذر.

25

لـم يلحـظ أيّ منهما أرلندور، فتسـلّل إلـى الخارج مجدّداً، دافعاً الباب خلفه، ثم التفّ حول المنزل وتوجّه إلى الشارع متمنّياً لـو لـم تقـع عيناه على هذا المشـهد المقزّز، ولكـن لم يعد باليد حيلة، إلّا أنّه كان هناك أمران واضحان، وهما إيجاد بيرغموندور ثوري التي استسلمت للكحول مجدّداً.

التفّ بيرغموندور حول الزاوية بعد خمس وعشـرين دقيقة متبختـراً علـى الطريـق باتّجـاه البلدة مـن دون أن يلحظ أرلندور مختبئـاً بيـن الأبنية، وهو يراقبه حتّـى اختفى باتّجاه هرينغبروت. فانتظر أرلندور خمس دقائق أخرى قبل العودة إلى الحديقة وطرق البـاب بقـوّة أكبـر من المرّة الماضية، ولكن كان الباب مغلقاً هذه المرّة كما كان عليه أن يقرعه ثلاث مرّات قبل أن يسـمع صوتاً، ثم فتحت ثوري الباب.

سألت متمتمة: «ما كلّ هذا الضجيج؟».

سألها أرلندور: «أتذكرينني؟ تحدّثنا في الملجأ بالأمس».

قالت ثوري: «لا، من أنت؟ ولم عليّ تذكّرك؟».

كانت ترتدي تنّورة وسـترة ضيّقة، وتدخّن سـيجارة سـقط رمادها على الأرض عند قدميها.

«كنت أسألك عن رجل يدعى هانيبال».

حدّقت ثوري جيداً إلى أرلندور وهي لا تزال لا تستوعب شيئاً، ثم دخلت إلى الشقّة تاركة الباب مفتوحاً وراءها وقالت: «كنت أعرف هانيبال»، تبعها أرلندور إلى الداخل، وانحنت لتلتقط زجاجة شفّافة تحتوي على بقايا سائل ضبابي، وكرعت منها، ثم مسحت فمها بيدها، وجلست على السرير، وكانت قد انتشرت عدّة قنانٍ من الميث على الأرض، ففكّر في أنّها لابدّ أن تكون ضريبة الحبّ.

قال أرلندور: «أخبرتني بأنّك ذهبتِ لزيارته قبل أن يموت عند خطّ الأنابيب حيث كان ينام، وبأنّك احتفظت بشيء عثرت عليه لاحقاً بعد أن غرق، وتساءلت إن كنت تسمحين لي برؤيته، فقد قلت إنّ في إمكاني القدوم وإلقاء نظرة عليه».

نظرت إليه ثوري وقد بدأت تتذكّر قليلاً، ثم قالت: «أنت؟ صديق هانيبال، إنّني أتذكّر الآن، ما كان اسمك؟».

«أرلندور».

«أحد أصدقاء هانيبال؟».

«هذا صحيح، عثرت على قرط ذهبي تحت خطّ الأنابيب، وعرضتِ أن تريني إياه».

وضعت ثوري الزجاجة على فمها مجدّداً، وبدت مكتئبة: «لقد عدت إلى الشرب من جديد، كنت قد نجحت في ترك هذه العادة لأشهر، ولكنّني عُدت إليها الآن، أنا مثيرة للشفقة، حقّاً مثيرة للشفقة، وهذا أسوأ ما في الأمر، فسابقاً، لم أكن أشرب مع أيّ كان، أتعلم؟ كنت أرافق أناسا جيّدين وراقين، واعتدت

أن أحظى بالمرح، وأتناول مشروبات راقية، أمّا الآن فأنا كالكلب أشرب من الزجاجة»، ثم لوّحت بزجاجتها لتؤكّد كلامها: «أنا لا شيء سوى لعينة ثملة».

لم يعلم أرلندور ما يجب عليه قوله، لذا ظنّ أنّه من الأفضل أن يُبقي فمه مغلقاً، وتفحّص الغرفة الصغيرة القذرة، كانت حالتها بائسة، وقد حاولت الخروج من ذلك الوضع المزري عدّة مرات ولكنّها عادت إليه في كلّ مرّة، فسألها: «هل تتذكّرين القرط؟»، كان راغباً في إنهاء هذه الزيارة بأسرع ما يمكن، فقد كانت تفوح رائحة كريهة ربطها حتماً بصورة ثوري وبيرغموندور معاً على السرير.

أجابته ثوري: «أجل طبعاً، فأنا من وجده، أليس كذلك؟ أتظنّني نسيت؟ ذلك مستحيل، فهو تميمة الحظّ الخاصّة بي».

سأل أرلندور: «هل يمكنني أن أراه؟ هل هو لديك الآن؟».

«لماذا تريده؟».

«أما زلت تملكينه؟».

«أنا أعرته... رهنته».

«أنت ماذا؟».

لوّحت ثوري بالزجاجة مجدّداً، وقالت: «تمكّنت من الحصول على مشروب مقابله».

«هل بعته من أجل الكحول؟».

وضحت ثوري: «كحوليات منزلية الصنع، على كلّ حال أنا لم أبعه بل رهنته فقط، وسأستردّه حين أمتلك المال، ويمكنك

رؤيته عندها، ولماذا تريد رؤيته؟ فليس من شأنك، أنا من وجدته وهو ملكي، وإن رغبت في بيعه فسأبيعه، ولست بحاجة إلى أذنك».

شعر أرلندور بأنّها تنوي افتعال شجار، لذا حاول أن يستميلها بأسلوب لطيف، وقد استغرق الأمر وقتاً لابأس به، ولكنّه ظفر برضاها في النهاية، وأقنعها بأن تعطيه عنوان الموزّع الذي تتعامل معه.

أخيراً، سألها حين هدأت: «هل كنت تعلمين بأنّه سبق لهانيبال أن تزوّج؟».

«أجل».

«هل أخبرك عن الحادثة التي وقعت عندما كان شابّاً؟».

قالت ثوري: «أعرف كيف فقد هيلينا، مع أنّه لم يكن يحبّ التكلّم عن هذا الحادث مع أحد، صحيح أنّه أخبرني لكنّ الأمر لم يكن سهلاً بالنسبة إليه، فلم يكن من الأشخاص الذين يعبّرون عن مكنونات قلوبهم بسهولة».

قال أرلندور: «لا، لم يكن كذلك، هل أتى على ذكر أخيه الأكبر؟ أو زوجة أخيه؟».

«لا، هل لهما علاقة بالأمر؟ لم يذكرهما هانيبال أبداً».

«إذاً أنت لا تعرفين إن كان أخوه في المدينة حين مات هانيبال؟».

«كيف لي أن أعرف ذلك؟ ما الذي ترمي إليه بحقّ السماء؟».

قال أرلندور: «لا يهمّ، سمعت ذلك منه، هذا كلّ ما في

الأمر، فلم يكن هانيبال ودوداً تماماً».

«أيّاً يكن الأمر، فلا علم لي بأيّ شيء».

رمت ثوري نفسها على السرير وبيدها زجاجة الشراب، وحاولت إخراج سيجارة من العلبة المهترئة، ولم يحالفها الحظّ في ذلك، فأخذ أرلندور العلبة من يدها وأخرج سيجارة وأشعلها لها، ثم قال قبل أن يهمّ بالخروج: «ربما عليك الذهاب إلى أمتمانستيغور».

ردّت ثوري: «أجل، أجل، أجل، فقط اتركني وشأني».

كان موزّع ثوري يملك مكاناً في سكيرجافجودور، قرب المطار المحلّي، وحسب قول ثوري فهو يصنع الكحول بطريقة غير قانونية داخل مرآبه الصغير الذي كان خارجاً منه عند وصول أرلندور، فتبادلا التحية، وبدا الرجل حذراً منه قليلاً، وكان قصير القامة، وذا حدس قوي.

سأل وهو يقفل باب المرآب: «هل يمكنني مساعدتك؟».

أجاب أرلندور: «أرسلتني ثوري»، مستغلّاً حقيقة أنّها إحدى زبائنه.

«ثوري هاه؟ كيف حالها».

«سيئة، فقد وضعتها سمومك في وضع يُرثى له، هل لديك القرط الذي رهنته لديك؟».

«قرط؟».

«القرط الذهبي الذي أعطتك إيّاه مقابل الشراب، قالت لي إنّه معك».

«وما المشكلة إن كان معي؟».

قال أرلندور: «أريد شراءه منك، بالسعر نفسه الذي دفعته لثوري، فكم تكلّف زجاجة من مشروباتك الكحولية منزلية الصنع؟».

«نعم، أنا لست...».

لم يرد أرلندور تضييع الوقت في المجادلة، فقد كان مرهقاً من التجوال طوال اليوم فقال: «أوقف الهراء، أنا شرطي، وأعلم أنّني لو دخلت إلى مرآبك فسأجد أجهزة استخلاص ومتجراً للمشروبات الممنوعة، وأنا متأكّد أيضاً من أنّك تقوم بعمل جيّد في تهريب الكحوليات الباهظة من خارج البلاد».

كرّر الرجل: «شرطي؟».

قال أرلندور: «انظر، كلّ ما أريده هو القرط، أعلم أنّه في حوزتك، أعطني إيّاه وسأتركك وشأنك».

تردّد الرجل قبل أن يقول: «لا جدوى من التمسّك بقرط واحد».

وافقه أرلندور: «تماماً».

«وهو ليس مصنوعاً من ذهب، إنّه قطعة خردة، فقد سُمته وتبيّن أنّه مجرّد صفيحة بلا قيمة».

«أتعني أنّك أعطيت ثوري ما يزيد عن قيمته؟».

«لا، ليس تماماً، إنّه لا يساوي الكثير فقط لذا.. يمكنك... يمكنك أخذه إن أردت».

انتقلت عينا الرجل إلى باب المرآب، وفهم أرلندور أنّه كان يحاول أن يخرج من المأزق بأقلّ الخسائر الممكنة.

26

تفحّص صائغ المجوهرات القرط بتمعّن قبل أن يخبره بأنّه لم يصنع شيئاً مثله، ثم أضاف: «ليست قطعة سيّئة. الصفيحة الذهبية سميكة قليلاً، وصياغته جيّدة».

سأل أرلندور: «لكن ماذا عن اللؤلؤة؟».

«اللؤلؤة أصلية، لكنّي لم أصنع هذه القطعة ولم أبعها أيضاً».

رجّح الصائغ بحسب رأيه المهني أنّه لم يكن قديماً، فالموديل لا يزال رائجاً في هذه الأيّام، وكان حجم القرط كبيراً، ومؤلّفاً من حلقتين كبيرتين متّصلتين معاً، وقد انفصلت عن الحلقة السفلى الأصغر لؤلؤة صغيرة بيضاء. وكانت بشكل عام قطعة جذّابة ذات جودة عالية، ومن المحتمل أنها مصنوعة تحديداً لأحد ما، مع أن الصائغ لم يميّز صانعها، فمن الممكن أن تكون ابتيعت من ريكيافيك أو من أيّ مكان آخر في آيسلندا، أو حتّى من الممكن أن تكون من خارج البلاد كلّها.

لم يبدُ القرط سيّئاً جداً بالنسبة إلى كونه وجد عند خطّ أنابيب ماء ساخن، فمن المحتمل أنّه بقي هناك لوقت طويل قبل أن تلمحه ثوري يلمع في عتمة النفق، لقد أطلقت عليه حينها تميمة حظّها، لكنّه لم يجلب لها الكثير من الحظّ حتّى الآن.

مرّ يومان منذ أن حصل أرلندور على القرط من موزّع ثوري،

وكان يحمله معه أينما ذهب منذ ذلك الوقت، دارساً إيّاه بتمعّن تحت مصباح مكتبه، لكنّ لم يكن لديه أيّة فكرة عن الأسرار التي من الممكن أن يخبّئها، أو إن كان له أيّة علاقة أصلاً بقصّة هانيبال. فقد يكون عثر عليه بالصدفة على الأغلب، لكنّه كان القطعة الوحيدة التي لا تلائم الأحجية، والتي ظلّت من دون تفسير، وبصيص الأمل الوحيد في ملجأ هانيبال القذر.

أعاد الصائغ القرط إليه، وكان ثاني خبير يسأله أرلندور عنه على أمل الوصول إلى صاحبته، فقد كان يتبع الاستراتيجية الوحيدة التي استطاع التفكير فيها، ألا وهي أخذ القرط إلى كلّ صائغ في ريكيافيك.

علّق الصائغ: «يا لها من هدية كريسمس جميلة، ليست باهظة جدّاً، لكنّها جميلة، تبدو كشيء يمكن أن تهديه لزوجتك في عيد زواجكما، أو في عيد الميلاد، ويمكنني أن أصنع شبيهاً له إن أردت»، كان يرتدي معطفاً أبيض ونظّارة مكبّرة تتدلّى من سلسلة حول رقبته.

قال أرلندور: «شكراً، لكن ما من داعٍ، كنت قد عثرت عليه فقط وأتمنّى أن أستطيع إرجاعه إلى صاحبته».

قال الرجل متفاجئاً: «كم يبدو تصرّفك نبيلاً».

«لا ضرر من المحاولة».

تابع الصائغ قائلاً: «الكبسة بحال جيّدة، لا خطب فيها، لكنّ كبسات كهذه يمكن أن تفلت بسهولة، وفي الواقع قد تضيع معظم الأقراط هكذا، ولكن العديد من النساء لا يحببن فكرة

ثقب آذانهنّ».

«كيف يمكن أن تقع؟ هل يجب أن تُشدّ بطريقة ما أو يمكن أن تسقط وحدها؟».

أجاب الصائغ مؤكّداً ما قالته ثوري: «تسقط الأقراط من دون سبب، فكبسات الأقراط تختلف أنواعها، ولكن ما الذي عنيته بأن تُشدّ؟».

«لنفترض أنّ مالكها كان منخرطاً في شجار مثلاً».

«أجل طبعاً، ذلك بديهي».

فحصت امرأة شابّة القرط بتمعّن في المتجر الثالث قبل أن تقول إنّها لم تميّزه، ولكنّها أضافت أنّها تعمل في هذا المتجر منذ سنتين وهي تتدرّب لتصبح صائغة فضّة، لذا من المحتمل أن يكون قد بيع قبل أن تبدأ العمل فيه، وأخبرته أنّ مالك المتجر خرج لبرهة وسيعود قريباً وأنّه من الممكن أن ينتظره، وكانت معجبة جدّاً بمحاولته إيجاد صاحبة القرط، فلم تقابل أبداً شخصاً ذا ضمير حيّ مثله، وكونها لم تكن مشغولة أبدت رغبة في الدردشة معه، ولكنّها سرعان ما أدركت أنّها تضيّع وقتها.

كان أرلندور يزن خياراته، إمّا بالعودة لاحقاً أو انتظار المالك الذي وبحسب قولها سيعود قريباً، ففُتح الباب ودخل منه رجلٌ طويل، متجاهلاً كليهما، ثم أغلقه خلفه بقوّة.

همست الشابّة: «هذا هو، وسيحصل على الطلاق قريباً»، كانت تبدو محرجة من تصرّف الرجل.

قال أرلندور من دون تعاطف: «أوه»، فهو لم يجد ضرورة

في أن تطلعه على هذه المعلومة.

لحقت المساعدة بمديرها، ثم خرج بعد بضع دقائق من مشغله، وقد ارتدى معطفاً أبيض، فاستغرب أرلندور أنّ صائغي المجوهرات يرتدون معاطف بيضاء كالأطباء أو الكيميائيّين، لكنّه انتبه إلى أنّ عملهم يتطلّب نفس دقّة إجراء عملية جراحية أو تجربة كيميائية.

سأل الرجل من دون مقدّمات: «أيمكنني رؤيته؟».

سلّمه أرلندور إياه، وتعرّف إليه الصائغ مباشرة. قال: «إنّه واحد من أعمالي، لقد صنعت زوجين منه منذ عدّة سنوات، وإن كانت ذاكرتي لا تخونني، قد بعتهما في الوقت نفسه تقريباً، أفهم أنّك قد فقدت القرط الآخر، هل تريدني أن أصنع بديلاً عنه؟».

قالت الشابّة: «لا، لم يفقده، بل عثر عليه ويريد إعادته لصاحبته إن استطاع».

قال أرلندور: «هذا صحيح، كنت أتساءل إن كان في إمكانك مساعدتي في العثور على صاحبته».

قال الرجل: «أنا لا أُبقي سجلّاً لمبيعاتٍ صغيرة كهذه، فلم أتقاضَ الكثير مقابلها»، كان حقّاً طويلاً جدّاً وقد لامس المنضدة.

«لكن هل في إمكانك...».

«ولكن عند التفكير في الأمر، أتذكّر أنّ أحد الزوجين أُرسله إلى التصليح، فأنا أبيع المجوهرات مع كفالة، وكلّ ما أبيعه يكون مكفولاً». ثم وضع العدسة فوق عينه وألقى على القرط نظرة فاحصة.

«لا أستطيع معرفة إن كان هو الذي أُصلحته، فلا يوجد أيّ أثر على أنّ اللؤلؤة كانت مرتخية، لكنّني أتذكّر أنّ إصلاحه لم يكن معقّداً، لذا ليس من المفاجئ أن يكون غير ظاهر».

«لا يمكنك العثور على اسم صاحبته، أليس كذلك؟».

وضع الرجل القرط على المنضدة ثم قال: «انتظر لحظة».

ابتسمت له الشابّة ابتسامة مشجّعة قبل أن يعود الصائغ من مكتبه حاملاً مجلّداً كبيراً، وبدأ بالبحث فيه، قال: «لديّ سجلّ للإصلاحات»، وبدأ يقلّب بين الفواتير والإيصالات والملاحظات حتّى وجد أخيراً ما يبحث عنه.

أخرج وصلاً من المجلّد: «ها هو، إصلاح ضمن الكفالة، يذكّرني ذلك بشيء».

سأل أرلندور: «ما اسم المرأة؟».

قال الصائغ: «ليس موجوداً على الفاتورة، أتذكّر الأمر الآن، لقد كان رجلاً من ابتاع القرطين، وقد أزلت اسمه بسبب التصليحات، لكنّه هنا على الوصل يمكنك أن تتعقّبه، فلم ألتقِ بزوجته أبداً، لذا لا أعلم إن لاءمها، وأعتقدُ أنّه قال شيئاً عن هدية عيد ميلاد، لكنّني يمكن أن أكون مخطئاً»، ثم مرّر الوصل إلى أرلندور، الذي حفظ الاسم ثم أخذ القرط وأعاده إلى جيبه قبل أن يشكرهما.

قال الصائغ قبل خروجه: «إنّك تتصرّف بضمير حيّ».

«أفعل ما في وسعي».

في تلك الليلة، حصل على كلّ المعلومات الضرورية من

ملفّات الشرطة، ثم توجّه إلى فوسفوغور، وكانت على بعد نصف ساعة سيراً على الأقدام، وبعد وقتٍ قصير، كان يقف أمام منزل صغير ذي سقف مستوٍ في أحد الشوارع الهادئة، وقد أصبح الزوج يعيش فيه وحيداً، ولم يلمح أيّ حركةٍ في الداخل وكانت الستائر مُسدلة، ربما لم يكن الزوج موجوداً، وكان الاسم على وصل الصائغ يعود إلى نفس الرجل الذي بلّغ عن فقدان زوجته السنة الماضية والتي خرجت للسهر مع أصدقائها في ثورسكافي ولم تعد بعدها، ووصفتها ملفّات الشرطة بأنّها مهووسة بالمجوهرات، وقد أهداها زوجها قرطين جميلين قبل اختفائها بنحو السنة. أصبح أرلندور متأكّداً من أن ثوري قد عثرت على أحدهما في ملجأ هانيبال القديم.

مكتبة
t.me/t_pdf

27

كانت ليلتهم صاخبة على غير العادة، ففي البداية استُدعوا لفضّ شجارٍ في مبنىً سكني، وتبعه شجارٌ آخر أمام إحدى الحانات، ثم أوقفوا ثلاثة سائقي درّاجات بتهمة الإسراع في القيادة، وكان من بين الحالات التي أوقفوها حالة مرتبطة بمراهق لا يملك رخصة قيادة، كما كان يقود سيّارة مسروقة، وإضافة إلى كلّ ذلك كان ثملاً. وقد لاحظوه عندما لمحوا السيّارة تسير بشكل مضطرب وعلى غير هدى على طول ميكلابروت، فشغّلوا مصابيح سيّارتهم، ولحقوا به بسرعة قصوى، فحاول الهرب باتّجاه طريق بريدهولت وهو يقود بسرعة جنونيّة، ولكن السيّارة كانت قديمة ومهترئة ومن نوع كورتينا ذات المحرّك الصغير، لذا لم يجدوا صعوبة في قطع الطريق عليه، ولكنّ المراهق قفز إلى خارج السيارة وهرع جنوباً نحو كوبافوغور، وكان مارتن الأسرع في الجري بينهم، فأخذ نفساً عميقاً وانطلق بسرعة خلفه، فتمكّن من أن يقبض عليه أخيراً. وطوال الفترة التي استغرقها وصولهم إلى المستشفى لإجراء فحص الدم، لم يكفّ المراهق عن توجيه الشتائم إليهم، ولكنّهم لم يكترثوا له، وبعد ذلك اعتُبرت القضية مغلقة، إذ كانت جنحته الأولى، ولم يكن لديهم سبب كافٍ لإبقائه في الحجز تلك الليلة، لأنّهم عندما أبلغوا مالك السيّارة

بالعثـور عليهـا لـم يرغب في الادّعـاء على المراهق الأحمق كما سـمّاه، وفي كلّ الأحوال وبحسـب رأيه لم تتضرّر سـيّارته، كما أنّه لم تمضِ سـوى سـاعات قليلة على اختفائها، وهو لم يشـعر بسرقتها حتّى أيقظته الشرطة من نومه وأبلغته بالعثور عليها. ومن جهة أخرى استشـاط والد المراهق غضباً، واضطروا إلى تهدئته قبـل أن يُطلقـوا سـراح الصبي ليعود برفقتـه، وقد قال الأب وهو يدفع ابنه أمامه خارج مركز الشرطة: « لا يأتيني منك شيء سوى المتاعب».

تلك الليلة، كان أرلندور هادئاً أكثر من العادة فسـأله غاردر إن كان بخير حين انتهت ورديتهم، فقال: «بخير؟ طبعاً»، فهو لم يخبر أحداً سوى ريبيكا عن تحقيقاته الخاصّة التي تجعله طوال الليل لا يكفّ عن التفكير في مصير المرأة من ثورسكافي.

أصرّ غاردر: «هناك شيء يشغل بالك».

«لا، لا شيء».

«هل أنا ومارتن مضجران إلى هذه الدرجة؟».

«حسناً، أقّر بأنّكما لستما بصحبة مثيرة تماماً».

ضحـك زميـلاه، وذهب كلّ فـي طريقه، فاتّجه أرلندور إلى منزلـه وهـو ينعـم بشـمس الصباح الدافئة، وقد شـغل ذهنه صور متتالية لهانيبال والقرط والمنزل في فوسفوغور الذي كانت تقيم فيـه المـرأة المفقـودة، والطريق إلى منزلها من ثورسـكافي حيث فُقـدت. فلـم يسـتطع أن يتخيّـل الصدفـة التـي أدّت إلى وصول قرطهـا إلـى ملجـأ هانيبـال تمامـاً قبـل موته. فقد اختفـت المرأة

وغرق هانيبال في نهاية الأسبوع نفسه، ومع ذلك لم يخطر في بال أحدٍ أن يربط بين الحادثتين، ولا حتّى أرلندور نفسه، لأنّهما كانتا حادثتين منفصلتين تماماً. وفي الواقع، تركّز معظم الاهتمام في العثور على المرأة لدرجة أنّ المحقّقين أهملوا قضية هانيبال التي كانت تبدو بنظرهم قضية واضحة وغير معقّدة.

يعرف أرلندور جيّداً أنّه لا يجدر به التفكير كثيراً في تلك الصدفة، فعلى الرغم من أنّه يرجّح أنّ الزوج قد ابتاع القرطين لزوجته وليس لامرأة أخرى، كأمّه أو أخته أو حتّى عشيقته إن كانت لديه واحدة، ولكن ذلك لا يعني أنّ زوجته فقدته ليلة اختفائها، فبالنظر إلى مكان إقامتها القريب من خطّ الأنابيب، قد تكون مرّت من هناك بشكل متكرّر فأوقعت القرط ذات مرّة وعثر عليه هانيبال، وربما مشت ذات مرّة بالقرب من خطّ الأنابيب قبل أن تنتحر، إذ لم يكن البحر بعيداً عن فوسفوغورأو سكيرجافجوردور حيث يرجّح أنّها رمت نفسها، وربما وقع القرط في حفرة في الجوار قبل أن تنطلق في رحلتها الأخيرة، وأيّاً يكن الأمر فلن يكون لاختفائها أيّ علاقة بغرق هانيبال.

وهناك فرضية أخرى تقول إنّ هانيبال أو صديقاً له قد زاره، بعد أن عثر على القرط في مكان آخر تماماً، أوقعه في النفق. وهكذا فكّر أرلندور في كلّ الاحتمالات الممكنة قبل أن يسمح لنفسه بتخيّل ما حدث واحتمال التقاء المرأة بهانيبال بعد خروجها من ثورسكافي، فعلى حدّ علمه لم يكونا على معرفة ببعضهما، ومن الصعب أصلاً تخيّل الظروف التي قد تجعلهما

يعرفان بعضهما، وبحسب الشهود ذكرت المرأة أنّها تريد العودة إلى المنزل سيراً على قدميها لتصفية ذهنها، وربما سلكت الطريق إلى جانب خطّ الأنابيب، فحصل شيء أوقع القرط، وفي هذا السيناريو من الأحداث كان عليها أن تكون قريبة من ملجأ هانيبال، أو حتّى في داخله.

هل يمكن أن يكون هانيبال قد ألحق الأذى بها؟

تردّد أرلندور في متابعة التفكير في تلك الفكرة متجنّباً الوصول إلى نتيجتها المتوقّعة. ففي النهاية، ربما اعترض شخص آخر طريق المرأة، وتجادلا قبل أن يتحوّل الأمر إلى عراك عنيف، فقدت خلاله قرطها أوّلاً ثم حياتها بعد ذلك، وربما لم يسبق لهانيبال أن رأى المرأة، لا حيّة ولا ميتة.

قلّب أرلندور الأمر في ذهنه مناقضاً نفسه مراراً وتكراراً، قبل أن يقرّر في النهاية أنّ عليه الذهاب إلى خطّ الأنابيب مجدّداً، ولكن قبل ذلك توجّه إلى منزله ليحضر مصباحاً إنارته قويّة، ثم ذهب إلى أوسكجوهيلد فدخل إلى القناة ثم تابع طريقه شرقاً.

لم يكن هناك أثرٌ لفيلهيلم –الرجل الذي استقرّ في المكان محلّ هانيبال– ولا بدّ أنّه وجد مكاناً أفضل ليستقرّ فيه، لكنّ نفاياته بقيت في مكانها – الأكياس والزجاجات البلاستيكية الفارغة، وعبوات الميث– ولا يزال العشب المقتلع مبعثراً حول المدخل، لكنّ المكان بدا مهجوراً تماماً، وحتّى القطط التي كانت تتجوّل حوله قد اختفت.

انحنى أرلندور، وشغّل المصباح قبل أن يدخل إلى النفق،

فانبعث دفءٌ خفيف من داخل الأنابيب، ثمّ بدأ يضعف ضوء النهار في الداخل، ويتّسع النفق المظلم من كلا الجانبين. وقد شقّ أرلندور طريقه على امتداد أميالٍ من الريف، بين جدران الإسمنت القاسية التي بلغ ارتفاعها متراً تقريباً، وقد علتها سلسلة من الألواح المحدّبة التي بلغ طولها متراً أيضاً، وقد ثُبّتت ببعضها بواسطة الباطون، وكان يمكن أن يتّسع المكان بين الأنابيب والجدار لرجل بحجم أرلندور، فيستلقي مسنداً ظهره إلى الأنابيب الدافئة إن رغب في ذلك.

أضاء نور المصباح المكان المظلم عن يساره، في القسم الذي يقابل وادي موسفيلي، لكنّه لم يرَ شيئاً سوى الأنابيب. وحصل الأمر نفسه في القسم الأيمن الذي يقابل أوسكجوهيلد. وكان هانيبال قد اتّخذ بالقرب من المدخل ملجأه، وكان فيلهيلم ينام في المكان نفسه أيضاً حين التقى به أرلندور، وثوري وجدت القرط تحت أحد تلك الأنابيب، فأجبر نفسه على الزحف مسافة أطول محاولاً السيطرة على شعوره بالخوف، فتغلغل عميقاً في كلّ من الطرفين باحثاً عن أيّ أثرٍ للمرأة من ثورسكافي.

وشعر براحة كبيرة عندما خرج من داخل الأنابيب إلى الهواء الطلق، فلم يكن من محبّي الأماكن الضيّقة والمغلقة، ثمّ بدأ بتفحّص العشب حول المدخل، وأخذ يوسّع منطقة البحث شيئاً فشيئاً بشكل منظّم، ولكنّه لم يجد سوى كرة غولف نصف مطمورةٍ في الأرض، فهي على الأرجح حديثة الوجود هنا، وبالتأكيد لا يمكن توقّع أنّها تعود إلى فترة نادي الغولف، وتذكّر

أنّ الولد الذي التقى به تلك الليلة في كرينغوميري أتى على ذكر أحدٍ من هافياساليتي يتدرّب في هذا المكان.

وضع أرلندور الكرة في جيبه وعاد إلى منزله، وكان الوقت ظهراً والسماء صافية وخالية من الغيوم كأغلب أيّام ذلك الصيف. فحاول جاهداً استبعاد فكرة لقاء هانيبال بالمرأة المفقودة، ولكن لم يكن من مهرب من حقيقة أنّ هانيبال كان يعيش في خطّ الأنابيب حين اختفت، وأنّ قرطاً يخصّها وُجد في ملجئه.

ولم يكن من الصعب ربط الحادثتين معاً، كما لم يستطع أرلندور إبعاد احتمال مسؤولية هانيبال عن اختفاء المرأة، على الرغم من صعوبة تقبّل ذلك، ولم يعد يعرف كيف سيستمرّ في البحث عن الأدلّة والتحقيق في القضيّة من دون إعلام المسؤولين، فهل يبلغ دائرة البحث الجنائي باكتشافاته؟ أم أنّ الوقت لا يزال مبكراً على ذلك؟

أسرع إلى المنزل وحاول أن يفكّر في ما عليه القيام به، وهو يتخيّل هانيبال يجلس على مقعد في الساحة وفي القبو، كما رآه شبه متّكئ على السياج الحديدي في أرنارهول، فهو كان متشرّداً مجنوناً ولا يثبت في مكان محدّد. كما فكّر أيضاً في الحادثة في هافنارفجوردور التي أودت بحياة زوجته، وتساءل: أيعقل أنّه كان منتشياً من السكر أو تحت تأثير المخدّرات حين التقت به المرأة مِن ثورسكافي؟

لم يتمكّن أرلندور من الجزم في الأمر.

شعر براحة كبيرة حين لم يجد أيّة أدلّة جديدة في النفق،

ففكـرة أن يكـون هانيبـال قـد رأى المرأة مارّة مـن أمامه، وجرّها إلـى الداخـل مـن دون أن تتمكّن من الهـرب كانت فظيعة، فعلى الأقلّ لم يجد جثّتها في النفق، وهذا جعله متأكّداً من أنّ لا علاقة لهانيبال بالحادثة.

استعاد أرلنـدور محادثـة أخرى جرت مـع هانيبال، كان قد تكلّـم خلالهـا عـن معاناته. فهل كان هانيبال على حافة الانهيار؟ وهـل كان علـى أرلنـدور أن يعـرف أنّه يشـكّل خطراً على نفسـه وعلى الآخرين؟

ولم يعرف ما عليه أن يفكّر فيه.

28

رأى أرلندور هانيبال آخر مرّة قبل أن تعثر الشرطة على جثّته بفترة قصيرة، وكان ذلك في ليلة هادئة، وقبل نهاية ورديته بوقت قليل، ولم يكن هناك الكثير من الاستدعاءات ليلتها، كما لم يكن يرافق أرلندور في السيّارة سوى شرطي مخضرم يدعى سيغورغير. وفي تلك الليلة أوقفا ثلاثة سائقي درّاجات بتهمة الإسراع في القيادة، وأمضيا معظم وقتهما في إجراء فحوص الدم، وإتمام الأعمال الورقية، وأتبعا ذلك بتقرير عن محاولة اقتحام في لوغافيغور، حيث نجح السارقون في الهروب، بعد أن رأتهم شاهدة وهم يحاولون فتح الباب الخلفي لمتجر ساعات، ولكنّ الحظّ لم يحالفهم في السرقة إلّا أنّهم اختفوا قبل وصول الشرطة.

وبينما كان سيغورغير يقود السيّارة في هافنارستريتي، سمعا عبر المذياع أنّ السارقين قد اعتقلوا وهم يحاولون السرقة مجدّداً.

وجد أرلندور نسخة قديمة من جريدة الثيدابلاديد في السيّارة، وكان مستغرقاً في قراءة سلسلة سويدية مترجمة تدعى (ذا لافينغ بوليسمان)، تدور حول إطلاق نار في حافلة في ستوكهولم. وبحث من دون جدوى عن اسم المؤلّف، فأخبره سيغورغير الذي كان على اطّلاع على القصّة بأنّ شخصين قد ألّفاها، وهو

يظـنّ أنّهمـا زوجـان، ثمّ قال فجأة بعد أن أبطأ سيرالسـيّارة: «من هذا بحقّ السماء؟».

أبعد أرلندور عينيه عن الصحيفة، ورأى رجلاً مستلقياً أمام المزراب، وكان يرتدي معطفاً أخضر.

«هل هو هانيبال؟».

قال سيغورغير: «أفهم من هذا أنّك التقيت بهذا الأحمق من قبل».

«صادفته عدّة مرّات».

أوقفـا السـيّارة، وترجّـلا منهـا ثمّ توجّها إليـه. فكان هانيبال بالفعل، وهو في حالة سيّئة، فقد غطّى الدم وجهه بسبب إصابته بجرح في رأسـه، ربما يعود إلى تعثّره وسـقوطه على الأرض أو إلى تعرّضه للضرب المبرّح.

نخزه سيغورغير بحذائه قائلاً: «هانيبال!».

وركع أرلندور بجانبه، وأمسك بيده، فوجدها باردة كالثلج، وحاول إيقاظه، فسمعه يطلق أنيناً ضعيفاً.

فسأل زميله: «ألا يجب علينا طلب سيّارة إسعاف؟».

قال سيغورغير: «لا حاجة إلى فعل ذلك، فهو بخير، ألست كذلك، يا هانيبال؟».

فتـح هانيبـال عينيـه ونظـر إلـى أرلنـدور، وسـأله: «هل هذا أنت؟».

«هل أنت بخير؟».

تأوّه هانيبال مجدّداً، وقال: «هل ذهبوا؟».

«من تقصد؟».

«أولئك الهمجيون اللعينون».

«ماذا حدث؟».

تمكّن هانيبال من تغيير وضعيته ليجلس متّكئاً إلى عمود إنارة بمساعدة أرلندور، وقال: «لقد هاجمني ثلاثة منهم. إنّهم همجيون لعينون!».

«من كانوا؟».

«كيف لي أن أعرف؟ فلم يسبق لي أن رأيتهم».

قاطعهما سيغورغير: «أنت بخير حقّاً، ألست كذلك أيّها العجوز؟ أتستطيع النهوض والمشي من دون مساعدة؟».

قال هانيبال وهو يصرّ على أسنانه، من شدّة الألم في جانبيه: «أنا بخير»، وكان قد توقّف نزف الجرح الذي كان سطحياً في رأسه.

سأل أرلندور: «أتظنّ أنّك قد تكون مصاباً بكسور في أضلاعك؟».

قال هانيبال: «لقد ظلّوا يضربون جانبيّ، كما ضربوني على رأسي أيضاً، ولكنّني سأكون بخير، فليست المرّة الأولى التي يهاجمني خلالها الهمجيون».

سأله أرلندور: «هل يمكنك أن تنهض؟».

«اتركني وشأني فحسب، سأعتني بنفسي، فلا أحتاج إلى أيّ مساعدة، وخاصّة من أمثالك».

كانت الجملة الأخيرة مصحوبة بنظرة اشمئزاز موجّهة إلى

سيغورغير الذي كان يقف مبتسماً ابتسامة ساخرة وكأنّه غير متأثّر بوضع هانيبال السيّئ.

قال أرلندور: «يجب أن تأتي معنا، يستحسن أن نأخذك إلى المستشفى ليعاينك الطبيب».

«لن أذهب إلى أيّ مستشفى، لا حاجة إلى ذلك، فأنا بخير».

قال سيغورغير: «من المستحيل أن نلطّخ السيّارة بقذارة هذا الصعلوك البائس، وسمعت ما قاله، إنّه بخير تماماً».

ساعد أرلندور هانيبال على النهوض، وقال: «أقلّ ما يمكننا فعله هو أن نقدّم له زنزانة في مركز الشرطة ليتعافى فيها، ونستطيع هناك أن نراقب حالته، وأن نتّصل بطبيب إن احتاج الأمر».

قال هانيبال وهو يتّكئ على عمود الإنارة: «لن أذهب إلى مركز الشرطة».

قال سيغورغير: «سمعت ما قاله، إن كان في استطاعته أن يجادلك، فهذا يعني أنّ حالته ليست سيّئة».

صرخ هانيبال فيه: «إيّاك أن تناديني بالصعلوك البائس»، وتحرّك بسرعة رغم إصابته، ولكم ذقن سيغورغير، قبل أن تتسنّى للأخير فرصة ملاحظة ما سيقوم به.

أمسك سيغورغير بوجهه ثم صرخ فيه غاضباً: «أتظنّ أنّه في إمكانك أن تضربني يا ابن الوضيعة؟»، وكان على وشك الأخذ بالثأر منه حين أمسك أرلندور بيده وقال: «أنت لن تفعل ذلك».

تفاجأ سيغورغير بحركته، ثم أمره: «اتركني».

«فقط إن تركته وشأنه».

تنقّلت نظرات سيغورغير بين أرلندور وهانيبال، ثم بدأ غضبه ينحسر تدريجياً، فأفلته أرلندور.

قال سيغورغير: «يمكنني اعتقاله بتهمة الاعتداء على شرطي».

سأل أرلندور: «وماذا ستجني جراء ذلك؟»، ثمّ وجّه كلامه إلى هانيبال: «ستأتي معنا يا هانيبال»، وساعده في أن يدخل إلى سيّارة الشرطة، وسيغورغير يراقب ما يحصل والحيرة تعلو وجهه غير مدرك ما عليه فعله، ثم جلس خلف المقود، وانضمّ إليه أرلندور بعد أن وضع هانيبال بلطف في المقعد الخلفي.

قال أرلندور مجدّداً: «يمكنه التعافي من إصابته في الزنزانة».

قال هانيبال بغضب: «اتركني وشأني أيّها الشابّ، وتوقّف عن التدخّل في شؤوني»، قبل أن يحاول الخروج من السيّارة، لكن أرلندور منعه من ذلك واستطاع في النهاية أن يهدّئ من روعه، ثم قال مصرّاً: «ستأتي معنا، فأنت بحاجة إلى معالجة إصاباتك».

سأله سيغورغير منزعجاً: «لمَ تقوم بعمل الخير فجأة؟ ولم لا تدعوه إلى منزلك؟».

لم يعد هانيبال يبدي المزيد من الاعتراضات، وأطلق أنيناً خافتاً حين شغّل سيغورغير السيّارة فجأة وانطلق بأقصى سرعة عائداً إلى مركز الشرطة في هيفرفيسغاتا. وكانت كلّ الزنزانات فارغة، فوضع أرلندور هانيبال في إحداها، واستلقى المتشرّد على السرير من دون أن ينطق بكلمة، ثم اتّصل أرلندور بطبيب ليأتي إلى المركز بعد رفض هانيبال اقتراحه بالذهاب إلى المستشفى،

وعندما وصل الطبيب وفحص إصاباته، طمأنه بعدم وجود أيّ ضلع مكسور، لكنّه ترك لهانيبال بعض مسكّنات الألم القوية.

انتهت مناوبة أرلندور بعد ذهاب الطبيب بفترة قصيرة، فأحسّ أخيراً بالراحة بعد نزع قبّعته الرسمية وعصاه وحزامه، وارتداء ملابسه المدنية مجدّداً، فلم يشعر يوماً بالارتياح بزّيه الرسمي، وغالباً ما اعتقد أنّه يبدو مثل الأحمق وهو يتجوّل به في المدينة.

توجّه أرلندور نحو زنزانة هانيبال، وأزال القفل ليرى المتشرّد مستلقياً على ظهره يحدّق إلى السقف بخواء، ففتح الباب ودخل إليه.

«كيف حالك؟».

لم يجب هانيبال، وكانت قد عبقت في المكان رائحته المعتادة الكريهة، وهي عبارة عن مزيج من رائحتي البول والقذارة.

قال أرلندور وقد لاحظ الأدوية المهملة على الطاولة والتي بدا جليّاً أنّ هانيبال لم يمسسها: «لا أتوقّع أنّ علي تذكيرك بتناول المسكّنات التي أعطاك إيّاها الطبيب».

لم يُبدِ هانيبال أيّ ردّ فعل.

تابع أرلندور كلامه: «سيخرجونك غداً ظهراً بالتأكيد، لكنّني طلبت منهم أن يقدّموا لك الغداء أوّلاً».

تابع هانيبال التحديق إلى السقف من دون أن يتفوّه بكلمة.

«هل حقاً لا تعلم هوية الذين هاجموك؟».

لا إجابة.

«يمكننا ملاحقتهم، إن ادّعيت عليهم، فأنت لست مجرّداً من حقوقك بخلاف ما تعتقده، ويمكنك دائماً اللجوء إلينا حين تحتاج إلى ذلك».

اكتفى الرجل بهزّ رأسه.

«حسناً، عليّ الذهاب، اعتنِ بنفسك؟ وأتمنّى أن تتحسّن قريباً».

«لماذا تفعل ذلك؟».

توقّف أرلندور أمام الباب وقال: «أفعل ماذا؟».

«لم تساعدني؟ ماذا تريد منّي؟».

«لا شيء».

«إذاً لم لا تتركني وشأني؟».

«يمكنني فعل ذلك».

«بل عليك بذلك».

قال أرلندور: «حسناً، سأتذكّر ذلك في المستقبل».

«أجل تذكّره، فليس عليك أن تشغل بالك بي».

«حسناً».

لم ينظر هانيبال إليه، لكنّ أرلندور شعر بالغضب يشتعل في صدره، فربما كان غاضباً من واقع الهجوم عليه وتركه مُلقىً أمام المزراب، أو ربما بسبب إحضاره إلى الزنزانة رغماً عنه، على الرغم من أنّ ذلك كان لصالحه، وربما بسبب وصف سيغورغير له بالصعلوك البائس، ولكن أرلندور متأكّد من أنّه غضبٌ قديم

مدفون في داخل هانيبال منذ زمن بعيد، وتغذّيه صعوبات الحياة وقسوتها.

سأل المتشرّد فجأة: «وما الذي تعاني منه؟».

أجاب أرلندور: «لا أعاني من شيء».

«ما الذي تحاول التعويض عنه؟».

«ليس لديّ فكرة عما تتكلّم».

«هكذا إذاً؟».

«أجل، ولكن ما الذي تقصده؟».

قال هانيبال: «أنا أتكلّم عنك».

قال أرلندور: «أنت لا تعرف شيئاً عنّي، فكيف تستطيع التكلّم عني؟».

سأل هانيبال وهو يحاول الجلوس بصعوبة: «متى أخفقت في حياتك؟».

«ماذا تعني؟».

«ما الذي تحاول تعويضه من أفعالك الخيّرة هذه؟».

قال أرلندور: «لا شيء».

«قل الحقيقة، ما الذي تحاول إصلاحه؟ ألهذا السبب تساعدني، لتكفّر عن ذنوبك؟ هل هذا صحيح؟ وهل أنا كفّارتك؟».

بدأ هانيبال بالصراخ فجأة، وهو يحدّق إلى أرلندور الذي وقف أمام باب الزنزانة: «لمَ تفعل هذا؟ هل من المفترض أن أشعرك بنعمة الغفران؟».

«أنت...».

«أخبرني بالأمر».

بدا أرلندور مرتبكاً.

صرخ هانيبال بصوت أجشّ، وهو يستشيط غضباً: «ألهذا لا تستطيع أن تتركني وشأني؟ حسناً، ليس عليك أن تشعر بالأسف تجاهي، ولست بحاجة إلى أن تشفق عليّ فلن تفيدني شفقتك، ويمكنك أن تذهب إلى الجحيم ولن أهتمّ لا بك ولا بعائلتك اللعينة! لا أريد أن يشفق عليّ أحد، وتذكّر جيّداً ما قلته لك».

29

استلقى هانيبال على السرير متجهّم الوجه، وأمسك بخاصرته وهو يئنّ من الألم، فتردّد أرلندور للحظات قبل أن يهمّ بالخروج ويغلق الباب خلفه، ولكنّه في النهاية تركه مفتوحاً، ولم تكن لديه فكرة عمّا حدث للتوّ، ولكنّه يعتقد أنّه من الأفضل أن يحترم رغبة الرجل ويتركه وشأنه، فمشى في الرواق شارد الذهن، مذهولاً بموجة الغضب المفاجئة التي اعترت المتشرّد، وكلمات هانيبال عن الكفّارة والغفران تتردّد في أذنيه بينما كان يغادر المركز، وبالكاد كان مدركاً ما يحيط به، وعندما لحق به أحد عناصر الشرطة، كان حينها قد ابتعد مسافة طويلة.

اقترب منه الشرطي وقال لاهثاً: «يريد ذلك السكّير أن يتحدّث إليك».

«السكّير؟».

«أعني ذلك المتشرّد الذي وضعته في الزنزانة، يريد التحدّث إليك».

«أوه؟».

«أجل، إنّه ينادي باسمك، وكان يصرخ في الرواق مطالباً برؤيتك، ورائحته النتنة تفوح في المكان كلّه».

«أخبره بأنّني رحلت».

قال الشرطي: «كان مصرّاً على التحدّث إليك، إنّه عنيد جدّاً».

تـردّد أرلنـدور، فلـم يرغـب فـي رؤيـة هانيبال وهـو معكّر المزاج.

«لقد هدّدنا، واحتجزناه».

قـال أرلنـدور: «لا يجـب عليكـم فعل هذا، فهـو ليس رهن الاعتقال، لقد تعرّض للضرب المبرح، وهو حرّ في الذهاب متى أراد».

«حسناً، لكنّه لن يرحل قبل أن يتحدّث إليك».

فهزّ أرلندور برأسه.

قال الشرطي: «حسناً إذاً، سنطرده».

«لا تفعل هذا، فهو يحتاج إلى الوقت ليتعافى».

«أوه بالله عليك لماذا لا تتكلّم معه وتهدّئ من روعه وحسب، عندها سيكون الجميع مرتاحين، ألن يكون ذلك أسهل؟».

بعدها عاد أرلندور إلى الزنزانة، وكان هانيبال يجلس سانداً رأسـه إلـى السـرير، ولكنّـه وقـف منتصبـاً حالمـا رأى أرلندور، وبشـكل مفاجئ، مرّر يده بين خصلات شـعره في محاولة فاشلة لتسريحه، فشعر أرلندور بأنّها عادة قديمة، وهي من عادات حياته السـابقة التـي لازمتـه بإصـرار كبير. قد تكـون تلـك الحياة انتهت بالنسـبة إليـه إلـى الأبـد، ولكنّ تلـك الحركة كانـت متأصّلة فيه، آثار عادات تدلّ على الاهتمام بالذات والاحترام الذي كان يكنّه لنفسه. كان غريباً بالنظر إلى حالته الآن، فقد كان معطفه الأخضر الملتصق بجسـمه قذراً بسـبب ظروف حياته القاسية، وممزّقاً من

كثرة الضرب الذي كان يتعرّض له، كما حصل في الليلة السابقة، وكان يضع حول خصره حزاماً جلدياً أسود، وقبعة صوفية بارزة من أحد جيوبه، وقد عقد حول رقبته وشاحاً رقيقاً أخضر اللون، وارتدى بنطالاً أسـود فضفاضاً، بينما انتعل حذاءً مطّاطياً، يفتقد رباطيـه، وجوربيـن صوفيّين يبرزان فوقه، ودسّ طرفي بنطاله في جوربيه اللذين كانا مثبتين برباطين قويين ومرنين، وتحت القذارة التي تغطّيه كان وجهه شاحباً بشدّة، ومليئاً بالتجاعيد، التي تشهد على صراعه اليومي للبقاء على قيد الحياة، فقد تجوّل في أخطر الأماكن في المدينة، أمّا عيناه فكانتا رماديتين وقاسيتين كالحجر، وفقدتا بريق فرح سبق لهما أن اتّسمتا به يوماً ما.

بدأ هانيبال كلامه قائلاً: «شكراً لعودتك».

فسأله أرلندور: «ماذا تريد منّي؟».

«أردت الاعتـذار عـن الطريقة التي تكلّمت بها معك، فليس هناك ما يبرّر فظاظتي، ويهمّني كثيراً أن تعلم بأنّني لم أقصد أيّ كلمـة ممّـا قلتـه، وأتمنّـى أن تتقبّل اعتذاري وتسـامحني على ما اقترفته بحقّك في أثناء سورة غضب».

قال أرلندور: «لا يوجد ما يستحقّ أن أسامحك عليه، فنحن لا نعرف بعضنا، ويمكنك قول ما تريده، فأنا لا أهتم بذلك».

قـال هانيبـال: «أيّـاً يكـن الأمر، سـأكون ممتناً لـك إن قبلت اعتـذاري، لقـد كنـت تتصـرّف بلطـف معـي ولـم يكـن عليّ أن أهاجمك بهذا العنف، وأعرف... أعرف أن نيّتك حسـنة، وعليّ أن أحترم ذلك، ولكنّني أتضايق بشدّة عند تدخّل الناس بأموري،

ولا أتحمّل محاولات توجيهي».

«لا أرغب أبداً في توجيهك».

«أعرف ذلك».

سأله أرلندور: «هل سبق لك أن قابلتهم؟».

«من؟».

«الرجال الذين ضربوك».

«لا، لم يسبق لي أن قابلتهم، ولكنّني قابلت غيرهم».

«هذا يعني أنّك لا تعرف من يكونون؟».

«لا».

«ولا حتّى أعمارهم مثلاً؟».

«كانوا شباناً، صغاراً في السنّ، وينتعلون أحذية باهظة الثمن، وقد لاحظت ذلك عندما بدأوا بركلي، وفي بعض الأحيان يحاول شبّان مثلهم الاستهزاء بي وفي العادة أتجاهلهم، ولكنّني من وقت إلى آخر أتغابى وأفقد أعصابي، وفي أغلب الأوقات تكون النتائج سيّئة».

جلس على السرير وتألّم مجدّداً، وهو يضغط بيده على أضلاعه.

«لن يقضوا عليّ، فهم ليسوا أخطر من الأنذال الذين حاولوا إشعال النار في قبوي».

«ماذا تقصد؟ هل افتعل أحدٌ ما حريقاً؟».

«يلومني فريمان، ولا يستمع إليّ، لكنّني لستُ من أشعل النار، وأقسم إنّني بريء».

«هل تعلم من الفاعل؟».

قال هانيبال ممسكاً بالمسكّنات: «لديّ شكوكي، على أيّة حال، يستحسن أن آخذ هذه الحبوب. أنت لست من ريكيافيك، أليس كذلك؟».

«لماذا تسألني؟».

«هل أنت من الريف؟».

قال أرلندور: «انتقلت إلى هنا عندما كنت في الثانية عشرة من عمري».

«من أين أنت؟».

«من فجوردز الشرقية، إسكيفجوردور».

«ذهبت إلى هناك مرّة، إنّه مكان جميل، وكيف وجدت ريكيافيك؟».

«ليست سيّئة».

قال هانيبال: «إنّها كذلك، أليس ذلك صحيحاً؟ ولماذا انتقلت؟».

«انتقلت إلى هنا مع والدتي من أجل تحسين مستوى معيشتنا».

قال هانيبال: «لقد ولدت هنا في المدينة، في لوغارنيس، وعشت فيها كلّ حياتي، ولا أتمنّى أن أنتقل إلى مكان آخر».

«على الرغم من كلّ ما حدث؟».

فأجاب هانيبال: «لا ألوم أحداً إلّا نفسي، فعلى المرء أن يحاول الاستفادة من الأوضاع التي تحيط به، وأنا أوّل من يعترف

بأنّني أفسدت حياتي بنفسي».

سـأله أرلنـدور: «مـا الذي قصدته سـابقاً عندما تحدّثت عن التوبة؟».

«مجرّد هراء، فأنا أقول كلّ أنواع الأشياء الغريبة أحياناً، لذا لا تهتمّ بالأمر».

«هل أنت متأكّد؟».

«أجل، وأفضّل ألّا أتكلّم عن ذلك إن كنت لا تمانع».

سـأله أرلنـدور: «هـل تعتقد أنّك لم تكفّـر بعد عن أخطائك بما فيه الكفاية؟».

«قلت لك إنّني أفضّل ألّا أتكلم عن هذا الموضوع».

«هل تشرّدك في الشوارع هو نوع من العقاب؟».

لم يجب هانيبال، لذا تخلّى أرلندور عن طرح الأسئلة.

بعد برهة، قال المتشرّد: «أنت أيضاً تُعتبر دخيلاً من نوع ما».

«لا أعتبر نفسي كذلك».

«ألهذا تشعر بالأسف تجاهي؟».

«كلّ ما في الأمر أنّني لا أريدك أن تموت متجمّداً من البرد».

«ولماذا تهتمّ؟».

«ولماذا لا أهتمّ؟».

«لا أحد يكترث لأمري، وإن متّ أو عشت فلا فرق، لذا لا أرى سبباً لتكترث لحياتي».

«أراد والداي الانتقال إلى المدينة».

«لماذا؟».

«لعدّة أسباب».

«ألا تريد إخباري؟».

«لا أرى أنّ لك علاقة بالأمر».

قال هانيبال بصوت ضعيف، وكأنّه خجل فجأة من نفسه: «لا، بالطبع لا، أعتذر منك، فهذا ليس من شأني، وأعتقد أنّني وغدٌ متطفّل، حقّاً متطفّل، لقد كنت على هذه الحال دائماً مع أنّني لا أعلم السبب، إنّها مجرّد عادة، عادة سيّئة».

مرّر يده عبر شعره مجدّداً، ورتّب خصلاتٍ مبعثرة، بعد أن فقد قوّته وجلس صامتاً ينظر إلى جدار الزنزانة الذي بدا وكأنّه أحد الجدران التي سجنته خلفها طوال حياته، وأبقته محبوساً داخل سجنٍ صنعه بيديه منذ وقتٍ أطول ممّا يتذكّره.

قال شارداً وبصوت هادئ أقرب إلى الهمس: «لا فرق إن متّ أو عشت».

«ما الذي قلته؟».

«كنت لأنهي كلّ شيءٍ لو لم أكن جباناً».

«تنهي ماذا؟».

همس هانيبال، وهو ينظر من دون تركيز إلى الجدار: «هذه التعاسة، هذه التعاسة فظيعة».

30

تدعى المرأة التي فُقدت في ثورسكافي أودني، وكانت تبلغ حينها أربعة وثلاثين عاماً، ولدت في ريكيافيك ولكنّها ترعرعت في مقاطعة ثينغهولت القديمة، حيث تابعت دراستها الجامعية بعد أن أنهت المرحلة الثانوية، ولكنّها تركتها في النهاية بعد عدّة سنوات، وعملت في مختلف الوظائف، وكانت إحداها في متجر موادّ غذائية حيث التقت بزوجها الذي كان يعمل هناك خلال عطلته الصيفية لتأمين مصاريفه الجامعية، وفي النهاية تحوّلت إلى وكيلة عقارات. وبعد ذلك تزوجت لكنّها لم تنجب أطفالاً، وقد عُرض على زوجها بعد تخرّجه عملٌ في بنك بيبول، وبعدها عمل في صندوق معاشات تقاعدية، فاستطاعا جمع بعض المال ليبنيا منزلهما الخاصّ في فوسفوغور، وكانا قد انتقلا إليه قبل ثلاث سنوات من اختفاء أودني.

قالت المرأة مبتسمة: «لقد عملا بجدّ من دون شكّ، ومن المؤسف أنّهما لم يحظيا بالأولاد، فقد كانت ترغب في ذلك، وتتحدّث عن الأمر في أغلب الأوقات، وقد وصلني من خلالها أنّهما جرّبا كل أنواع الفحوصات ولا أعلم إن كان يجدر بي الثرثرة حول هذا الأمر...».

سألها أرلندور: «ماذا؟».

«كانت قد لمّحت إلى أنّ المشكلة تكمن فيه، على الأقلّ هذا ما قالته، ولا أعلم إن كان ذلك صحيحاً». فأومأ أرلندور إليها برأسه متفهّماً.

لاحظ أرلندور أنّه عُلّق خلف المرأة مُلصقٌ كبير لمركز لندن، وثلاث ساعات ضخمة تظهر الوقت في موسكو وباريس ونيويورك بدقّة، إذ كانت تعمل في وكالة سفر شهيرة، تؤمّن الرحلات حول العالم، وقد تعرّفت إلى أودني منذ زمنٍ طويل، حين عملت معها في شركة العقارات قبل أن تحصل على عملٍ براتب أفضل في وكالة السفر.

قالت المرأة: «في الحقيقة، أنا من أمّن لها العمل في شركة العقارات، وقد كانت ماهرة في عملها وتمتلك موهبة فريدة في التحدّث إلى الآخرين وكسب ثقتهم».

كانت المرأة التي تدعى أستريدور إحدى الشاهدات الرئيسيّات، وكانت قد التقت بزملاء عملها القديم في ثورسكافي، كما كانت آخر الأشخاص الذين رأوا أودني على قيد الحياة، وقد طلب أرلندور مقابلتها بعد أن أعاد قراءة ملفّ القضية ودوّن أسماء عدّة شهود بالإضافة إلى بعض الأشخاص الآخرين المرتبطين بالحادثة، وبما أنّ التحقيق كان لا يزال جارياً، فلم تُثر أسئلة أرلندور أيّ شكوك، وكلّ ما كان عليه فعله هو إعلان انتمائه إلى رجال الشرطة، على الرغم من أنّه لم يكن هناك أيّ سبب لاعتبار القضيّة تتطلّب تحقيقاً جنائياً، لذا لم يرض الجميع بمتابعة التحقيق.

على الرغم من أن أرلندور لم يكن أحد المكلّفين بالتحقيق بشكل رسمي، إلّا أنّه لم يرَ سبباً يمنعه من إجراء تحقيقه الخاصّ، فهو لم يكن مهتمّاً كثيراً بردّ فعل رؤسائه عندما يعلمون بما كان يفعله، فأيّ شخصٍ يمتلك حرّية جمع المعلومات التي يريدها متى شاء، وعلاوة على ذلك، كان يعتقد أنّه يتصرّف من أجل مصلحة هانيبال، وإن طرأ أيّ حدث مفاجئ فسيشرح لهم قصّة القرط، فكانت تلك خطّته الأساسية، ولكنّه أراد أوّلاً أن يحاول إثبات عدم علاقة هانيبال باختفاء المرأة.

لقد أراد تجنّب معرفة الصحافة أنّ المتشرّد كان آخر شخص رأى أودني على قيد الحياة، كي لا ينشروا مقالات حول كون هانيبال مسؤولاً عن وفاتها. فتمنّى أن يُبدّد أيّ شائعة من هذا النوع، ولكنّه يعرف مدى صعوبة الأمر، فلن يستطيع إخفاء اكتشاف القرط لمدّة أطول، وفي اللحظة التي ستعلم خلالها دائرة البحث الجنائي بشأن القرط وإلى من يعود ومكان العثور عليه، فسترقّى القضية من مجرّد استجواب روتيني حول شخص مفقود، إلى تحقيق في جريمة قتل.

سأل أرلندور المرأة: «هل أثّر ذلك على علاقتهما؟».

«ماذا تقصد؟».

«حقيقة عدم تمكّنهما من الإنجاب».

«لا، حسناً، في الواقع كنا نتناقش خلال جلسة الحياكة منذ عدّة أيّام إن كانت قد وجدت لنفسها عشيقاً جديداً، فقد سمعنا الكثير من القصص، وهذا النوع من الشائعات ينتشر بسرعة في

الأرجاء، أتعرف ما أقصد؟ لذا لا يمكنني أن أجزم بذلك، فأنا كنت أعرفها جيّداً ومع ذلك لم أكن على دراية بالأمر، لذا... بحسب رأيي كلّ ذلك هراء، ولكنّنا كنّا نتناقش في احتمال كون الرجل هو نفسه الذي التقت به في ثورسكافي تلك الليلة».

ثم قالت أستريدور مخفضة صوتها: «رجل الصورة».

أومأ أرلندور إليها برأسه مجدّداً، فقد تكّفلت عائلة أودني برسم صورة تقريبية لأحد الرجال الذين صادفتهم في الملهى بناءً على وصفِ صديقة طفولتها، وقد تمّ توزيعها بين الصحف ومحطّات التلفزة، وكانت تلك الصديقة قد رأت أودني تتكلّم مع الرجل قبل مغادرتها مباشرة. وقد أوصلت تلك الصورة رجال الشرطة إلى عدّة دلائل مستمدّة من معلومات قدّمها بعض الشهود، ومن ضمنهم زبائن الملهى في ثورسكافي، ولكنّهم لم يتمكّنوا من إثبات أيّ منها.

قال أرلندور: «لقد اتّضح أنّها لم تكن مخلصة لزوجها حقّاً، بعد أخذ تلك الصورة بالاعتبار».

قالت أستريدور باشمئزاز: «أجل، لقد انتشر ذلك في إحدى الصحف، ومن المريع نشر اخبار مثل هذه، يا لهما من زوجين مسكينين!».

«كانت الظروف مماثلة، وبدا الأمر خطيراً».

قالت أستريدور: «لقد التقت حقّاً بذلك الرجل في الملهى، ولكنّها كانت المرّة الوحيدة».

كانت أودني قد أقامت علاقة مع رجل بعد أن قابلته في

ملهى رودول منذ ثلاث سنوات، وقرّرت بعد لقاءين أو ثلاثة أن تنهي العلاقة، لكنّ الرجل لم يرغب في تركها، ثم اكتشف زوج أودني الأمر وجنّ جنونه، حتّى إنّه هدّد بتركها، ولكنّهما تمكّنا في النهاية من تسوية الخلاف، ولا يعلم أحد إن التقت بالرجل مرّة أخرى».

سأل أرلندور: «هل تعرفين لماذا أقامت علاقة معه؟».

قالت أستريدور: «لا، فقد سمعت بالأمر للمرّة الأولى عندما قرأته في الصحف».

«ولكن هل تظنّين أنّها خانت زوجها مجدّداً؟».

«حسناً، من الممكن أنّ الرجل الذي التقت به في ثورسكافي لم يكن مجرّد أحد معارفها، ربما كان هناك شيء آخر بينهما، فقد غادرا معاً بالفعل، وقد استغربت الفتيات في جلسة الحياكة عدم استدعاء الرجل للإدلاء بشهادته أبداً».

«هل كان زواجهما متزعزعاً؟».

«بل كان متيناً على حدّ علمي، ولم تكن تشتكي منه، وأنا أنسجم جيّداً مع زوجها، فنحن نصطحب أزواجنا حين نخرج معاً، وبدا زوجها لطيفاً على الدوام، لكنّه لم يعد يخرج كثيراً الآن، وقد حاولنا دعوته ولكن... لا بدّ أنّه يمرّ بوقت عصيب جدّاً، وبالطبع...».

«ماذا؟».

«أوه، أظنّ أنّه تأقلم مع الوضع بشكل جيّد، إذا أخذنا كلّ شيء بعين الاعتبار».

«أما زال يعيش وحيداً؟».

«أعتقـد ذلـك، علـى الأقـلّ في الوقت الحالـي، لكنّ الحياة ستستمرّ».

نظـر أرلنـدور إلـى الملصق الكبير خلفها وقال: «أجل، أظنّ أنّك محقّة».

31

كانـت ريبيـكا ترتّب المكان حين حضر أرلندور إلى العيادة بعد ظهر ذلك اليوم، وكان جميع المرضى قد غادروا، والأطبّاء يهمّـون بالخـروج واحـداً تلو الآخر مودّعيـن ريبيكا، فطلبت من أرلنـدور الانتظـار قليلاً بينمـا تنهي بقية عملها. ثمّ لحقت به إلى خـارج العيادة حيث ضوء الشـمس، فتمشّـيا إلـى البحيرة مجدّداً ووجدا هذه المرّة مقعداً فارغاً في نهاية المكان قرب مسرح إدنو، وفي الحال أخرج أرلندور القرط من جيبه ومرّره إليها.

«ما هذا؟».

شرح أرلندور: «عُثر عليه قرب خطّ الأنابيب حيث كان ينام هانيبال».

قالت متفحّصة القرط «أوه، إذاً استطعت الوصول إليه؟».

سألها أرلندور: «هل رأيته من قبل؟».

«لا، لمن هو...».

«هل أنت متأكّدة؟».

قالت بإصرار: «طبعاً، هل كان لهانيبال؟».

«لا، لم يكن له، لكنّني أعتقد أنّني أعرف هوية صاحبته، فمن الغريب حقّاً العثور عليه في ملجأ هانيبال».

«لمن يعود؟».

«هل أنت متأكّدة تماماً من أنّك لم تريه من قبل؟».

«أجل، فهذه المرّة الأولى التي أراه فيها، هل يعود إلى حبيبة هانيبال، أو إلى إحدى زائراتها في ذلك المكان؟ ولم تعتبر أنّ الأمر غريب حقّاً؟ ما الغريب بشأنه؟».

«من شبه المؤكّد أنّ صاحبة هذا القرط ميتة، وهناك احتمالٌ أنّها كانت في ذلك المكان مع هانيبال ليلة اختفائها».

«لا أفهم، ما الذي تقصده؟ هل فُقدت؟».

«تدعى أودني، ربما تتذكّرين تقارير الأخبار حول اختفائها».

فكّرت ريبيكا قليلاً قبل أن تسأل: «أتعني امرأة ثورسكافي؟».

أومأ أرلندور إليها برأسه موافقاً.

«هل كانت عند خطّ الأنابيب؟».

«ربما».

«كيف... ماذا..؟».

«مرّت سنة على اختفائها وحتّى الآن لم تكتشف الشرطة حقيقة ما حصل لها، ربما انتحرت وربما قُتلت، فقد اختفت في الوقت نفسه الذي مات فيه هانيبال، بل في الأسبوع نفسه الذي غرق فيه هانيبال في كرينغوميري، ولكنّ أحداً لم يربط بين الحادثتين، لأنّه لم يكن هناك من سبب لذلك، ولكنّني مؤخّراً تكلمّت إلى إحدى صديقات هانيبال وهي متشرّدة مثله، فادّعت أنّها زارته في مقرّه بعد وفاته بفترة قصيرة، ووجدت القرط هناك فاحتفظت به، وأخشى أنّ لا مفرّ من الاعتقاد أنّ أودني ربما كانت برفقة هانيبال ليلة اختفائها».

حدّقت ريبيكا إلى أرلندور مذهولة، وهي تحدّق بالقرط الذي في يدها قبل أن تسحبها بسرعة وكأنّه قد لسعها، فوقع القرط على الأرض، وانحنى أرلندور والتقطه، فقد كان يتوقّع ردّ فعلها هذا، وحاول جاهداً أن يفكّر في طريقة للتخفيف من هول الصدمة، ولكنّه عجز عن إيجاد أيّ وسيلة لفعل ذلك.

تلعثمت ريبيكا في كلامها قائلة: «هل...هل تعرف الشرطة بهذا الأمر؟ بالطبع، لا بدّ أنّها تعرف، فأنت من رجال الشرطة».

قال أرلندور: «لقد أبقيت الأمر سرّاً في الوقت الراهن، لكنّني لا أستطيع إخفاءه إلى الأبد، فالمرأة التي عثرت على القرط لم تجد مبرّراً للتبليغ عن العثور عليه، لذا لا يزال الموضوع بيننا فقط حالياً».

«هل تقول إنّ هانيبال... كان له علاقة باختفائها؟ باختفاء امرأة ثورسكافي؟».

«ليس بالضرورة، فهناك احتمالٌ بعيد أنّه عثر على القرط في مكان آخر وأخذه، أو ربما لم يكن حتّى على علمٍ بوجوده تحت خطّ الأنابيب أصلاً، وأنّه لم يمسّ المرأة أبداً، ولكن في الوقت نفسه من الممكن....».

«أتظنّ أنّه ألحق الأذى بها؟».

«لم أقل ذلك».

«لكن هذا ما تعتقده».

«هل ذلك ممكن؟».

صرخت ريبيكا: «بالله عليك، لا! من غير الممكن إطلاقاً،

من المستحيل أن يكون هانيبال قد آذاها، هذا مستحيل... ما علاقة ذلك بحقيقة غرقه في الأسبوع نفسه بكلّ الأحوال؟».

«وُجد القرط في ملجأ هانيبال، وهو يعود إلى المرأة، إنّهما حقيقتان، أمّا طريقة تفسير الأمر فهي قضية مختلفة».

«هي اختفت، وهو غرق، فهل تعتقد حقّاً أن هناك ترابطاً بينهما؟».

«من الصعب عدم الربط بينهما».

«وعليك التبليغ عن ذلك».

«أجل».

سألته ريبيكا: «هل يمكنك أن تتأكّد إن كان هانيبال قد آذاها قبل أن تفعل ذلك؟ ومن دون معرفة أحد؟».

«أرغب في ذلك حقّاً، لكنّني لن أستطيع إخفاء الأمر لوقتٍ أطول».

سألته ريبيكا: «ألا يمكنك القيام بذلك من أجلي؟ أرجوك أرلندور، لم يكن هانيبال من هذا النوع، ومن المستحيل أن يكون قادراً على فعل شيء كهذا تحت أيّة ضغوطات».

«سأ...».

«سيصدّق الجميع أنّه من قتل المرأة المسكينة في اللحظة التي ستخبرهم بحقيقة الأمر، وهكذا لن تُحلَّ القضية أبداً، ولن نعرف حقيقة ما جرى، وسيصدّق الناس الخبر وستتشوّه سمعة هانيبال إلى الأبد، لذا عليك أن تساعدني، أرجوك أرلندور، إنّه لم يؤذِ أحداً قطّ، صدّقني إنّه لا يؤذي أحداً».

«سأحاول قدر استطاعتي، ولكنّني في موقف صعب...».

«بالطبع، أنا أتفهّم ذلك ولكن...». ثم ضاعت بقية كلماتها.

أكملت ريبيكا كلامها بعد بعض الوقت قائلة: «عليك أن تساعدني، أرجوك افعل ذلك من أجلي، اكتشف حقيقة الأمر قبل أن يفوت الأوان».

32

اتّضح أنّ الشـرطة لم تجد سـبباً لاسـتجواب صديقة طفولة أودنـي المدعـوّة إنغـون، وهـي زوجـةً وأمّ لأربعة أطفـال، وهم يعيشـون في أحد المنازل الجديدة ذات الشـرفات الواسـعة في بريدهولت، حيث توسّع التمدّد العمراني بسرعة هائلة على مدى السنوات القليلة الماضية، وحيثما نظرت هناك ترَ مشهداً جديداً، من الشوارع إلى الأبنية والحدائق، والكثير من هذه المواقع لم ينتهِ تشييدها بعد، وقد وُضعت بعض الألواح الخشبية –بعضها عليه حصائر– أمام المداخل في محاولة للحدّ من انتقال الأوساخ إلى الداخل. والشيء الوحيد القديم الموجود هناك بعض السيّارات المركونة خارجاً، فقد اضطرّ العديد من القاطنين في هذه المنازل الجديـدة إمّـا أن يبيعوا سـيّاراتهم حتّـى يتمكّنوا من دفع تكاليف البناء، أو أن يسـتبدلوها بسـيّاراتٍ قديمة صدئة لدرجة أنّها قد لا تعمـل فـي الصباح. وكانت إحداها تخرج من الشـارع الذي يقع فيه منزل إنغون حين وصل أرلندور، ثم تعطّلت قبل أن تبثّ فيها الحياة مجدّداً وتختفي خلف المنعطف تاركة وراءها سحابة من الدخان الكثيف.

كان أرلنـدور قـد اتّصل مسـبقاً بإنغون، وكانـت تنتظره وقد أعـدّت لـه قهـوة طازجة وكعكة إسـفنجية خبزتها بنفسـها، فرأى

أرلنـدور صـوراً لزوجها وأولادها فـي غرفة الجلوس، لكنّهم لم يكونـوا موجوديـن، فقـد أخبرتـه أنّ الأولاد خرجـوا للعـب أمام ورش البناء، أمّا زوجها فلا يزال في العمل.

قالت له وهي تسكب القهوة في كوبين: «أنت لا تزال تبحث عن أودني، وأتوقّع أنّك تبذل كلّ جهدك حقّاً».

أجابها أرلندور: «هذا صحيح، فلم تُغلق القضية بعد، ولكنّ الشرطة لم تستجوبك حتّى الآن، أليس كذلك؟».

«لا، أنا... لم يفعلوا، وأنا لا أعرف حقّاً إن كنت سـأفيدهم بأيّ معلومات، فأنا لم أتحدّث من قبل إلى رجال الشرطة، على الرغم من أنّ زوجي كان يحثّني على التواصل معهم ولكن... كان هناك ما يكفي من الشائعات حول أودني المسكينة حتّى الآن».

كان أرلنـدور قـد عـرّف بنفسـه علـى أنّه شـرطي يحقّق في الحادثة بشكل خاصّ، موضحاً أنّ لا علاقة له بالتحقيق الرسمي، فارتاحـت إنغـون لذلـك ولـم تسـأله أيّ أسـئلة أخـرى، بل على العكس بدت خالية من أي فضول. فقد كانت شـخصيتها هادئة، وتتكلّم بصوت خافت لدرجة أنّه كان من الصعب سماعها. لقد ترعرعـت هـي وأودنـي في الحيّ نفسـه، وبقيتـا على تواصل كلّ تلـك السـنوات، والتحقتـا بالمدرسـة التحضيرية نفسـها، ولكنّ إنغـون أكملـت تعليمهـا وأجرت امتحاناتهـا الأخيرة على عكس أودنـي، وقبـل أن تتزوّج وتحمـل بابنها، قرّرت الاهتمام بالمنزل بدلاً من إكمال تعليمها، ودعم زوجها في إتمام دراساته، قبل أن يصبح طبيباً.

قالت وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيها: «كنت أرغب دائماً في دراسة اللغة الآيسلندية».

سألها أرلندور: «هل تعلمين السبب وراء ترك أودني للدراسة بعد سنتين؟».

قالت إنغون: «لم أتفاجأ، فهي كانت بحاجة إلى المال، ولم تكن مهتمّة كثيراً بالدراسة، وكانت تقضي معظم أوقاتها في الحفلات، لذا رسبت في امتحاناتها، وتركت دراستها من دون ندم، لأنّها بحسب رأيها لم تكن تناسبها قطّ، إلّا أنّها كانت كادحةً جدّاً وتعمل كلّ الوقت، وكانت تعيش مع والديها، وترغب في مساعدتهما مادّياً، وقد كان ذلك منطقياً كون عائلتها كانت فقيرة جدّاً ولا تمتلك المال لتوفير حياة هانئة».

«وبعد ذلك بعدّة سنوات تزوّجت».

«صحيح، تزوّجت بغوستاف».

«هل كان في حياتها أيّ رجالٍ قبله؟».

«نعم، كانت قد واعدت بعض الأشخاص، ولكن لم يكن لديها علاقة جدّية حتّى التقت بغوستاف، وقد انتقلا إلى العيش معاً بسرعة».

«لكنهما لم يحظيا بأطفال؟».

«لا، وهذا ما أحزنها، فقد كانت دوماً تحلم بالحصول على الأطفال، ولكنّ الأمر لم يحدث لسوء الحظّ، وبين الحين والآخر كانت تفضي إليّ بمكنونات قلبها».

«أتعلمين السبب وراء ذلك؟».

«لا، ليس تماماً، كانت... هو لم يكن يحبّ مناقشة الموضوع، وأتذكّر أنها لمّحت إلى السبب ذات مرّة عندما كنّا مجتمعين معاً، فغضب كثيراً مع أنّ ذلك لم يكن من طبعه كما كنت أعرف، ولكنّني أعتقد أنّ ذلك لم يكن مفاجئاً فمن المؤكّد أنّه كان موضوعاً حسّاساً بالنسبة إليه».

« خانته مرّة».

«أجل، لقد فعلت».

«وشُوهدت تتكلّم مع رجل مجهول في ثورسكافي قبل أن تختفي مباشرة».

«أجل، قرأت عن ذلك».

مكتبة
t.me/t_pdf

«هل تعرفين شيئاً عن الرجل؟».

«لا».

«أتعرفين أيّة حوادث مشابهة؟».

«أتعني رجالاً آخرين في حياتها؟ لا، ليس من المؤكّد أنّها كانت تعرف الرجل في ثورسكافي، أليس كذلك؟».

قال أرلندور: «لا، هذا صحيح، وهو لم يأتِ أبداً للإدلاء بشهادته، ونحن لا نعرف شيئاً عنه، ولم يساعد الرسم التوضيحي كثيراً، ولا نستطيع التأكّد من احتمال ارتباطه بالقضية أم لا، ومتى كانت آخر مرّة التقيت بأودني؟».

«في الأسبوع السابق من اختفائها، في جلسة الحياكة التي أقمناها مع بعض الصديقات، فقد كنّا نلتقي دوماً على مدى السنوات العشر الماضية، وكانت يومها على طبيعتها المرحة

والمحبّة للحياة كما اعتدناها، وقد أقلّتني بعدها إلى المنزل و... كانت تلك آخر مرّة رأيتها خلالها».

«ألم يرغب زوجك في أن تتكلّمي مع الشرطة؟».

«ماذا؟».

«لقد ذكرت سابقاً أنّ زوجك كان يحثّك على التواصل معنا، ثم قلت إنّه كان هناك ما يكفي من الشائعات».

عبست إنغون، فلم تكن تحبّذ مناقشة علاقات صديقتها مع الآخرين، وقد كانت تجيب بشكل تقريبي حرصاً على ألّا تبوح بأكثر ممّا ينبغي قوله.

قالت: «لا أعلم إن كان مهمّاً».

«ما هو؟».

«مجرّد تعليقٍ قالته، منذ ستّة أشهر قبل اختفائها، لكنّها لم تشر إليه مجدّداً وغيّرت الموضوع في المرّة الوحيدة التي حاولت التحدّث فيها عنه، ولكن.... لا أعلم إن كان سيشكّل ذلك فرقاً، فكما قلت، كان هناك ما يكفي من الشائعات حولها وغوستاف وعلاقاتها العابرة، وقد وعدتها بأنّني لن أخبر أحداً، فقد كانت خجلة جدّاً من نفسها، ولم تكن تتحمّل أن ينتشر الخبر، وكنت أنوي أن أتواصل مع المحقّقين المعنيين بالقضية وزوجي كان... أنا فقط لم أستطع أن أخبر أحداً من أجلها، أنت تتفهّم، أليس كذلك؟ كانت مجروحة ومدمّرة من تلك التجربة، كما كانت غاضبة منه، ومن نفسها لأنّها لم تفعل شيئاً حيال الأمر».

«ما الذي قالته لك؟».

«ظللت أحاول ألّا أدقّق كثيراً في الأمر، ولا أدري إن كانت تتحمّل أيّ مسؤولية حيال ما حدث، ولكن...».

«ماذا؟».

«كان غوستاف عنيفاً، فقد اعتاد أن يؤذيها ويهينها، وكان الأمر في أغلب الأحيان تعنيفاً لفظيّاً، لكنّه ضربها مرّتين على الأقلّ».

«أوه؟».

قالت إنغون: «ربما كان عليّ أن ألجأ إليكم، زوجي... لقد أخبرته، وطلب منّي أن أتّصل بكم، ولكن الأمر كان يشغل ذهني...».

«أنت لا تؤيّدين احتمال انتحارها؟».

«كان ذلك أوّل ظنوني، ولكن على الرغم من فظاعة الفكرة، إلّا أنّه سيكون من الأسوأ أن تكون قد قُتلت».

«ادّعى زوجها أنّه كان في اجتماعٍ في نادي ليونز حين كانت في ثورسكافي».

«لم أتواصل معه أبداً منذ وقت الحادثة، فقد أقام مراسم عزاء لها مؤخّراً، في ذكرى مرور سنةٍ على اختفائها، لكنّني لم أستطع إجبار نفسي على الذهاب».

«لم يعدّل إفادته».

«لا، بالطبع لا، ولمَ سيفعل ذلك؟».

«لكنّك تعتقدين أنّها كانت خائفة منه؟».

«لم تقل ذلك، ولكن بالنظر إلى الطريقة التي كانت تتحدّث

بها عنه وعن طريقة تعامله معها، فقد كان لديها غالباً سبب مقنع لتخاف منه، ولكن كان عليّ أن أعدها بأنّني لن أخبر أحداً، فقد كانت خائفة من انتشار الخبر، ولم تكن تحتمل أيّة فضيحة جديدة».

«شيء آخر فقط، هل تعلمين إن كانت على معرفة برجلٍ يُدعى هانيبال؟».

«هانيبال؟ لا، لم تذكر هذا الاسم أمامي يوماً، من هو؟».

«فقط أحد الأسماء التي طُرحت خلال التقرير وغالباً ليس شخصاً مهمّاً، إذاً أودني لم تأتِ على ذكر اسمه أبداً؟».

«لا».

«بحسب رأيك أيمكن أن يكون زوجها متورّطاً في اختفائها؟».

«لا يمكنني الجزم حقّاً. لقد وثقت أودني بي، وأنا وعدتها بأنّني لن أبوح بأسرارها، لكنّني حنثت بوعدي الآن، فهي كانت تريد أن تهجره، ولكنّه لم يسمح لها بذلك، وهو قال لها ذلك صراحة».

«أتظنّين أنّ هذا هو سبب إقامتها علاقة مع رجل آخر؟».

أومأت إنغون برأسها موافقة، وقالت: «أعتقد ذلك، فقد أخبرتني أودني أنّه كان عليها هجره منذ البداية».

33

اتّفقا على أن يلتقيا في هريسينغارسكالين، وكانت قد وصلت بالفعل، فابتسمت له عندما دخل من الباب، وهو ينفض قطرات المطر عن معطفه، إذ كان يتساقط رذاذ المطر في المدينة، ثم توجّه إليها مباشرة، وقد خاب أملها بعد أن كانت تتوقّع قبلة منه، فلم يُحبّ يوماً التعبير العلني عن العواطف، ومع ذلك كانت تجبره أحياناً على الإمساك بيدها في أثناء تجوالهما في المدينة، لكنّه كان يحاول العثور على أيّ عذر ليتهرّب من الأمر، كأن يضع يده في جيبه أو يمرّرها في شعره، إذ لم يرَ داعياً للاتّصال الجسدي.

قالت: «يا له من طقس سيّئ!».

«يفترض أن يصحو هذا المساء، فالنشرة الجوية تشير إلى طقس صاحٍ غداً».

نظر حوله، فقد كانت هريسينغارسكالين، أو هريسو كما كان يدعوها بعضهم، أحد المقاهي القليلة في وسط المدينة. كان يجذب حشداً من الفنّانين والممثّلين والشعراء، بالإضافة إلى الصحفيين الذين كانوا يتحادثون وينمّون بين الناس، ويتصفّحون الصحف، ويدلون بدلوهم حول كلّ خبر، من دون أن يسلم أحد من ألسنتهم، فقد اعتاد الشاعر ستين ستينار- الذي كان لا مثيل

له بحسب رأي أرلندور– أن يعقد أمسيات هناك، كما لمح ذات مرّة نجماً آخر وهو توماس غودماندسون في خضمّ نقاش حادّ.

كان هريسو يقدّم غداءً فاخراً، وكان أرلندور يمرّ أحياناً إلى هناك ليتناول الطعام، ويقرأ الصحف، ويتأمّل العالم من حوله.

سألته هالدورا: «هل نطلب الوافلز؟ وشوكولا ساخنة مع الكريمة؟».

قال أرلندور: «أجل، وافلز وشوكولا مع الكريمة، وسيكون ذلك مناسبا تماماً».

قالت مبتسمة: «إنّ هذا النوع من الأطعمة والمشروبات يناسب يوم كئيب كهذا، أليس كذلك؟».

«أجل».

أخرجت هالدورا علبة سجائر بعدما سجّل النادل طلباتهما، وعرضت واحدة على أرلندور، فدخّنا بصمت إلى أن بدأت تخبره عن فيلم أُعيد إطلاقه مرّة ثانية، كانت قد شاهدته مع صديقاتها، ملخّصة له الحبكة ودور الممثّلين، وكان قد سمع بشيرلي مكلين، ولكنّه لم يسمع بالفيلم الذي كان يسمّى (إرما لا دوس)، إذ كان نادراً ما يذهب إلى السينما.

أكلا الوافل واحتسيا الشوكولا الساخنة، وكان المكان هادئاً، فلم تكن سوى عدّة طاولات مشغولة، والزبائن يتكلّمون همساً. أخبرته هالدورا أنّها حصلت على العمل في شركة الهاتف، وكانت متحمّسة لتعلّم ربط، وحجز، ووصل المكالمات الدولية، ثم سألته عن أخبار مناوباته الليلية، فوصف لها بعض الحوادث

التي تعامل معها، بصوت خالٍ من أيّة حماسة أو رومنسية، وعلى العكس، أكّد على الجانب المحبط، من سرقات وسائقين ثملين إلى حوادث السيّارات، ولكنّه لم يخبرها عن هانيبال أو عن تحقيقه غير الرسمي، وإن كان عاجلاً أم آجلاً سيضطرّ إلى تقديم تقرير عن اكتشافاته المروّعة إلى دائرة البحث الجنائي.

سألته: «ألا تسأم من كونك في المناوبة الليلية طوال الوقت؟ ألا يعبث ذلك بساعة جسمك البيولوجية؟».

أجاب: «لا، لا بأس بها، فأنا أعمل مع رجلين مثيرين، لذا تمرّ المناوبة بسرعة على نحو مفاجئ».

لم تكن المرّة الأولى التي تسأل خلالها، وهو كان يعلم بأنّها تهتمّ بصحّته، ولكنّه كان يعتقد أنّ الأمر محاولة منها لإبقاء الحديث مستمرّاً.

«أتقصد غاردر ومارتن؟».

«أجل، إنّهما مسلّيان».

«ألا تشارك الشرطيات الجديدات في مناوبتك؟».

أجاب مبتسماً: «لا».

«هل هو عمل يناسب النساء فعلاً؟ ماذا لو هاجمهنّ مجنون ما؟ أليس الأمر خطيراً جدّاً؟».

قال أرلندور: «ليس بالضبط، بحسب رأيي على الأقلّ، فليس الجميع راضين بوجود النساء معنا، ولكنّ الوقت حان على الأغلب لذلك، فهناك الكثير من المواقف التي تتطلّب وجود شرطية».

«هل تظنّ أنّ في استطاعتي أن أصبح شرطية؟».

قال مبتسماً: «بالطبع».

ضحكت، واحتسيا مجدّداً الشوكولا الساخنة، فشعر أنّها ليست واثقة من نفسها، كما لو أنّ لديها شيئاً في ذهنها تودّ قوله، لكنّها لا تعرف كيف تبدأ بالحديث، أو أنّها خجلة جدّاً من قوله له.

«كنت...كنت أتساءل إن...».

«ماذا؟».

«أوه، أنا... أتساءل إن كنت ترغب...إن كنت لا تمانع... إن استأجرنا شقّة معاً؟ إن انتقلنا إلى العيش معاً؟ أردت فقط أن أطرح الفكرة، فستوفّر علينا دفع إيجار مكانين، و.. حسناً، وستوفّر علينا الكثير من المال...لذا أتساءل إن كانت فكرة منطقية، هذا كلّ ما في الأمر». فقضم أرلندور قضمة كبيرة من الوافل، وبقي صامتاً.

كان قد زار سابقاً الشقّة الصغيرة التي تستأجرها هالدورا في بريدهولت عدّة مرّات، إنّها عبارة عن قبوٍ لأحد المنازل، ودائماً ما كانت تشتكي من ضيق المكان وموقعه غير المريح، فتخيّل أنّه سيزعجها موقعه أكثر بعد حصولها على العمل الجديد في مقرّ شركة الهاتف في وسط المدينة.

تابعت هالدورا قائلة: «الأمر فقط أنّ صاحبي القبو قد أرسلا إليّ إشعار إخلاء، إذ سترجع ابنتهما التي كانت تدرس في الخارج منذ سنتين، ويبدو أنّها لم تعد ترغب في البقاء هناك، لذا أخبراني

بأنّ عليّ الانتقال من المكان في نهاية الصيف».

لم يقل أرلندور شيئاً.

قالت: «فكّرت فقط في أن أعرض عليك الأمر، ما رأيك؟».

«أنا...».

«نحن نعرف بعضنا ونتواعد -سمِّ علاقتنا كما تشاء- منذ... لا أعلم كم من الوقت، لذا ربما حان الموعد للقيام بشيء جدّي حيال هذه العلاقة، كأن نأخذ الخطوة التالية، ونجعل الأمر جادّاً، أتعلم...».

لم يكن أرلندور يفكّر في تطوير علاقتهما والانتقال إلى المرحلة التالية، حتّى إنّه لم يتساءل إلى أين ستتّجه، كما أنّهما لم يناقشا أي ّخطط مستقبلية، عدا حقيقة أن أرلندور كان قد وافق على الالتقاء بوالديها، ولكنّ هالدورا كانت سعيدة بوضعهما على حدّ علمه، ولم تدفعه إلى القيام بشيء إضافي حتّى الآن.

لا بدّ من أنها لاحظت تردّده، لأنّها تراجعت بسرعة قائلة: «كانت مجرّد فكرة، إن لم ترغب في ذلك فلا بأس، ويمكنني أن أجد لنفسي شقّة في مكان آخر، بالطبع سيكون من الأوفر العيش في بريدهولت البعيدة، ولكنّها ستكون رحلة طويلة قبل أن أصل إلى العمل، لذا... عليّ أن أدرس خياراتي».

قال أرلندور: «لا، ما تقولينه منطقي، لكنّني أحتاج إلى أن أفكّر فيه، فلم أكن أتوقّع ذلك، وأعتذر إن.. أنا فقط لم أفكّر في الأمر من قبل، وأنت لم تأتِ على ذكره قبل الآن، فلم نتناقش فيه».

«لا، معك حقّ».

«لذا... فاجأني الأمر قليلاً».

قالت هالدورا مجدّداً، وقد تفاءلت قليلاً: «أجل، أعرف ذلك، كانت مجرّد فكرة، ولا بأس، يمكنك أن تفكّر فيها على مهل، فعليك بالتأكيد أن تزن الموضوع في رأسك، كما كان عليّ أن أمهّد لك قبل أن أقول أيّ شيء، أعتذر عن مفاجأتك بهذه الطريقة».

«لا داعي للاعتذار هالدورا».

«كان في إمكاني التطرّق إلى الموضوع بشكل أفضل».

«لا بأس».

«في الحقيقة، كنت خائفة من ردّ فعلك اليوم».

«خائفة؟ بسبب هذا؟ لا تقلقي».

مدّ أرلندور يده ووضعها فوق يدها للتخفيف من توتّرها وطمأنتها.

قالت: «كنت أريد معرفة كيف ستتقبّل الأمر، فهو مهمّ بالنسبة إليّ، بالنظر إلى الظروف الراهنة».

«بالطبع».

«هناك شيءٌ آخر».

افترض أرلندور أنّ إمساكه بيدها لم يكفِ لطمأنتها، فقد بدت متوتّرة، وكان الأشخاص الذين يجلسون إلى الطاولة المجاورة يهمّون بمغادرة المكان والسير تحت رذاذ المطر الخفيف، وقد رافق خروجهم دخول لفحات هواء باردة.

قالت هالدورا: «كان عليّ أولاً إزالة هذا العبء عن كاهلي».

«حسناً، لقد فعلت الآن».

«أجل».

«ما الأمر؟ ما الشيء الآخر؟».

«أعتقد أنّني حامل».

34

عنـد حلـول المسـاء، هـدأت الرياح، وصفت السـماء، كما بـدت ميـاه البـرك سـاكنة مـن دون حراك، فشـقّ أرلنـدور طريقه بينها، مجتازاً كرينغوميري باتّجاه هافياسالتي، وكان قد سلك هذا الطريـق مـن قبـل، عندما تكلّم مع الولد الذي كان يقود الدرّاجة، وكان أرلندور عازماً على مقابلة الرجل الذي يتدرّب على ضربات الغولف في هافياسالتي، ولكنّه لم ينجح في تعقّبه حتّى الآن.

شقّ طريقه عبر الحي، متجاوزاً المنازل المتجاورة والمربّعات السكنية، وكانت الشوارع مليئة بأطفال يلعبون الكرة أو الغميضة، وقد اندفعوا إلى خارج منازلهم ما إن توقّف تساقط المطر، ولكنّه لم يستطع رؤية صديقه صاحب الدرّاجة. وقد كان الجيران يقفون أمـام منازلهـم يتحادثـون حـول التضخّم المالـي أو عمّا إذا كانوا سـيذهبون إلـى احتفاليـة ثينغفيلير، وقد سـمعهم فـي أثناء مروره يجيبون: «حسب الطقس».

عندمـا وصـل إلـى نهاية الحـيّ، لمح رجلاً يقـف عند أحد المنحـدرات القريـب من منعطف هافياسـالتي وهاليتيسـبراوت، حيـث كان مـن المخطّـط أن يُبنـى المقـرّ الجديـد لشـركة البـثّ الوطنيـة، وكان بجانبـه حقيبـة غولـف صغيـرة وسـلّة ملقـاة إلى جانبهـا يُخـرج منهـا كـرات صغيرة، ثم يضربها مسـافة عدّة أمتار

فوق العشب، كلّ واحدة منها على حدة.

توجّه أرلندور إليه وقال: «مساء الخير»، فردّ الرجل التحية، وضرب الكرة مسافة ستّة أمتار تقريباً، ثم ضرب أخرى بمضربه، ولكنّه أخفق تسديد الضربة هذه المرة، فقذف عوضاً عنها حفنة تراب في الهواء، بعد أن شوّش أرلندور تركيزه، فاستدار نحوه وسأله وقد نفد صبره: «هل يمكنني مساعدتك؟».

«هل تتدرّب هنا دائماً؟».

«أحياناً»، كان الرجل في الأربعينات من العمر، طويلاً وهزيلاً، ويرتدي سترة مخصّصة للغولف، وبنطالاً ذا مربّعات فاتحة اللون، ويضع قفّازاً في يده اليسرى. وقد توقّع أرلندور بسبب سمرة بشرة الرجل أنّه قد أمضى صيفه في ملاعب الغولف الموجودة قرب ريكيافيك، وهذا أكّد ما كان يعتقده، بأنّ هذه اللعبة قد اخترعت للنبلاء البريطانيين والإسكوتلنديين الذين لم يكن لديهم ما يفعلونه في وقت فراغهم سوى رياضة الغولف.

سأله الرجل: «لماذا تسأل؟».

قال أرلندور: «أوه، كان يعتريني الفضول فقط، فقد أخبرني أطفال الحيّ بأنّ لاعب غولف يتدرّب هنا أحياناً خلال الأمسيات».

أخرج الكرة التي كان قد وجدها وأراها للرجل.

«هل يصدف أن تكون هذه إحدى كراتك؟ لقد وجدتها قرب خطّ الأنابيب».

نقل الرجل نظره من الكرة إلى أرلندور، ثم أخذها وتفحّصها عن قرب، وكان متفاجئاً، ليس بالكرة، ولكن بحقيقة أن الشابّ قد

قطع كلّ تلك المسافة لإعادتها إليه، فقال: «ربما هي لي، ولكنّني لا أضع علامة مميّزة على كراتي لذا... تبدو هذه قديمة جدّاً، لا، أنا متأكّد من أنّها ليست لي»، ثم أعادها إليه.

سأل أرلندور مشيراً إلى حيث يعبر الأنبوب الأرض القاحلة بين فوسفوغور وكرينغوميري: «ألا ترميها باتّجاه خطّ الأنابيب؟».

«إذا كنت أستعمل الدرايفر فإنّها تستطيع قطع مسافة مئتين وخمسين متراً، ولكنّني أتدرّب على التصويب لمسافة قصيرة في هذه المنطقة معظم الأوقات، ولا أفقد هذه الكرات بسهولة».

«الدرايفر؟».

«أقصد أكبر مضارب الغولف»

«أوه، فهمت».

«أنت لست لاعب غولف، أليس كذلك؟».

«لا».

«التصويب من مسافة قصيرة يعدّ من أهمّ المهارات، تلك تدعى الضربات القصيرة، فيمكنك أن تضرب الكرة إلى أبعد ما تريد، ولكن البراعة الحقيقة تكمن في ضربها بدقّة إلى مسافة قصيرة».

اعترف أرلندور: «أنا لا أعرف شيئاً عن الغولف».

«لا، لا يلعبها الكثير من الآيسلنديين».

«أيتدرّب أحدٌ آخر هنا، بحسب علمك؟».

«لم أشاهد أحداً».

«هل تأتي إلى هنا منذ زمن طويل؟».

«انتقلت إلى هذه المنطقة منذ أربع سنوات».

«وهل حدث أن رأيت أيّ نشاط غريب قرب خط ّالأنابيب؟ أناساً يمشون على امتدادها مثلاً؟».

«بين الحين والآخر».

«هل سبق لك أن أتيت إلى هنا في وقت متأخّر من الليل؟».

«بعد منتصف الليل أحياناً، عندما يكون الضوء ساطعاً بشكل كافٍ، فأنا أحاول استغلال ما أمكنني من هذه الأيّام الصيفية القصيرة، ولكن لا أعلم لماذا تسألني كلّ هذه الأسئلة، فهل يمكنني مساعدتك في شيء محدّد؟».

«لا أعلم إن كنت تتذكّر، ولكنّ متشرّداً كان قد غرق في كرينغوميري منذ سنة اعتاد أن ينام في نفق الأنابيب الدافئة، ووجدت هذه الكرة بالقرب من المكان، فتساءلت إن كنت تقذفها إلى هناك أو ربما رأيت شيئاً مريباً خلال وجودك».

قال لاعب الغولف: « في الواقع أتذكّر عثورهم عليه».

«هل تتذكّر رؤيته في المنطقة؟ أو هناك قرب خطّ الأنابيب؟ هل كنت تعرفه؟».

«لا، لم أره من قبل، ولم أكن أعلم بأنّه ينام هناك، إلى أن قرأت حادثة غرقه في الصحف، ولا بدّ من أن وضعه كان سيّئاً جداً».

«أجل، كان حظّه سيّئاً».

«في الواقع، وبعد ذكرك للأمر.... كنت هنا ذات مرّة، في وقتٍ متأخّر من إحدى ليالي الصيف الماضي، أتدرّب على

ضرباتي حين لاحظت أحداً ما ينحني قرب خطّ الأنابيب».

«هل كان المتشرّد؟».

«لا أدري، كان منحنياً إلى الأسفل كما أخبرتك، يتأمّل شيئاً ما، ثم اختفى لحظات قليلة قبل أن يعود إلى الظهور مجدّداً، ولا أعلم إن كان هو الرجل نفسه الذي تتكلّم عنه، فلم أتمكّن من رؤيته بوضوح، وكلّ ما رأيته كان رجلاً منهمكاً بشيء ما هناك».

«هل لاحظت إلى أين ذهب بعد ذلك؟».

«لا، فقط لمحته لفترة وجيزة ثم عدت إلى المنزل، لكنّني أتذكّر أنّ الحادثة عادت إلى ذهني مجدّداً حين عثر أولئك الأولاد على جثّة الرجل بعد ذلك بعدّة أيام، وعلمت وقتها أنّه كان ينام قرب خطّ الأنابيب».

«هل أخبرت الشرطة؟».

«الشرطة؟».

«أجل».

«لا، لم أفعل».

«ألم تعتقد أنّ ما رأيته مهمّ عندما علمت بالعثور على الجثّة؟».

قال الرجل وهو يُخرج كرة أخرى من السلّة ويثبّتها على الأرض: «لا، لم يخطر الأمر ببالي، ولا حتّى لثانية واحدة. في النهاية، أنا لم أكن أعلم إن كان هو، فلمَ سأبلغ الشرطة عن متشرّدٍ ما يتجوّل في منطقة الحفريات القديمة؟».

«هل يمكن أن تصف الرجل الذي رأيته بدقّة أكثر؟».

«لا، ليس تماماً».

«أكان يقوم بشيء مريب قرب خطّ الأنابيب؟».

«ليس لديّ فكرة عمّا كان يفعله، مع أنّني أتذكّر أنّني فكّرت في أنّه يبحث عن شيء ما بالتأكيد، لكنّه كان بعيداً عنّي ولم أعره اهتماماً، فقط لمحته لبرهة».

«أيمكن أن يكون من رأيته امرأة؟».

قال اللاعب: «لست متأكّداً، ربما لا يمكنني الجزم».

«وكان ذلك في الفترة نفسها التي عُثر فيها على المتشرّد في البركة؟ هل تتذكّر متى تحديداً؟».

«قبل يومين فقط، وأنا متأكّدٌ من أنّ الوقت كان بعد منتصف الليل».

«إذاً كان الشخص منحنياً قرب خطّ الأنابيب».

«أجل، ومن المفترض أن يكون المتشرّد نفسه، أكان غرقه حادثاً؟».

«ماذا تقصد؟».

«أعني موته ألم يكن هناك ما يثير الشكّ حول موته؟».

«لا، لا أعتقد ذلك، أتوقعّ أنّ الأمر كان مجرّد حادثة».

لم يكن أرلندور يعرف ما عليه أن يفعله حين أخبرته هالدورا بأنّها حامل، كان الخبر غير متوقّع أبداً بالنسبة إليه، وقد صدمه بشكل كامل.

سأل من دون قصدٍ وهما جالسان في المقهى: «هل هو

منّي؟».

أجابت هالدورا: «منك؟ بالطبع إنّه منك».

«هل كنت...؟».

«لم أفعل... ليس في حياتي أيّ رجل آخر إن كان هذا ما تعتقده، أهذا ما تعتقده؟».

«هل أنت متأكّدة؟».

«متأكّدة؟ ما الذي تعنيه؟ بالطبع أنا متأكّدة، أنت الشخص الوحيد الذي أعاشره، والطفل منك دون شك».

«لا، أعني أنّك حامل، فقد قلت إنّك تعتقدين ذلك فقط».

قالت: «لا، أنا... لم أكن أعرف أيّة طريقة أفضل لإخبارك بالحمل، ولكن... ليس هناك أيّ شكّ، فلقد زرت طبيباً وقد أكّد أنّني حامل».

«لكن... منذ متى؟...».

«منذ الربيع، كنا في حفلة الشرطة، ألا تذكر؟ لا يبدو عليك أنّك تطير من الفرح».

«لقد فاجأني الأمر؟».

قالت هالدورا: «كان عليك أن تعرف بمَ أشعر».

جلس أرلندور بصمت محاولاً أن يستوعب كلماتها، في أثناء ارتفاع صوت تكسّر أطباقٍ انبعث من المطبخ، فنظر الجميع باتّجاهه عدا أرلندور وهالدورا.

«كلّ ذلك الكلام عن الانتقال للعيش معاً...؟».

«لم أكن أعرف كيف أفتح الموضوع، أنا لا أعرف مكانتي

فـي حياتـك، فقـد كنـت متـردّداً جدّاً فـي مقابلة والـدي، وأنا لا أعرف شـيئاً عنك تقريباً، أو عن عائلتك مثلاً، ونحن نتواعد منذ سنتين ونصف، ولكنّني لا أزال لا أعرفك على الإطلاق، وأنت لا تعـرف شـيئاً عنّـي، فنحن نلتقي فـي الحانات، ونقيم علاقة ثمّ نتجوّل معاً في المدينة، ولكن...».

كان أرلندور يعتقد أنّها ستنفجر بالبكاء.

همسـت هالدورا عبر الطاولة: «إمّا أن نجعل أمرنا جدّياً أو علينا أن ننهي علاقتنا».

لم يكن أرلندور يعرف ما عليه أن يقول.

سـألته وقـد اغرورقـت عيناها بالدموع: «مـا الذي تريده؟ ما الذي تريده أرلندور؟».

35

أدلى الرجل بإفادته مرّتين حتّى اللحظة إلى رجال الشرطة، ولـم يُبـدِ اعتراضـاً بروايـة قصّتـه على مَسْـمع منهم مـرّة أخرى، فتحـدّث بهـدوء وتأنٍّ، ذاكـراً أدقّ التفاصيل من المعلومات التي يعرفها حول القضية. فقد تمكّن أرلندور من معرفة السـبب وراء حبّهـا لـه، فإلـى جانـب لطفـه ولباقته كان وسـيماً أيضاً، ببشـرته الداكنة، ورأسه الصغير وشعره الأسود، وأناقته وابتسامته الودودة التـي تبعـث فـي النفس الاطمئنـان. كان يرتدي بذلة وربطة عنق، وقد تدلّى شعره الأسود الناعم على كتفيه، وكان سالفاه مشذّبين بشكل مرتّب، واسمه إيسادور، هذا ما وجده أرلندور في ملفّات التحقيق في قسـم الشـرطة، وعندما اتّصل به، دعاه مباشـرة إلى مكتبه، فكان يدير مشروعاً صغيراً لاستيراد بعض البضائع والسلع من أميركا، وكان على طاولته أنواع مختلفة من الحلوى، ورقائق البطاطا، وبعض الأطعمة الأخرى غير المألوفة.

سأله إيسادور عن التحقيق، وإن كان قد أحرز تقدّماً، فبدا من نبرته الودودة وكأنّه يخاطب أحد أقربائه أو فرداً من أفراد أسرته، فأجابـه أرلنـدور بالنفـي، ولم يطرح أسـئلة أخـرى رغم ملامحه المتعطّشة إلى مناقشة القضية لإزالة الغموض الذي يكتنفها.

عندما التقيا للمرّة الأولى، لم يعلم إيسادور أنّ أودني متزوّجة

مـن رجـل آخـر، وهو لـم يرَها قبل تلـك الليلة في رودول، تقابلا هنـاك وتجاذبـا أطراف الحديث، وابتاع لها شـراباً، فأخبرته بأنّها قصـدت حانـة أخـرى مع رفاقها في العمل قبل أن تتركهم وتأتي إلـى رودول وحدهـا، وقـد سـألته إن كان متزوّجـاً، فأخبرها بأنّه مطلّـق وليـس لديه أطفـال، فأضافت أنّها لـم تنجب أطفالاً أيضاً، ولكن لـم يخطر بباله أبداً، أن يسألها إن كانت لا تزال متزوّجة.

قال إيسـادور، وهو يمرّر يده على ربطة عنقه: «وما أدراني، لـم يبدُ عليها ذلك، ولـم يتبادر إلى ذهني أيّ انطباع حول الأمر».

اسـتقلّا سـيّارة أجـرة إلـى منزلـه في بريدهويـت، وكان قد امتلـك فـي نفس الوقـت منـزلاً صغيراً آخر مشـيّداً فـي الجانب الشـمالي من التلّ، ولكنّه قيد الإنشـاء، فكانت أرضياته إسـمنتية ومطبخه غير مجهّز، وقد شهد في تلك الليلة موعدهما الغرامي الأوّل، ثمّ اتّفقا على رؤية بعضهما مجدّداً.

«كما قلت للشرطة في العام الماضي، أخبرتني بأنّها متزوّجة، فشـعرت بأنّنـي أحلـم ولكـنّ ذاك الحلـم لم ينتـهِ عندها، فكانت كلماتهـا كالصاعقـة حين كشـفت لي أمر زواجهـا خلال موعدنا الثالـث، وقالـت إنّنـا لن نسـتطيع رؤيـة بعضنا مجـدّداً، وإنّ ثمّة مـا أجبرهـا علـى إنهاء هذه العلاقة، فسـألت بإلحاح عن السـبب الذي دفعها إلى الانفصال عنّي، وعندها أفصحت عن الأمر، فلا تسـتطيع أن تتخيّـل هـول الصدمة ممّـا قالته، لم يكن خبراً يمكن توقّعه».

«ألـم تفسّـر لك عدم امتناعهـا عن خوض علاقة معك رغم

زواجها؟».

أجاب إيسادور: «اعتقد أنّ دوري تمثّل في أن أكون قطعة لحم إضافيّة، فقد استغلّتني لنسيان قسوة زوجها، هل أنت قادم بطلب منه؟».

ردّ أرلندور: «لا بالتأكيد لا، لماذا بحسب اعتقادك أرادت تركه؟».

«ربما كانت حياتها الزوجية تعيسة».

«هل أخبرتك شيئاً ما عن الأمر أو ناقشته معك؟».

«أجل، عندما أنهت علاقتها بي، قالت إنّها أرادت الانفصال عنه، ولكنّها لم تستطع القيام بذلك، وإنّها احتاجت إلى بعض الوقت لجعل شخص آخر يتربّع على عرش قلبها، وإنّ ذلك لم يحصل بسرعة، ثمّ تحدّثت إليها في وقت لاحق، بعد أن اكتشف زوجها الأمر، وجنّ جنونه».

«حسناً، هذا متوقّع أليس كذلك؟».

«ربما هدّدها بطريقة ما».

«ألديك فكرة عن كيفية تهديدها تحديداً؟».

«لا، ولكن راودني ذلك الشعور، فبدت وكأنّها تخاف منه، وقد أخبرت الشرطة بالأمر، وأطلعتهم على القصّة، ولكنّهم لم يجدوا حجّة مقنعة للتدخّل واتّخاذ أيّ إجراء».

أشار أرلندور: «بعد انفصالها عنك، بالتأكيد لم تكن سعيداً».

«لا، عندها أردت... أدركت وقتها ظروفها وخطورة موقفها و...»

رنّ الهاتف في هذه اللحظة مبعثراً كلمات إيسادور، فرفع السمّاعة ليجيب، ودوّن الطلبية على قصاصة ورق، وشرح للمتّصل أنّه في اجتماع مهم، ثم أنهى المكالمة.

استأنف أرلندور الكلام: «ألست من أخبر زوجها بالخيانة؟».

أجاب إيسادور: «أردت تقديم العون، اعتقدت أنّ تصرّفي هذا سيصبّ في صالحها، هذا كلّ ما في الأمر».

«ماذا عنها، ألم تطلب منك كتمان أمر علاقتكما والإبقاء عليها سرّاً؟».

«ليس بالشكل الذي جعلني أقتنع بأنّها ترغب في ذلك حقّاً».

«بالرغم من ذلك، ألا ترى أنّه من الأفضل لو التزمت الصمت حول تلك العلاقة؟».

«حسناً اسمعني، لم أكن سعيداً، وقد اتّصلت بها عدّة مرّات، وفي مرّة رفع زوجها السمّاعة، وبمجرّد سماع صوتي من الجانب الآخر من المكالمة حتّى أراد معرفة هويتي، فلم أمتلك خياراً ولم أقدرعلى اختلاق قصّة ما، فأخبرته بالحقيقة، حقيقة خيانته».

«ولكنّها توقّفت عن رؤيتك قبل حدوث ذلك وأنهت الأمر بينكما».

أجاب إيسادور: «أميل إلى الاعتقاد أنّ حصول ذلك كان رغماً عن إرادتها، فلم تكن تريد الانفصال عنّي حقّاً».

«توجّب عليك إدراك الأمر ومعرفة النتائج المترتّبة عن إخباره بالحقيقة».

«كما قلت سابقاً، بدا لي الأمر وكأنّني أساعدها، وسبق لها

أن أخبرتني أنّ زواجها على شفير الهاوية، لكنّها لم تجرؤ أن تخطو إلى الأمام حتّى من أجل خلاصها من حياتها الصعبة تلك».

«هل تعي أنّها اختارته ولم تخترك؟».

أجاب إيسادور يائساً: «كانت خيبة أمل كبرى».

«وهل علمت بإقدامه على ضربها مراراً وتكراراً؟».

أومأ إيسادور إليه بالإيجاب.

«لهذا السبب أرادت أن تهجره، قبل بدء علاقتنا القصيرة هل من الممكن أنّه آذاها بشدّة وعرّض حياتها للخطر؟».

أجاب إيسادور: «هذا عمل رجال الشرطة الذين عليهم أن يقوموا به، هم من عليهم اكتشاف ذلك، ولديهم كّل هذه المعلومات أمامهم على الطاولة، ولكنّهم يزعمون عدم امتلاكهم الأدلّة الكافية التي تدينه، إنّهم يماطلون وحسب».

«هناك شاهد أدلى بإفادته قائلاً إنّه رآها وهي تتكلّم مع شخص ما لا تزال مجهولة هويته قبل مغادرتها سكولاكافي، فهل لديك فكرة حول من يكون؟».

أجاب إيسادور: «لا».

«ألم يكن أنت؟».

«لا لست أنا، عدت إلى المنزل باكراً في تلك الليلة، وأعلم ما ترمي إليه، فأنا لم أؤذِها ولن أفعل ذلك، كلّ ما أردته تقديم العون لها».

«حسناً فهمت، إذاً كيف سارت الأمور بحسب اعتقادك؟».

«اسأل زوجها إن أردت معرفة ما جرى».

«ماذا تقصد بكلامك هذا؟».

«لا تسئ فهمي، لقد صدمني سماع خبر اختفائها، ولا أقول إنّ زوجها ارتكب جريمة، أو أيّ شيء من هذا القبيل، وإنّما اعتقادي أنّ المسكينة لم تحتمل حياتها القاسية، فانتحرت، ويقع جزء من المسؤولية على عاتق زوجها، وقد وضعت الشرطة هذا الأمر في عين الاعتبار فور اختفائها، وأظنّ أنّهم محقّون، وفي الوقت نفسه لا يمكنهم فعل شيء إضافي من أجل ذلك».

«هل بدت لك امرأة تفكّر في اللجوء إلى الانتحار من أجل خلاصها؟».

«حالها حال أيّ سيّدة في وضعها، بدت مكتئبة وحزينة ومحبطة، ولم يخطر في بالي إقدامها على شيء خطير كهذا أبداً، على الأقلّ لم تظهر نيّتها على ذلك وهي برفقتي».

«فلنتحدث عنك الآن، لم تسعد بابتعادها عنك وتحطيمها قلبك أليس كذلك؟».

ردّ إيسادور: «حدث الأمر منذ ثلاث سنوات قبل اختفائها، وامتلكت الوقت الكافي لتجاوز الأمر ونسيانها، وقد أخبرتك بذلك سابقاً، وأعلم ما ترمي إليه، لذا دعني أوضح لك الأمر جيّداً، لست موضع شكّ أبداً، وتستطيع التأكّد من كلامي والتوصّل إلى ذلك بنفسك».

«هل أنت متزوّج الآن؟».

أجاب إيسادور: «لا، لست متزوّجاً، في الحقيقة... أنا أقيم مع إحداهنّ، وشتّان ما بين الأمرين! ولا أرى أيّ علاقة بين

حياتي الشخصية والقضية».

«وهل قدّمت لك صديقتك هذه حجّة الغياب؟».

«ما الـذي تقصـده؟... هـي لم تختلق أيّ حجّـة غياب، كنّا معاً يوم اختفاء أودني، ولم أفعل شـيئاً لإيذائها، صدّقني، كلّ ما فعلتـه هـو إزالـة الضباب الذي يحجب رؤيتها عن الجحيم الذي كانت تعيش فيه».

مكتبة
t.me/t_pdf

36

ألقى الليل ظلمته على المدينة، بما فيها طريق أرلندور إلى عملـه، وخـلال سيره فـي تلك الليلـة، لاحت له ملامـح مألوفة في هليمور قرب مركز الشـرطة، وتبيّن أنها ثوري، فترجّلت من الحافلـة رقـم ثلاثـة مـع مجموعة من الـركّاب، وهي التي تشـقّ طريقها عبر نيس، هاليتي، هليمور، وكانت تلك المحطّة معروفة بأنّها مأوى للمشـرّدين، وملاذ لمن لا مأوى له، كما كانت أكبر محطّـة حافـلات في المدينة، ومؤخّراً أصبحت المركز الرئيسـيّ لمواصـلات ريكيافيـك، ورغم بنائهـا الجديد وحلّتها الأنيقة، لم تخـلُ مـن بعـض المظاهر البالية، ككتل الإسـفلت الأسـود التي جرفتهـا الريـاح مـع الزمـن، والآن هنـاك برك صغيرة مـن المياه خلّفتها أمطار ذلك اليوم، وكان موقف الحافلة واسعاً وله سقيفة كبيرة، ونوافذ مهشّمة جهة الشرق، ومن المفترض أن يكون موقفاً لحافلـة فقـط، ولكنّـه غدا مأوى للمتشـرّدين يلجـأون إليه خلال الطقس السـيّئ، فيصلّون كي تمرّ حافلة وتقلّهم إلى حياة أخرى جميلة، آملين ألّا تتأخّر في تلبية ندائهم.

لـم يلحـظ أرلنـدور أثـراً لحبيبها بيرغمونـدور، فتوجّه فوراً ليلقـي التحيـة عليهـا، وقد تخيّلها بحال جيّـدة، فرأته ثوري على الفور، ولكنّها كانت في مزاج سـيّئ، إذ تبيّن أنّها تسـرّعت قليلاً

فـي الترجّـل مـن الحافلة، بدلاً من بقائهـا على متنها، وقد قرّرت الترجّل في هليمور باكراً وانتظار الحافلة التالية.

صرخت بصوت عالٍ: «أوغاد!».

«ما الذي حدث؟».

«مجموعة من الحمقى، أثاروا غضبي عندما كنت على متن الحافلة، يا لهم من أوغاد!».

سـألها أرلندور: «هل تواجهين المشـاكل عادة مع... أوغاد كهؤلاء؟».

أجابتـه بالحـدّة ذاتهـا وهـي تصرخ مجـدّداً: «ومـا علاقتك أنت؟».

«آه في الحقيقة لا شيء، فقط اعتقدت...».

«فلتعتقد ما يحلو لك».

خرج أرلندور باكراً، ولم يكن مسـتعجلاً، فمناوبته لن تبدأ قبل ساعة أخرى، فقد أراد أن يمضي وقتاً في البحث في أرشيف ملفّات الشـرطة، لعلّه يصل إلى شـيء ما، وبدلاً من ذلك عرض علـى ثـوري احتسـاء القهـوة، فوجـدا مكانـاً قريباً مناسـباً، وأمل أرلندور أن يتمكّن من سؤالها بعض الأسئلة المتعلّقة بذلك القرط الذي عثرت عليه بالقرب من مكان إقامة هانيبال، فلا أفضل من هذه الصدفة لتكون فرصة جيّدة لطرح أسئلته.

سألته بغضب: «هل ستبتاع لي شراباً؟».

«لا أعتقد أنّهم يملكون رخصة».

«في إمكانك إذاً أن تنسى قبولي دعوتك إلى هنا».

خرجت ثوري متّجهة إلى موقف الحافلة، فكان فارغاً، وجلست على المقعد، وانضمّ إليها أرلندور. صحيح أنّ الموقف خلا من الحياة، لكنّ أرضيته امتلأت بكتل اللبان الممضوغة، وبقايا أوراق السكاكر التي تتطاير مع الرياح. وفي إحدى الزوايا سلّة مهملات فارغة تميل إلى الحائط، وقربها زجاجة مكسورة، والرسوم تملأ كل إنش من الجدار.

استهلّ أرلندور الكلام: «أعلمت أيّ شيء عن بيرغموندور مؤخّراً؟».

«ذاك الحقير».

«لقد اعتقدت أنّكما صديقان».

«ليس لبيرغموندور أصدقاء، ما الذي دفعك إلى التفكير في ذلك؟ إنّه مجرّد بائس مثير للشفقة».

استأنف أرلندور: «في الحقيقة، كنت في طريقي إليك، فقد أردت زيارتك».

«حقّاً؟».

«أردت سؤالك أكثر عن القرط الذي وجدته».

«هل استعدته من ذاك المحتال؟».

«أجل، ووضعته في منزلي».

قالت ثوري: «لا مانع لديّ في استرداده منك».

«وهل من سبب محدّد لأعطيك إياه؟».

قالت ثوري وقد شعرت بالإهانة: «لن أبيعه مجدّداً، إن كان هذا ما تقصده، لم أرد بيعه أصلاً، وددت الاحتفاظ به، ولكن...».

قاطعـت حديثهمـا فتـاة مراهقـة، دخلت المحطّـة وحدّقت إليهما بنظراتها الفاحصة، ولـم يمضِ وقت حتّى توصّلت إلى أنّ أياً منهما لا يشكّل غنيمة يمكن أن تجني من خلاله شيئاً، وكانت ترتـدي تنـورة قصيرة بالـكاد مكّنتها من اعتلاء الرصيف المرتفع عن الأرض.

قال أرلندور: «أريد أن أعرف أين وجدت القرط؟».

«يا إلهي! أخبرتك سابقاً، قرب خطّ الأنابيب».

«أعلم ذلك، ولكن أين بالضبط، هل تذكرين بدقّة؟».

«وما يهمّك أنت بحقّ الجحيم؟».

«أريد أن أعرف لا أكثر».

«ليس بعيداً عن الفتحة».

«يمينها أم يسارها؟».

«يمين، يسار، أيّ نوع من الأسئلة تطرح؟ هل هذا مهمّ؟».

اعتـرف أرلنـدور: «فـي الحقيقة، ربما لا، لكن من الجيّد إن تذكّرتِ الأمر».

قالـت ثـوري: «الجانب الأيسـر، تحت أحـد الأنابيب، كان الظـلام دامسـاً ولـم أكـن لأجده لولا ارتطم رأسـي بشـدّة بذلك السقف اللعين عندما كنت أزحف، فرأيت شيئاً لامعاً فتبيّن لاحقاً أنّه قرط، هل اكتشفت إلى من يعود؟».

«أعمل على ذلك».

«حسناً، هل علمت لمن كان؟».

قال أرلندور: «لست متأكّداً ممّا أظنّه، إن كان فعلاً سقط من

أذن إحداهنّ، فهل سيصل إلى تحت الأنابيب؟ ألقيت نظرة على المكان ذلك اليوم، وليس بإمكان أحدهم أن يحشر نفسه هناك في الأسفل، الأنبوب قريب جدّاً من الأرض، هل لديك فكرة عن ذهاب أحد آخر إلى المنطقة تلك؟».

اقترحت ثوري: «ربما ركله أحد إلى حيث وجدته».

«هذا محتمل».

«أو من يمكن أن...».

«ماذا؟».

«ربما وضعه أحد هناك».

«ماذا تقصدين؟ من قد يضعه؟».

قالت ثوري وقد طفح كيلها من أسئلة أرلندور: «وكيف لي أن أعرف، لم أفكّر في الأمر، في الحقيقة ليس عليّ التفكير في ذلك، هذا عملك أنت، أنا وجدته فقط، ولا أكترث حتّى لكيفية وصوله أو من وضعه هناك، ولا أعلم لماذا تسألني كلّ هذه الأسئلة، من تظنّ نفسك؟».

قال أرلندور محاولاً تهدئة غضبها: «حسناً هدّئي من روعك كلّ ما أريده معرفة حقيقة ما جرى لهانيبال».

«وأنا لا أستطيع مساعدتك في ذلك».

«لقد فعلت حتّى الآن».

أخرجت ثوري علبة قصدير من جيبها، وضعت فيها سجائرها، فسحبت واحدة بشفتيها، وأشعلتها وبدأت تدخّنها.

سألت أرلندور: «هل للقرط علاقة بالأمر؟ بكيفية وفاة

هانيبال؟».

أجاب: «سؤال جيّد، القرط هو القطعة الوحيدة التي لا يمكن ربطها بحادثة غرقه، والتي لا يمكن توقّع وجودها بين حاجيات هانيبال».

قالت ثوري بشيء من الحسرة: «هانيبال المسكين، لا نصادف كلّ يوم أحداً مثله».

أومأ أرلندور إليها موافقاً.

«هل سبق له أن أخبرك عن أخته؟ تلك التي أنقذها من الغرق؟».

«أجل، اسمها ريبيكا، كانت محبطة جداً بسبب ما حدث لأخيها، فهي تلقي بجزء من المسؤولية على عاتقها، يبدو الأمر معقّداً، لقد قابلتها وتبادلنا الحديث وأخبرتني عن الحادثة، وتريد أن تعرف ما جرى لهانيبال».

«ولهذا السبب تتعمّد مطاردتي وإزعاجي طوال الوقت؟».

ابتسم أرلندور.

«ريبيكا... هذا هو اسمها إذاً، لم أكن على علم بذلك، هانيبال لم يحدّثني عنها كثيراً، أو عن بقية أفراد عائلته».

«لم يستطع إنقاذهما معاً».

«ولكن ما ذنبها؟ لماذا تشعر بالمسؤولية تجاه ما حصل؟».

شرح أرلندور الأمر: «كان يفترض أن يكون هانيبال وزوجته في السيّارة وحدهما، لكنّها انضمّت إليهما في آخر لحظة، وليس بالسهولة التي نتصوّرها يتقبّل الإنسان حقيقة كونه بيدقاً في

حصول المأساة والتسبّب بالحزن، وهي لا تستطيع تجاوز الأمر بعد».

سحبت ثوري نفساً آخر من السيجارة التي تحملها بين أصابعها، وشعرت بأنّ القيود تكبّل يديها وتضغط على صدرها بعد المشاجرة التي وقعت في الحافلة، يبدو أنّ الحديث عن هانيبال والفاجعة التي حلّت به هدّآ من روعها.

سألها أرلندور مقاطعاً سكينتها، وهو يأمل أنّها لن تغضب مجدّداً: «إلى أين كنت متّجهة؟».

«أنا؟».

«أجل، إلى أين كنت ذاهبة بالحافلة؟».

«لم أكن ذاهبة إلى مكان محدّد، أفعل ذلك للمتعة فقط، أحبّ ركوب الحافلة والتجوال في أرجاء المدينة، فأشاهد المنازل والطرقات من النافذة، والمناطق الجديدة مثل بريدهولت، وأتخيّل نفسي مسافرة في هذا العالم، وأنّني سأفعل ذلك يوماً ما، إلّا أنّه سينتهي بي المطاف دوماً بالعودة إلى المكان نفسه مجدّداً».

رمت سيجارتها على الأرض، وداستها بقدمها، بعد أن عمدت إلى تدخينها حتّى آخرها، فاحترقت رؤوس أصابعها.

«كلّ ما أعرفه هو افتقاده لزوجته».

«هيلينا؟».

قالت ثوري، وهي ترنو إلى برك الماء الصغيرة في الطريق الإسفلتي: «أخبرني هانيبال بأنّها لوّحت له قبل موتها، فانفطر

قلبه لوداعها، قد أراد إنقاذها، ولكنّها أشارت إلى الفتاة، فضحّت بنفسها من أجل أخته، ودفعته بعيداً عندما حاول إنقاذها، إذ أرادته أن يركّز على إنقاذ أخته، لأنّها علمت أنّ إحداهما ستنجو فقط، وابتسامتها الأخيرة ظلّت التعبير الذي يحرّك عواصف مشاعره، وما يواسيه أنّه قد لبّى رغبتها، فهذا ما أخبرني به، ولم يأتِ على ذكر الأمر مجدّداً، وإن أردت رأيي، أشكّ في القصّة تلك، ولديّ إحساس بأنّ كلّ ذلك من وحي خياله».

بعد قليل وصلت الحافلة، فنهضت ثوري، وودّعت أرلندور، وقدا أظهر صوتها وتعابير وجهها مقدار فرحها بنهاية هذا اللقاء، وكأنّها طوال حديثهما لم ترد سوى قول تلك الكلمة، وهي كلمة الوداع.

استحالت السماء رمادية استعداداً للدفعة التالية من الأمطار، فراقبها أرلندور عندما صعدت إلى الحافلة، واختارت مقعداً قرب النافذة، وهيّأت نفسها لجولتها في المدينة، وهي تلاحق أحلامها التي لا وجود لها في الواقع، من دون أن تغادر الحافلة، ومن دون أن تبدي اهتماماً بمكان توجّهها، تاركة خريطة حياتها على رصيف الذاكرة، قرب موقف الحافلة، حيث وقف أرلندور يراقب المشهد بصمت، وينظر بعيني ثوري إلى حياته، وكيف كانت لتبدو من غير وجهة محدّدة ومن دون هدف.

37

لم يكن أرلندور على اطلاع بتحرّيات دائرة البحث الجنائي، على الرغم من زيارته مكاتبها في بورغارتون بضع مرّات خلال تأديته بعض المهامّ المكلّف بها. إضافة إلى لقائه بعض المحقّقين من أجل تحرّيات عن عمليات سطو أو قضايا اعتداءات واقتحامات خطيرة. فقد استُدعي رجال الشرطة في بعض الأوقات للإدلاء بشهاداتهم في التحقيقات، ولكن بوصفه شرطيّاً في بداية مسيرته المهنية، لم يُستدعَ أرلندور لمثل تلك التحقيقات.

الضابط المسؤول عن التحقيق اسمه هرولفر، وهو رجل في الثلاثين من عمره، هادئ ومتّزن، ويبدي الكثير من الاهتمام بعمله، وكان مشغولاً دوماً، وبالكاد يجد وقتاً للراحة، ولم يجد أرلندور تفسيراً لانهماكه الدائم بعمله. لقد ارتدى أرلندور زيّه الرسمي الكامل، وأمل أن يساعده ذلك في ترك انطباع إيجابي. وفي نهاية المطاف تمكّن من العثور على هرولفر قرب آلة التصوير الجديدة في المركز، فكان ضجيجها يصمّ الآذان، وهو أشبه بمحرّك الجرّار، عدا عن وميضها المزعج في غرفة التصوير المظلمة، فتساءل أرلندور إن كان هناك أيّ تقدّم في التحقيق حول قضية اختفاء أودني.

أجاب هرولفر بينما كان يصوّر نسخة من ملفّ: «لا، لا شيء

جديد، لماذا تسأل؟».

بدا الملفّ عائداً إلى ملكية حقيقية، إمّا باع هرولفر أو اشترى عقاراً لنفسه، أو أنّه يحقّق في قضية احتيال، فلم يتمكّن من أن يدرك أرلندور أيّها الأصحّ.

لقد توجّه متردّداً إلى مركز التحقيق المركزي من أجل إطلاع المسؤولين على آخر المستجدّات وما اكتشفه، بالرغم من درايته بحجّة غياب ريبيكا، التي توجّب إبقاؤها سرّاً وقتاً أطول بقليل، فهو يشعر بالذنب لعدم مقدرته على كشف ما يعرفه، فأرلندور في موقف لا يحسد عليه، وهو يعمل على إيجاد حلّ للمشكلة.

قال لهروفلر: «مجرّد فضول لا أكثر، أما زلت تحصل على المعلومات من الشهود؟».

«ليس الكثير، ما حدث كان واضحاً تماماً».

«وما كان ذلك؟».

«حسناً، من الواضح أنّ المرأة المسكينة انتحرت، فألقت بنفسها في البحر، أو قامت بشيء من هذا القبيل، هذا التفسير المنطقي الوحيد الذي يمكن التوصّل إليه».

«ألم تخضْ في علاقة مع أحدهم، وخانت زوجها؟».

«أجل، لقد عاشت مراهقتها مجدّداً منذ بضع سنوات خلت».

«وهل استُجوب الرجل، أقصد شريكها في الخيانة؟».

«أجل، كان برفقة صديقته في المنزل وقت الحادثة».

«هل أنت متأكّد من أنه لم يختلق الأمر؟».

«أتظنّ أنّه يكذب؟ لا، ما الذي دفعك إلى التفكير في ذلك؟».

«حسـناً ماذا بشـأن الرجل الذي يفترض أنّ أودني التقت به في النادي الليلي؟».

قـال هرولفـر ووميض آلة التصوير ينعكس على وجهه: «لـم أحاول تعقّب أثره، هلّا أخبرتني مجدّداً ما سـبب اهتمامك بهذه القضية».

«حسناً، أفترض أنّك وجّهت تركيزك إلى الزوج؟».

قال هروفلر وهو يرفع غطاء الآلة: «ليس بحوزتنا أدنى دليل ضدّه، ربما أوسعها ضرباً، ولكنّ ذلك لا يثبت شيئاً».

«أوسعها ضرباً؟».

«كانـت مشـكلة أسـرية، كمـا ندعوها، لـم يعتـد أن يصفعها ولكن حصل ذلك مرّة واحدة لا أكثر، وهذا كان كافياً لنستجوبه بشأنها، وقد حقّقنا مع أصدقائهما المقرّبين أيضاً، لكننا لـم نصل إلى شيء محدّد».

«هل تلقّيت معلومات مفيدة؟».

«أجل».

«وهل اعترف زوجها؟».

«لـم يكن لديه خيار آخر، من أنت مجدّداً؟».

قال أرلندور: «أنا مهتمّ بهذه القضية لا أكثر».

«هل مضى وقت طويل على تعيينك في مركز الشرطة؟».

«لا».

«هل أنت على صلة بالمتورّطين في الأمر؟».

«لا، علـى الإطـلاق، مـاذا الآن؟ هـل وصلتـم إلـى طريـق

مسدود؟».

قال هروفلر: «ليس لدينا جثّة، أو حتّى سلاح جريمة، أو أيّ دافع لها، هذا ما يجعل الانتحار التفسير الأكثر تطابقاً مع ما نملك من معلومات، فزواجها كان على شفير الهاوية، وأرادت أن تنفصل عن زوجها، وربما وجدت طريقتها الخاصّة لفعل ذلك».

«هل كان زوجها وحيداً في المنزل يوم اختفائها؟».

قال هروفلر: «هذه ليست جريمة كما تعلم، ولكنّه ذهب في تلك الليلة إلى الليونز لحضور اجتماع ما، اسمعني، لا أدري لماذا أخبرك بهذه الأمور، إنّها لا تعنيك، ذكّرني باسمك مجدّداً؟».

«أرلندور».

«حسناً أرلندور، لماذا الفضول؟ يبدو وكأنّك تعلم شيئاً ما يتعلّق بالقضية».

« ما قرأته في الصحف فقط، وما سمعته من رفاقي في المركز هناك».

تابع هروفلر: «فتّشنا منزل الزوج، وأخضعناه لاستجواب دقيق للغاية، ولم نتغاضَ عن أيّ تفصيل كما طرحنا كلّ سؤال خطر في بالنا وقتها، وتحدّثنا إلى الجيران أيضاً، لم يرَه أحد تلك الليلة. وفي النهاية لم نصل إلى ما يدفعنا إلى الاستمرار بالتحقيق معه وملاحقته قضائياً، ولم يوكل محامياً حتّى، بالكاد تمكّنّا من التحقيق معه حول ذلك».

«ألم يُشتبه به وقتها؟».

«لا يزال مشتبهاً به، في الحقيقة، عشيقها السابق تحوم حوله

الشبهات أيضاً، فالقضية لم تحلّ بعد، إنّها قيد التحقيق، وسنعاود العمل استناداً إلى مخطّط جديد، ونحاول النظر إلى القضية من عدّة زوايا، وسنجري بعض الاتّصالات مجدّداً لمحاولة التوصّل إلى طرف خيط جديد. ولكنّ الحقيقة تبقى... زوجها متمسّك بشدّة بقوله إنّها لم تعد إلى المنزل من ثورسكافي، وإنّه لم يرَها بعد اختفائها، وهكذا تتشابك الأمور أمامنا ونعجز عن حلّ العقدة أو التوصّل إلى شيء ما.

«إذاً لا دليل جديد».

«لا».

قال أرلندور: «هناك رجل قد غرق في كرينغوميري خلال الأسبوع ذاته الذي اختفت فيه أودني».

«ماذا يعني هذا؟».

«هل سمعت بالحادثة؟».

«أجل، ما كان اسمه... آه، ماذا كان اسمه؟».

«هانيبال».

«نعم، هذا هو، إنّه الشخص المتشرّد».

«ألم تجد سبباً مقنعاً لإعادة النظر في قضية وفاته؟».

قال هرولفر: «ولماذا أفتح ملفّه مرّة أخرى؟ لقد مات غرقاً، ووفقاً لتقرير الطبيب الشرعي، لا توجد إصابات أو علامات غريبة لم يستطع تفسيرها، وإن وُجدت، فلم تكن ذات صلة بموته. هل هذا النوع من القضايا يستهويك؟».

«لا، ليس تحديداً».

تابع هروفلر كلامه وهو يجمع النسـخ التي صوّرها: «نحن نصبّ اهتمامنا وتركيزنا كاملاً على قضية المرأة، أمّا موت المشرّد فبات أمراً ثانوياً، وأنت تعلم كيف تجري الأمور».

«ماذا تقول؟».

أطفأ هروفلـر آلـة التصويـر، وأجاب أرلنـدور بنبرة حازمة: «السـاعات الثمانـي والأربعـون الأولـى تكون عصيبـة في قضايا فقدان الأشخاص».

«ماذا عن الحريق في قبو هانيبال؟ أتعلم بأمره؟».

«بالتأكيد، اتّضح لنا أنّه أضرم النار في القبو بنفسه».

«أو ربما لأنّه شـخص ثمل متشـرّد ولن يكترث أحد لأمره، ولا يمكن مقارنته بامرأة كالسيّدة أودني».

صـاح هروفلـر غاضبـاً: «مـا الذي تلمّح إليـه؟ نحن لا نقوم بهذا التمييز، كلّ ما في الأمر أن أودني قد تكون حيّة ترزق، فلا نعلـم مـاذا حـدث لها، واحتمـال إنقاذها لا يزال قائمـاً، وبالتالي تحصل على الأولوية، أمّا المشـرّد فسـقط في بركة الماء وغرق، وفات الآوان على مساعدته، وكان ثملاً وقتها، فقد وجدوا نسبة الكحول مرتفعة في دمه، وما لا أفهمه لماذا... مهلاً لحظة، هل هو قريبك، هل تعرفه؟».

أجاب أرلندور: «يمكنك أن تقول ذلك، عندما كنت أخرج فـي مناوبـات ليليـة، اعتدت الذهاب إليه، فقد كان شـخصاً جيّداً ولكنّه حظي بحياة بائسة».

«أجل، كان ينام عند خطّ الأنابيب، أليس كذلك؟».

«صحيح».

قال هروفلر وهو يضع الأوراق تحت ذراعه: «أيّاً يكن الأمر، هل أردت شيئاً آخر؟ سأتأخّر عن الاجتماع».

«لا شيء آخر، شكراً على مساعدتك».

لاحق أرلندور المحقّق بنظراته وهو يخرج من الغرفة مسرعاً، وقد اتّخذ قراره، ولا شيء سيدفعه إلى الإفصاح عن اكتشاف القرط، بعد أن رأى ضرورة أن يكتم المعلومة لمزيد من الوقت.

38

كان الرجـل منشـغلاً فـي مرآبـه عندما وصـل أرلندور، كان البـاب الكبيـر مفتوحـاً إلـى الأعلى، وسـيّارة أميركية كلاسـيكية جميلة رُكنت في الممرّ خارجاً، لونها الأسود اللامع يوحي بأنّه صُقـل حديثـاً، وداخـل المرآب، كلّ شـيء تقريبـاً كان مرتّباً على رفـوف، أو مخبّـأً داخل صناديق صغيـرة، والأرضية كانت لمّاعة ونظيفة جدّاً، توحي بوجوب خلع حذائك قبل أن تدخل، وتدلّت أدوات زراعية مثبّتة بمسامير على الجدران، إضافة إلى زوج من المعاول، معلّقين من نصليهما النظيفين.

بقي أرلندور خارجاً يتفحّص مالك المنزل، الذي لم يلحظ الشرطي الواقف على مقربة منه، ولم يختلف كثيراً عن إيسادور فـي مظهـره، فشـعره أسـود ونحيل الجسـم وأنيـق المظهر، ومن الواضـح أنّـه أكبـر مـن أرلندور بعـدّة أعوام، ويرتـدي قميصاً ذا مربّعات وبنطال جينز، وكان يعيد قطعاً من القماش وعلبة للصقل إلى مكانها، ويتأكّد من أنّ كلّ شيء في مكانه بعيداً عن الأرض الرطبة، فخمّن أرلندور أنّ الرجل غسل سيّارته قبل صقل الدهان، ثمّ لفّ خرطوم المياه بعناية، وبدا أنّه يعتني بسيّارته ومرآبه بشكل لا يمكن إخفاؤه أبداً.

أدار الرجل شركة تأمينات كبيرة، وعلم أرلندور أنّه سيتحدّث

إليه في النهاية، ولا مفرّ من ذلك، فقد أخّر موعد المقابلة لأطول فترة ممكنة، وقيّد التوتّر تفكير أرلندور، الذي أصبح غير واثق من كيفية البدء بموضوع حسّاس كهذا. كيف سيكون ردّ فعل الرجل؟ في إحدى الليالي اختفت زوجته من دون ترك أيّ أثر في المدينة، فقلبت الحادثة حياته رأساً على عقب، وحامت الشبهات حوله منذ تلك اللحظة، والآن أرلندور، شخص غريب كلّياً، على وشك إرغامه على خوض الأمر بتفاصيله الدقيقة مرّة أخرى.

انتظر أرلندور بهدوء حتّى انتهى الرجل من أعماله، وتنبّه إلى حضوره، فخرج من المرآب وألقى التحية على الشرطي، فردّ أرلندور السلام.

سأل الرجل بتوتّر بعد صمت دام قليلاً: «ماذا... من... كيف أستطيع مساعدتك؟».

«غوستاف، أليس كذلك؟».

«أجل، هذا أنا».

«أنا من مركز الشرطة، في الحقيقة، كنت آمل أن أطرح عليك بعض الأسئلة، حول زوجتك أودني».

«أودني؟».

«أنا مدرك أنّ...».

قال الرجل: «لماذا تريد التحدّث عنها؟ بمَ يهمّك أمرها؟ من أنت مجدّداً؟».

«أنا أرلندور، وأعمل على حلّ قضية زوجتك في وقت فراغي، إضافة إلى قضية شخص توفّي في عطلة نهاية الأسبوع

ذاتها التي فُقدت فيها زوجتك».

«في وقت فراغك؟».

«أجل، أشعر بارتباطها بوفاة رجل أعرفه، وأتحرّى عن الأمر نيابة عن أخته».

«من يكون الرجل؟».

«اسمه هانيبال، إنه شخص مشرّد».

«هل قلت مشرّد؟... ما الذي تتحدّث عنه؟».

«كان يعيش في قناة التدفئة جنوب كرينغوميري، وليس بعيداً عن هنا، وقد غرق في أحد أماكن العمل المغمورة بالماء، وتاريخ غرقه يتوافق تقريباً مع تاريخ اختفاء زوجتك، وربما يطابقه تماماً».

تسمّر الرجل في مكانه، وحدّق إلى أرلندور، وغمر الشكّ والدهشة نظراته. أينما نظرت حوله، تجد النظام والترتيب، ولكنّ وجود أرلندور بات الجزء الوحيد الغريب عن الأحجية التي لا مكان له فيها، ولا يمكن وضعه في أيّ مكان لإتمام الصورة، إنّه يخرّبها فقط، ويعكّر صفو الليل الهادئ بما جاء به من قصّة غريبة حول شخص متشرّد.

سأل غوستاف: «ما علاقة أودني بالأمر؟».

«هذا ما أردت أن أسألك عنه».

«تسألني أنا؟ لا أعرف أحداً متشرّداً، حتى أنت لا أعرفك، وأنت لست هنا في مهمّة رسمية أليس كذلك؟».

هزّ أرلندور برأسه نافياً.

قال الرجل وهو يتوجّه إلى الداخل: «إذاً ليس لديّ ما أطلعك

عليه».

حاول أرلندور مجدّداً: «هناك احتمال قائم بأنّ هانيبال وزوجتك التقيا ليلة اختفائها، وليس لديّ أدنى فكرة عن الظروف التي أدّت إلى هذا اللقاء. فكلّ تحرياتي تقوم على افتراض أنّ زوجتك متوفّاة، وأعلم أنّ هانيبال كذلك، وأريد معرفة ما حدث حقّاً، وريبيكا أخت هانيبال تأمل في الحصول على بعض الأجوبة أيضاً».

قال غوستاف: «اسمعني، من الأفضل أن تغادر الآن، فأنت تهدر وقتك في التحدّث إلى الشخص الخطأ، أنا لا أعرف بشأن من تتحدّث عنهما، ولم أسمع بهما قطّ».

«حسناً، وبالتالي لا يوجد سبب مقنع لكونك...».

«ولا أعرف من أنت أيضاً، يبدو الأمر بعيداً عن المنطق كلّياً، وسأكون ممتناً لك إن تركتني وحدي، فليس لديّ المزيد لأضيفه».

قال أرلندور: «أنا لم أقل إنّ هانيبال ألحق الأذية بزوجتك، لقد كان...».

لقد عجز عن أن يختار الكلمات المناسبة لوصف الأمر.

«فلنقل إنّ أشياء من الماضي تجعل من غير المعقول أن يتعرّض هانيبال لزوجتك، وكانت لديه مشاكل عدّة، لكنّه لم يقدم على إيذائها».

قال غوستاف: «ولنقل أيضاً إنّني لا أهتمّ بالأمر، لقد طلبت منك المغادرة وأن تدعني وشأني، فليس لديّ ما أقوله لك، هل

تفهم كلامي؟».

«أنا أطلعك على قضية هانيبال لاعتقادي بوجود زوجتك قرب الأنابيب ليلة اختفائها حيث كان يقيم».

في هذه الأثناء أمسك الرجل بجهاز تحكّم إغلاق باب المرآب، ولكنّه تردّد بعد سماعه كلمات أرلندور الأخيرة، فكان بين رغبة ورهبة حول محادثته.

تابع أرلندور بثقة وإصرار: «لهذا السبب اعتقد بتقاطع الأحداث في نقطة ما من ذلك الوقت، وإن كان افتراضي صحيحاً، فلا بدّ وأنّ اللقاء كان قرب الأنابيب، لكن لا فكرة لديّ عما حصل لأودني أو هانيبال بعد ذلك، لذا فكّرت في إمكان طلب المساعدة منك».

«لم أسمع بهانيبال هذا، ولا أدري عمّا تتحدّث بشأنه، صدّقني».

«توقّعت ذلك، فلم يسبق لأحد أن ربط بين القضيتين».

«كلّ ما قلته يبدو بعيد الاحتمال... هلّا أخبرتني مجدّداً ماذا كان اسمك».

«أرلندور».

«صحيح، أرلندور، أودّ أن أشكرك على اهتمامك بالقضية ومنحها من وقتك الخاصّ، وسأكون سعيداً أكثر إن توقّفت عن التدخّل في أمور لا تعنيك إطلاقاً».

ضغط الرجل على جهاز التحكّم، وبدأ يسمع هدير محرّك خفيف، واهتزّ الباب قليلاً، وبدأ يغلق تدريجيّاً نزولاً نحو

الأسفل، وكأنّ جداراً احمر يتم ّبناؤه أمام أرلندور، ليبعده تماماً عن حقيقة لا يزال يأمل في الحصول عليها من زوج أودني، فمدّ يده إلى جيبه وأخرج القرط.

«هل يمكنك التعرّف إلى هذا؟».

حدّق الرجل مليّاً بصمت.

«هل سبق لك أن رأيته؟».

استمرّ الباب في النزول، وفكّر أرلندور سريعاً، ورمى القرط لينزلق تحته قبل أجزاء من الثانية من سماع ملامسته للأرض، فندم على ما فعله مباشرة، وخيّل إليه أنّه ألقى بطاقته الذهبية في سلّة المهملات، لقد خسر دليله الوحيد بدافع اليأس، ولا يمتلك الآن أيّ شيء يربط أودني بالأنابيب عدا ملاحظاته وكلمات ثوري، السكيّرة البائسة.

حدّق إلى باب المرآب، فشعر بغّصة في حنجرته وضاق نفسه، بعد أن أدرك أنّه ليس في الإمكان العودة بالزمن والحصول على القرط مجدّداً، وكان على وشك الاتّجاه إلى الباب والطرق عليه عندما سمع صوت المحرّك مجدّداً، والباب كان على وشك أن ينفتح.

التقط الرجل القرط، وكان يتفحّصه وتعابير وجهه تمتزج بين الحزن والغضب والدهشة.

رفع نظراته إلى أرلندور قائلاً: «أين وجدته؟».

39

كان منزل غوستاف مرتباً بقدر مرآب سيّارته، وهو يبدو على العكس تماماً من منزل أرلندور الذي تعمّه الفوضى. لا شيء خارج عن المألوف، قطع أثاث أنيقة مرتّبة، وتماثيل صغيرة من البورسلان منسّقة في غرفة الجلوس في زاوية محسوبة بدقّة، والصور عُلّقت على الحائط بتنسيق مثالي، ولا تزال آثار التنظيف واستخدام المكنسة الكهربائية تظهر على السجّادة ذات اللون الأزرق الشاحب، وقد فاحت في المكان رائحة عطرة أيضاً، كانت غريبة عن أرلندور ولم يتمكّن من تحديد مصدرها، وكاد يخلع حذاءه قبل الدخول عندما أخبره الرجل بأنّه لا داعٍ لذلك، فكان أرلندور واثقاً تماماً من أنّه لم يعنِ ما قاله.

دعاه إلى الجلوس في غرفة المائدة، وأحضر غوستاف كرسيّاً ووضعه مقابل أرلندور، ممسكاً بالقرط، فتساءل الشرطي الغرّ في نفسه إن كان سيستعيده مجدّداً. لقد انقلبت حالة غوستاف الذي تحوّل من شخص طرد أرلندور من أمام منزله، إلى شخص متعاون جدّاً، حيث طلب منه الدخول وهيّأ نفسه للمحادثة، وقال إنّ اختفاء زوجته قد حطّمه تماماً، فهو لا يعلم شيئاً عمّا حصل لها، وليلة اختفائها كان في اجتماع في نادي الليونز.

«أنا عضو منذ بضع سنوات».

«هل القرط يعود إلى أودني؟».

«أجل، إنّه لها».

«هل أنت متأكّد؟».

قال غوستاف: «لقد اشتريته بنفسي من محلّ المجوهرات في ريكيافيك، أنا لم...».

كاد يختنق من حزنه.

تحدّث بينما كان يتأمّل القرط في يده: «أنا لم أرَها منذ اختفائها، الأمر يبدو... سبّب الأمر صدمة لي، لأكون صادقاً، لا أدري ماذا أستطيع أن أقول، أو بمّا أفكّر».

تريّث أرلندور قليلاً، فقد أراد منح غوستاف الوقت ليتمالك نفسه، وامتنع عن ذكر استجوابه لبائع المجوهرات بنفسه، فلم يعلم ما يتوجّب كشفه أو إخفاؤه عن الرجل.

بعد برهة، سأل غوستاف إن كان يتذكّر إن وضعت زوجته القرطين ليلة الحادثة.

أجاب غوستاف: «أجل، كانت تضعهما، أهديتها إيّاهما مباشرة بعد...عندما كنت في مزاج جيّد، لقد أحبّت الحِلي. وهذا القرط يعود إليها، ولكن كيف... أين عثرت عليه؟ هل تحاول إخباري... بأنّك وجدت أودني؟».

أجاب أرلندور بتجرّد من المشاعر: «لا، بالتأكيد لا، فقط القرط، في الحقيقة لست أنا من وجده في بادئ الأمر، بل وجدتهامرأة تدعى ثوري، صديقة هانيبال، الذي اتّخذ من قناة التدفئة في كرينغوميري مسكناً له، وبعد فترة ليست ببعيدة من

تاريخ غرقه، فقد اتّجهت المرأة نحو مكان سكن هانيبال، وعثرت على القرط تحت أحد الأنابيب، وبدوري حصلت عليه منها».

«وكيف علمت أنّه لأودني؟».

قال أرلندور محاولاً تجنّب الغوص في التفاصيل: «لم أعلم، اعتمدت على حدسي وحسب، فهانيبال غرق في عطلة نهاية الأسبوع ذاتها، وليس بعيداً عن هذا المكان، ولديّ إحساس بوجود رابط ما بين القضيتين».

«أنا آسف، ولكنّ الأمور ضبابية قليلاً بالنسبة إليّ، وما علاقتك أنت بالأمر؟».

«كما أخبرتك سابقاً، لقد عرفت هانيبال، وأردت معرفة سبب غرقه إن كان الأمر ممكناً، فتواصلت مع أخته وطلبت منّي المساعدة في كشف الغموض حول سبب وفاته، وقتها ظهر القرط، والآن أجلس أمامك هنا، وأنا أعتذر، إذ أعلم مدى صعوبة الأمر بالنسبة إليك، لكن لم يتبادر إلى ذهني شيء آخر لأقوم به».

لم يستطع غوستاف الإشاحة بنظره عن القرط.

«ولكن كيف وصل إلى هناك؟ كيف انتهى به الأمر في ذاك المكان؟».

قال أرلندور: «ذهاب أودني إلى هناك ليس الافتراض الوحيد، فمن الممكن أنّه سقط منها، فعثر عليه هانيبال وأخذه إلى مسكنه، فهو كان يبقي عينيه يقظتين بحثاً عن الأشياء اللامعة، ولا يمكن استبعاد هذا الاحتمال أبداً».

ألقى غوستاف على أرلندور نظرات فاحصة، وقال بعد قليل

مـن الصمـت: «لكنّك في قرارة نفسـك تصـدّق الاحتمال الأوّل أكثر».

قال أرلندور: «بحسب اعتقادي، أظنّ أنّ زوجتك مرّت قرب الأنابيب في وقت ما، ومن الممكن أنّها توفيت هناك».

لا يزال غوستاف يحدّق إلى أرلندور.

سأل بصوت ضعيف: «هل وجدتها؟».

كانت المرّة الثانية التي يسأل فيها السؤال ذاته، حاول أرلندور إزالة كلّ الشكوك: «لم أجدها، فتّشت جيّداً المكان ولا أثر لها هناك، الأمر يشكّل لغزاً حقّاً، وجلّ ما يمكنني قوله هو اعتقادي بمرورها عبر القناة في وقت ما ليلة اختفائها».

سأل غوستاف: «هل كان هانيبال هذا صديقاً لك أعني الذي أخذها إلى هناك؟ هل كان من اعتدى عليها؟ هل هذا ما تلمّح إليه؟».

أجاب أرلندور: «لا، أنا أشكّ في هكذا احتمال، وفي الواقع أظنّ هانيبال عانى من المعضلة ذاتها مثل زوجتك».

«ماذا تعني بكلامك؟».

«أعتقد أنّه ضحية أيضاً».

«ضحية؟».

قال أرلندور: «أجل، فكرت في الأمر كثيراً، وهذا أفضل ما أمكنني التوصّل إليه، وأعتقد أنّ زوجتك قُتلت ورأى هانيبال الحادثة، فقام القاتل بإسكاته هو الآخر إلى الأبد».

ساد الصمت في الغرفة، وقد عبثت كلمات أرلندور

بترتيب هـذا المنزل، باللوحات المعلّقة على الجدران، وبتماثيل البورسلان المصطفّة بانتظام، لقد جعل كلّ شيء مضطرباً، وبدا غوستاف مشتّتاً للغاية، فوضع القرط على الطاولة، عندها استغلّ أرلندور هذه الفرصة ليخطف القرط ويدسّه في جيبه، فلم يلحظ غوستاف الأمر.

تابـع أرلنـدور: «وبالطبـع، إنّ مـا قلتـه لا يتعـدّى التكهّنات والافتراضـات فـي هـذه المرحلـة، وهنـاك احتمـال واحـد مـن احتمـالات عـدّة، وليـس بالضرورة حدوثهـا. وكلّ ما في جعبتنا مجـرّد معلومـات غير مؤكّـدة وقرط يعود إلى زوجتك وُجد عند الأنابيب، ومن الممكن أنّها ذهبت إلى هناك بنفسـها، فما الذي كانت تفعله؟ تختبئ مثلاً، وهو المرجّح، ولكن ممّن؟ إنّنا نجهل نقاط التشـابك المتمثّلة بأسـباب ارتكاب الجريمتين، التي تخفي وراءها الحقيقة كاملة، وهو ما أملت الحصول عليه منك».

لـم يتمالك غوسـتاف نفسـه خلال كلام أرلنـدور، فانتصب واقفاً على قدميه وأخذ يروح ويجيء وهو يخطو خطوات سريعة في الغرفة.

قال غوستاف بلهجة حازمة: «ما الذي تحاول الوصول إليه؟ كيف لي أن أطلعك على ما لا أعرفه؟».

«لقـد تحدّثـت إلـى بعـض الأشـخاص حول هـذه القضية، وأخبروني أن...».

«أشخاص؟ أيّ أشخاص؟».

«ممّن عرفوا أودني، من الأصدقاء...».

قاطعه غوستاف: «أيّ أصدقاء؟... أخبرني بأنّك لم تفعل... هل تحدّثت إلى إيسادور؟».

«في الحقيقة فعلت».

«ماذا قلت؟ وهل علمت مسبقاً بخيانة زوجتي معه؟ أو أنّه لم يذكر الأمر؟».

«أخبرني بذلك، بهدف الإحاطة بالتفاصيل كاملة فقط».

«لقد حاول تدمير زواجنا، وأدّى دوره في تحطيم علاقتنا على أكمل وجه، إنّه أحقر شخص قابلته في حياتي».

«بحسب أقواله، أودني أرادت الانفصال عنك».

«أجل، بالطبع سيقول لك ذلك، في الحقيقة، كان الأمر يسير بشكل معاكس، فأودني كانت تحاول الابتعاد عنه، وأنا أراه مختلّاً ومضطرباً، وإن كان أحدهم قد ألحق الأذى بأودني، فهو إيسادور، وقد أخبرت الشرطة بذلك، ولكنّهم لم يبذلوا جهداً يذكر في التحرّي عن الأمر، وبدا ذلك غريباً».

«لقد قال الأشياء ذاتها عنك».

«اختلق أموراً وأكاذيب عدّة تتعلّق بي».

سأله أرلندور: «لماذا كانت على علاقة مع إيسادور إن كان مختلّاً إلى هذا الحدّ؟».

«لا أدري، قد تكون لحظة طيش، ولم أفهم الأمر حتّى الآن».

«هل سامحتها؟».

«أنا... أردت الحفاظ على حياتنا الزوجية، ولكن كانت لديه الجرأة والوقاحة ليتّصل ويطلب التحدّث إليها، ألم تتبيّن

الأمـر؟ عليـك أن تـرى كـم أنّه مريـض، الأمر واضـح تماماً، لم أستطع منع نفسي من تخيّل ما فعلته أودني معه، وبكلّ الأحوال لم تسر الأمور جيّداً بينهما، فالتقيا مرّات قليلة فقط، وقد أخبرتني بذلك قبل أن تدرك أنّه مشوّش ومختلّ».

قال أرلندور: «أعلمني أشخاص آخرون بأنّ حياتكما الزوجية كانت حافلة بالمشاكل».

«من قال لك ذلك؟».

«الناس الذين تحدّثت إليهم، ولم تكن المشاكل عادية، كما علمـت بأنّهـا عاشـت معـك أوقاتـاً حالكة وصعبة، لهذا السـبب بدأت بالبحث عن مكان تهرب إليه من قسوة حياتها معك».

«عانت من أوقات صعبة؟».

قال أرلندور: «لقد سمعت شائعات عن تعنيفها».

تحوّلت نظرات غوستاف من أرلندور إلى السجّادة على الأرض.

سـأل أرلنـدور: «لهـذا السـبب ابتعت لهـا القرطين، لتطلب سماحها وعفوها عنك؟».

لم يجب غوستاف.

«أليس كلامي صحيحاً؟».

في البداية، لم يجب غوستاف، ثم تنهّد عميقاً وقال: «لقد... لقـد تعاملـت بلباقـة معـك، ودعوتك إلى منزلي واسـتمعت إلى قصّتـك، وقمـت بذلـك من بـاب اللياقة ومحاولـة مقاربة الأمور بشكل منطقي، وقد أسعدني اهتمامك بالقضية، واعلم أنّ لا أحد يستميت في العثور على أودني أكثر منّي، لقد حاولت التحدّث

إليك بصفتك رجلاً قد تفهم معاناتي، فتكلّمت معك بمواضيع شديدة الحساسية تتعلّق بحياتي الشخصية وعلاقتي الزوجية، لتختلق في النهاية هذه الاتّهامات اللعينة، لقد اكتفيت من ذلك، ومن اتّهامات الشرطة المتواصلة، ومن الأفضل لو تغادر الآن، ولا شيء آخر لأضيفه».

سأل أرلندور: «لماذا أرادت الانفصال عنك؟».

رفض غوستاف الردّ على سؤاله.

«لم تكن لتسمح برحيلها، فقد سامحتها على خيانتها واستمرّ زواجكما وكأنّ شيئاً لم يكن».

كرّر غوستاف كلامه محاولاً كتم غيظه: «من الأفضل أن تخرج؟».

«كيف أصبحت علاقتكما بعد ذلك؟».

«فعلنا ما في وسعنا لتجاوز الأمر معاً، لا أجد للأمر علاقة بأيّ شيء تقوله، من فضلك ارحل الآن».

«هل تحسّنت الأمور بينكما؟».

وقف غوستاف في الردهة، وفتح الباب الرئيسي.

«الأمر ليس من شأنك إطلاقاً».

«هل اعتديت على زوجتك؟».

قال غوستاف بصوت استحال همساً: «لا، لم أضربها، والآن دعني وشأني، أودني لم تعد إلى المنزل أبداً! لم ترجع من ثورسكافي».

وأغلق الباب وراء أرلندور.

40

حصـل أرلنـدور على إجازة لليالـي الأربع التالية، وأصعب ما في الأمر التأقلم والعودة إلى نظام النوم الطبيعي، والاستيقاظ باكراً والنوم مساءً. فرجال الشرطة ذوو الخبرة قالوا إنّه من الأفضل العودة إلى روتين يومي عادي خلال أيّام العطلة بدل الاستيقاظ مساء والنوم خلال النهار، ومن السهل قول ذلك مقارنة بتطبيقه، فتكمن الحيلة في البقاء متيقّظاً طوال سـاعات النهار التالية لليلة المناوبة الأخيرة قبل الإجازة، وعند استيقاظك في الصباح التالي، نظرياً، فإنّ ساعتك البيولوجية تعيد ضبط نفسها».

باءت محاولات أرلندور في اتّباع النصيحة بالفشـل تقريباً، وبقي مستيقظاً قرابة أربع وعشرين ساعة، ولكن في الليلة التالية لـم يقـوَ علـى المقاومـة، وبدأ يغـطّ في نوبات متقطّعـة من النوم ليسـتيقظ بعدها متعباً ومتعرّقاً، ومشـوّش الذهن. إنّها الثانية بعد منتصـف الليـل، ولا يـزال عاجـزاً عـن النوم، فنهض من سـريره وتوجّه إلى المطبخ، وجلس إلى الطاولة، وحيداً صامتاً، محتاراً في أمر نفسه، وحدّق إلى الفراغ، واثقاً من عدم قدرته على تجاوز التفكير في هانيبال وأودني بغضّ النظر عن أيّ وسيلة مستخدمة، وإن تلاشت الأفكار حول تلك القضية، تتزاحم من جديد حول طلب هالدورا، الذي بات يؤرقه مؤخّراً، إلى جانب التفكير بأشياء

أخرى...

سألته مرّة: «ما الذي تنوي فعله، أرلندور؟»، عندها اقترح عليها الانتقال إلى العيش معاً في منزله مؤقّتاً، ولاحقاً ربما يجدان مكاناً ملائماً أكثر، فلم تبدُ مقتنعة بكلامه، وقد أرادت أن يقنعها بصدق ما قاله وأنّه يعنيه حقّاً، فسألته إن كان جادّاً في علاقتهما، فحاول أن يؤكّد لها جدّيّته، وأنّه بات مؤمناً بضرورة حصول ذلك، وأنّ الوقت أصبح مناسباً للاستقرار، والتوقّف عن عيش حياة محورها هو نفسه. فالوقت قد حان لإجراء تغييرات والقيام بشيء جديد ومختلف عن نمط حياته الذي اعتاد عليه.

ومنذ وقت ليس ببعيد كانت تناقشه حول الحصول على مسكن ملائم، فكانت تتصفّح إعلانات العقارات في الصحف، لشراء منزل بدلاً من استئجاره، لأنّهما بحاجة إلى غرفة نوم ثانية، ولكن غرفة واحدة ستكفيهما في الوقت الحاضر، فهالدورا الآن أكثر تفاؤلاً وابتهاجاً، وقد اعتلت الابتسامة شفتيها، فرأى السعادة تملأ قلبها مجدّداً.

استرجع من أرشيف ذاكرته ردّ فعل غوستاف، فهل كانت زيارته له صائبة؟ وإن كان كذلك، هل كان في استطاعته التعامل مع الموقف بطريقة أفضل؟ اجتاحت موجة من الندم أرلندور حول اندفاعه الزائد وعدوانيته تجاهه، عدا عن الاتّهامات التي وجّهها إليه بين سطور أسئلته. وكلّ ما يعرفه، أنّ غوستاف ربما سيستغلّ ما حدث للتقدّم بشكوى رسمية.

بدا افتراض وفاة أودني أمراً معقولاً جدّاً، فأخذ أرلندور في

الحسبان كلّ الاحتمالات التي عرضها على غوستاف، ومنها أنّ الشخص ذاته قتل هانيبال أيضاً. فالغيرة والانتقام، دافعان قويان تبادرا إلى ذهنه، لكنّ توجيهه أصابع الاتّهام كان مبكراً قليلاً، ومن الصعب استنتاج تسلسل الأحداث عند الأنابيب، وبعدها في مواقع الحفريات القديمة. فكّر أيضاً في إمكان تعرّض أودني للاعتداء، وأنّ هانيبال هبّ إلى نجدتها، فلقي حتفه، وأخفى القاتل جثّة أودني، ورمى بجثّة هانيبال في البركة ليبدو الأمر وكأنّه حادث غرق، معتمداً على حقيقة أنّ أحداً لن يكترث لغرق متشرّد.

لقد أكّد لغوستاف استحالة إقدام هانيبال على إيذاء أودني، وذلك صحيح حتماً، ببساطة لم يستطع تخيّل المشهد، أن يقتلها هانيبال، ويخبّئ جثّتها، ويرمي بنفسه في الماء. ولا بدّ من وجود شخص ثالث، مسؤول عن موتهما، وتلك كانت خلاصة تحرّيات أرلندور التي لم تفارق تفكيره.

عادت به ذاكرته إلى الأحداث التي جرت خلال الأيّام والأسابيع الماضية، لتقف عند لقائه مع ثوري في موقف الحافلة، فتبادر إلى ذهنه روايتها للحادثة، وكيف لوّحت هيلينا إلى هانيبال لتدفعه إلى التركيز على إنقاذ أخته، فقد وضع ثقته في ثوري خلال علاقته بها، عندما كان «لطيفا» على حسب قولها، فهانيبال لم يتمكّن من الهرب من ذكريات ما حصل في حادث الميناء.

تصوّر ثوري في الموقف، تنتظر الحافلة لتخوض في جولتها التالية وتحلم بالسفر يوماً ما. وتذكّر لقاءهما الأوّل، عندما كانت

متّزنـة وراقيـة ومختلفة عن أولئك المدمنات الفظّات اللواتي كنّ أشبه بالساحرات في قصص الأطفال، فحاول مسح صورة ثوري وبيرغموندور في غرفتها غرب المدينة.

غربـاً... حيـث كان يذهب في جولة متجاوزاً أحد المنازل، لفتت انتباهه قصّة الفتاة من كلّية الإناث، والتي اختفت من دون أي أثـر، وقـدّر عـذاب أولئـك الذين لـم يسـمع شـيئاً عنهم أبداً، وكلّ ذلك ترك خلفه ألماً وأسـى. وعلم أنّ هوسـه حول اختفاء الأشخاص، نابع من قلب المأساة التي عاشها في الشرق، وهذا الهوس غدا أشدّ بفضل الكتب التي قرأها عن الاختفاء أو المحن القاسية فوق سطح هذه الأرض الموحشة.

ربما هذا ما يؤرقه منذ البداية، تلك الرغبة التي تقلقه دوماً، وتبقيه يقظاً، فالتشنّجات التي في جسده ولا تفسير لها، والحدس الذي ينتابه ولـم يشعر به سابقاً، أوقدت شرارة في داخله، وجعلته يبادر إلى التدخّل في حوادث الاختفاء في المدينة.

عاجلاً أم آجلاً سيقدّم اكتشافاته إلى مركز التحقيق المركزي، وسـيطلع المسـؤولين علـى كلّ ما يعرفه، مـن تفاصيل محادثاته مع كلّ من قابلهم، بدءاً من الأخوين اللذين وجّه هانيبال أصابعَ الاتّهـام إليهمـا عندمـا احتـرق قبوه، وانتهاءً بثـوري التي وجدت القرط.

قبعـت نقطـة تقاطـع الأحـداث أمـام ناظريه علـى الطاولة، فالتقطـه أرلنـدور وقلبه بين أصابعه، فبحسـب إفـادة ثوري، كان القـرط تحـت الأنابيـب قرب إحدى الفتحـات. وإن كان كلامها

صحيحاً، فحتّى لو سقط من أودني، لن يتموضع في المكان الذي عثرت فيه عليه، ولا يمكن لأحد الدخول إلى مسافة ضيّقة كهذه، ولا تفسير حول كيفية وصوله إلى هناك سوى افتراض أنّ أحداً ركله من دون انتباه. ومن ناحية أخرى، ربما أُخفي تحت الأنابيب، ولا سبيل لإبعاد هانيبال عن ضوء التهمة حول قيامه بهذا الأمر.

احتمال آخر بعيد تبادر إلى ذهنه، لكن لم يستطع أرلندور تخيّل حدوثه، وهو أن تكون أودني ذاتها قد خبّأت القرط هناك، آملة وقوعه بيد أحد ليعلم الناس أنّها لقيت حتفها في النفق المظلم.

41

كعادتهما، التقى أرلندور وريبيكا بعد دوام عمل العيادة في ليكيارغاتا، فقادهما الطريق إلى البحيرة، ثمّ أخبرها عن لقائه بصديق أودني وعن تحدّثه إليه وإلى غوستاف.

قال أرلندور: «ردّ فعل غوستاف كان أغرب ممّا تصوّرت، فقد اعتاد ضرب أودني، ومن الواضح أنّها سعت إلى الخلاص منه. وقد أكّد لي ملكيتها للقرط، ولكن عندما واجهته بأسئلتي، رفض متابعة الحديث، وطردني، وهذا لا يدلّ على أيّ شيء مهمّ بالضرورة، فربما تماديت قليلاً وأثرت غضبه. وفي النهاية، كان قراره صائباً بطلبه الرحيل منّي.

تابع أرلندور حكايته حول زيارته مركز التحقيق المركزي، ونقاشه مع الضابط المسؤول في قضية أودني، وأخبرها عن استجواب زوج أودني، الذي كان موضع شبهة، لكنّهم لم يستطيعوا العثور على أدلّة ضدّه، لأنّ الأمر يتطلّب العثور على الجثة، وسلاح الجريمة ودافعاً واضحاً. وأنّه تسلّطت الأضواء على حبيبها السابق أيضاً، وانتهى بهم الأمر باتّخاذ الانتحار تفسيراً منطقياً لما حدث.

جلسا على مقعد في تيارنارغاتا، حيث يمكنهما من هناك أن يجولا بنظرهما شرقاً عبر البحيرة إلى الكنيسة والمدرسة. وكان

الطقس دافئاً كعادته في فصل الصيف، وكلّ يوم دافئ يليه يوم آخر مثله، واستمعت ريبيكا من دون أن تعلّق، وقد وضعت نظّارة شمسية كبيرة وأنيقة، وكان اختيارها للملابس أنيقاً أيضاً، فهي كانت ترتدي سترة صيفية زاهية، وبلوزة حريرية.

أخيراً، سألته ريبيكا: «ماذا عن هانيبال؟».

أجابها: «لا يكترثون لأمره، يتعاملون مع القضيتين بشكل متناقض تماماً».

«هل أخبرت أحداً عن القرط؟».

«قرّرت إبقاء الأمر طيّ الكتمان لفترة أخرى، فلن يسبّب ذلك أيّ مشكلة في الوقت الراهن، ولكن بعد عدّة أيّام لا أكثر سيصعب عليّ الإتيان بتبرير عدم إبلاغي مركز التحقيق المركزي مباشرة».

«حسناً، ألم يربطوا بين القضيتين؟».

«لا».

«وسيفعلون عندما تخبرهم بشأن القرط».

«أجل».

أطلقت ريبيكا تنهيدة خفيفة.

«وسيصوّرن هانيبال على أنّه الوحش الذي قتلها».

«سيعتقدون ذلك، لكن سيترتّب عليهم معرفة سبب موته، وعلى أحدهم عندها ملاحظة إمكان تدخّل هانيبال بشكل ما في أحداث لا علاقة له بها أدّت إلى أن يخسر حياته جراءها».

جلسا لوقت طويل، تحت أشعّة الشمس الدافئة، وهما

t.me/t_pdf

يستمعان إلى صخب المدينة وزقزقة العصافير، ويتأمّلان البطّ العائم على سطح المياه، بينما الناس يتنزّهون في أرجاء تيارنارغاتا، كما تناهت إلى مسامعهم أصوات أبواق السيّارات فضلاً عن ضجيج المارّة، ومن وقت إلى آخر سمعا صفير سيّارة الشرطة، فشعر أرلندور حينها أنّ حادثاً وقع، وأمل ألّا يكون خطيراً.

«أخبريني، هل تحدّث هانيبال سابقاً عن الحادث في هافنارفيوردور؟».

«لماذا تسأل؟».

«سمعت أنه تحدّث إلى أحدهم في الأمر، وقد أخبرتِني بأنّه لم يشأ ذكره أبداً أليس كذلك؟».

قالت ريبيكا: «لا، هذا لا يعقل، لم يكن ليناقش الأمر بتاتاً، ليس مع أيّ أحد، ولكن ماذا سمعت بالضبط؟».

«بالاستناد إلى المنطق، لن يتحدّث شخص عن مصيبة حلّت به سوى إلى أقرب الناس إليه».

قالت ريبيكا: «لست متأكّدة ممّا تقصده».

«هل سمعت بامرأة تدعى ثوري؟».

«ثوري؟ لا أعتقد ذلك»؟

«كانت واحدة من أصدقاء هانيبال، وهي سكّيرة أيضاً».

«حقّاً؟».

«إنّها المرأة التي حدثتك عنها، تلك التي وجدت قرط أودني. فبعد وفاته قصدت مكان إقامته وعثرت على القرط صدفة

تحت أحد الأنابيب، لكنّها لم تخبر أحداً، حتّى التقيت بها، ولم تكترث لسبب وجوده في ذاك المكان، وقد احتفظت به إلى حين قايضته بزجاجة خمر».

«أكانت واحدة من أصدقاء هانيبال؟».

أومأ أرلندور إليها إيجاباً، وشرح كيف أنّه تبعها إلى الملجأ التي تقيم فيه في أرنتمانستيغور، من دون أن يعلم بطبيعة علاقتهما بدقّة، لكن لا بدّ من أن تكون قوية وعميقة، حيث إنّ هانيبال ائتمنها على أسراره، ووثق بها إلى حدّ ما، ولكنّ أرلندور لا يعلم كيف تطوّرت صداقتهما إلى ذلك الحدّ.

ثوري كانت مزاجية نوعاً ما، وأمضت وقتاً برفقة مدمنين آخرين، ومن الواضح أنّها استغلّتهم للحصول على زجاجة خمر، أو بعض المخدّرات أو أيّ شيء آخر احتاجت إليه، وقد حصل كلّ ذلك وقلبها معلّق بالمكان الصحيح، فقد كانت ذكية، وتدرك تماماً ما تريده، إضافة إلى ذلك، كلّ ما عرفه أرلندور هو حلمها في السفر، وقد ابتدعت طريقة تجعلها بواسطتها على قيد الحياة.

قالت ريبيكا: «هذه المرّة الأولى التي أسمع بها».

«ذات يوم، عندما كان هانيبال –لطيفاً– كما وصفته، أخبرها بالحادث».

«لطيفاً؟».

«أجل هذا ما قالته عنه».

«إن كان منفتحاً على التحدّث معها عن هذه الأحداث، فلا بدّ أنّهما كانا مقرّبين».

«راودنـي الانطبـاع نفسـه، ربمـا أسـاعدك في لقائهـا، لعلّها تستحسن التحدّث إليك».

«ولكن هل تعلم... بمَ أخبرها حول الحادث؟».

شـعر أرلندور بقلقها وارتباكها، فلم يكن متأكّداً من رغبتها فـي الخـوض فـي خضمّ الأمر الذي طاردها طـوال حياتها ودمّر أسرتها، ولا سيّما ما يتعلّق بأخيها، فصاغ أرلندور الإجابة بحرص وحـذر، متجاهـلاً بـكلّ جوارحه ما عنته ثوري من خلال وصفها هانيبـال باللطيـف. ربمـا كان ثملاً قليلاً، لكـنّ الكلمة قد تحمل معانـي عـدّة، ومنهـا أنّه حنون ورقيق، وهذا ما دفعه إلى فتح قلبه إلـى ثـوري عندمـا حلّـت بـه مصيبة، وأيّـاً كانت الظـروف، فقد أخبرهـا عـن نيّته وقتهـا بإنقاذهما معاً، وعندما اتّجه ليحرّر هيلينا التي أدركت أنّ إحداهما سـتنجو فقط، لوّحت له مودّعة، دافعة إيّاه إلى إنقاذ أخته الصغيرة أوّلاً، فقد ضحّت هيلينا بنفسـها من أجل ريبيكا.

«يبدو أنّه اختلق أنّ هيلينا ابتسـمت له، حيث إنّه ولسـبب ما لم يقنع كلامه ثوري، فقد ظنّت أنّ هذه التفاصيل من وحي خياله وأنّه قد اختلقها لنفسه، كما أكّدت أنها كانت المرّة الوحيدة التي تكلّم فيها عن الحادث».

جلسـت ريبيكا صامتة لبعض الوقت إلى جانبه، ثم كرّرت كلمات ثوري.

سألها أرلندور: «هل كنت تعلمين؟».

اعتراها الصمت، واكفهرّت ملامحها، وكشفت شفتاها عن

مكنـون قلبهـا فـي تلك اللحظـة، وانهمرت الدمـوع على خديها خلـف نظّارتهـا الشمسـية، فأدرك أرلندور أن لا حاجة للسـؤال، فقـد كانـت المرّة الأولى التي تسـمع خلالهـا تلك القصّة، وكان مستاء من نفسه لنكئه جرحاً قديماً لم يلتئم بعد، فهو من بين كلّ الناس، توجّب عليه تفهّم الأمر.

أخيراً قالت ريبيكا، بصوت خافت بالكاد سمعه: «أتوقّع أنّه فعل ذلك».

«فعل ماذا؟».

«اختلق الأمر، بشأن ابتسامتها».

لقد استطاع أرلندور الشعور بألمها.

قالت ريبيكا: «لقد أحبّ هيلينا، أكثر من أيّ إنسـان في هذا العالم».

42

هاجمه اللصّ مباشرة، فأدرك فداحة خطئه، عندما التفّ حوله وهرب نحو سكولافوردوستيغور، واجتاز الطريق بسرعة قصوى واختفى في سميدجوستيغور، فكان تأخّره لا يتجاوز أجزاء من الثانية ومع ذلك ما كان ليغتفر، فانطلق أرلندور خلفه وبقي يطارده حتّى طارت قبعته البيضاء في الهواء، فاستمرّ اللصّ يجري بسرعة فائقة نحو لولغافيغار، وتبعه أرلندور بأقصى طاقته، ولكنّ اللصّ فاقه سرعة، وفقد الأمل في إمكان الإمساك به.

عند الخامسة فجراً، أبلغ أحد المارّة عن تحرّكات غريبة رآها في متجر المجوهرات في سكولافوردوستيغور، وذلك بعد أن وجد الشاهد نفسه قريباً من منزله، فسابق الرياح إلى منزله، واتّصل مباشرة بمركز الشرطة. وكانت سيّارتا شرطة تقومان بدوريتهما في المنطقة، وكان أرلندور في إحداهما، مع زميليه غاردر ومارتين، فكانوا أوّل الواصلين. فقد اقتحم اللصّ المتجر عبر كسره زجاج نافذة واجهته الخلفية، وتبيّن أنّه يحمل حقيبة رياضية سوداء تتدلّى على كتفه، لم يبدُ أنّه في عجلة من أمره، وأنّ لديه متّسعاً من الوقت، بعد أن كان متيقّناً أنّ الشرطة لن تصل في الوقت المناسب. فخرج من المتجر بهدوء وسلك الطريق التي قدم منها، ليجد نفسه محاصراً في أحد الأفنية، فاختبأ

فيهـا، بينمـا كان غـاردر ومارتين يلتفّان على المتجر، ثمّ يدخلان من النافذة المكسـورة، فاسـتغلّ دخولهما إليه وخرج من موقعه إلى الشـارع، ولكنّه لـم يتوقّع وجود أحد غيرهما، فالتفت ليجد أرلندور يعترض طريقه، فأطلق العنان لساقيه، ولحق به أرلندور إلى لوغافيغور نزولاً إلى هيفرفيسغاتا.

انحرف اللصّ فجأة نحو الشرق، متوجّهاً إلى سكوغافيرفي، وهـو يتشـبّث بالحقيبـة التي يحملهـا، رافضاً فكـرة التخلّي عنها لأيّ سبب من الأسباب، حتّى لو أخّرته وأبطأت من حركته. كاد أرلندور أن يمسـك بطرف ملابسـه، ولكنّه كان قد خطط للعملية بدقّـة متناهيـة، من خلال ارتدائه ثيابه السـوداء وسـترته وبنطاله، واعتمـار قبعتـه الصوفية، وانتعـال حذائه الرياضي الخفيف الذي يمكّنه من الجري بسرعة كبيرة، فقد تمكّن سابقاً من إطفاء جهاز الإنذار في متجر المجوهرات، وكلّ ما خطّط له جرى على أكمل وجه، ولكنّ وجود عابر سبيل فضولي في تلك الساعة، لم يكن أمراً متوقّعاً.

لـم يكـن غـاردر ومارتين قريبين مـن أرلندور، فبعد أن فقدا أثر طريدتهما في المتجر، لم يلحظا انطلاق أرلندور خلفه. فعادا إلى سيّارة الشرطة المركونة في الجوار.

سـأل غاردر، بينما سـارت بمحاذاتهما سيّارة دورية أخرى: «أين هو بحقّ الجحيم؟».

لم يظهر اللصّ أيّ بادرة استسلام رغم تعثّره عدةّ مرات وهو فـي طريقـة إلـى ليندارغاتا، بينما خارت قوى أرلندور، وأوشـك

على السقوط، فكان خائفاً من فقدان أثره، ولكنّه قاوم آلام قدميه والتقط أنفاسه المتقطّعة، رافضاً الاستسلام مشجّعاً نفسه على مواصلة المطاردة من دون كلل. ولا بدّ أنّ حذاءه الملائم للقيام بالحراسة أو لإلقاء تحية عسكرية، لم يساعده في الجري، وكأنّ صانعه لم يخطر في باله احتمال استعماله في ماراثون الجري.

اتّسعت عيناه عندما رأى اللصّ ينزلق فوق كومة رمال ويسقط مباشرة على الأرض، فاستطاع حينها الاقتراب منه، ولكنّه تمكّن من أن يقف على قدميه، وقد عرج قليلاً، ثمّ اتّجه إلى المسلخ، فتناهى إلى سمع أرلندور صوت لهاث اللصّ وقرقعة المجوهرات في حقيبته، فدار في ذهن اللصّ حينها التخلّص من الحقيبة، وبينما كان يختلس النظر متفقّداً الجوار، تمكّن أرلندور من مباغتته وعرقلة خطّته أمام باب المسلخ.

تدحرجا على الأرض مرّات عدّة إلى أن أصبح أرلندور فوقه بعد أن أدار ظهر اللص إلى الأرض، فضغط رأسه على حافة الرصيف، وحاول التقاط أنفاسه، وعلى الرغم من بعض المقاومة، تمكّن أخيراً من تكبيل يدي اللص بالأصفاد، وسحبه ليقف على قدميه، ثمّ دفعه مقابل أحد الجدران. ففاحت رائحة اللحم المدخّن الشهية من الأفران في المسلخ، وتذكّر أرلندور جوعه، إذ كان جدول مناوبته الليلية مزدحماً ومليئاً بالأحداث، ولم يتسنَ له تناول الطعام منذ مباشرة العمل خلال هذه الليلة.

بدأ أرلندور يصرخ آمراً الرجل الذي اعتقله لتوّه بالتقدّم إلى أعلى التلّ نحو سكولافوردوستيغور، فخطر في باله أن يقوده إلى

مركز الشرطة في هيفرفيسغاتا، ويزجّ به في زنزانة هناك، لأنّ ذلك المركز كان الأقرب والطريق إليه أكثر اختصاراً، وهو لم يكن يحمل جهاز الاتّصال اللاسلكي لإعلام غاردر ومارتين بالأمر، ولكن لم يعد ذلك مهمّاً، فقد قبض على المجرم، والمهمّة تمّت بنجاح.

دفع اللصّ أمامه نحو هيفرفيسغاتا، فتذمّر طوال الطريق، ورفض الإذعان إليه وتنفيذ أوامره بالسير بسرعة، ثم شكا من تعامله معه معتبراً أنّه غير عادل رغم تعاونه، فطلب منه أرلندور أن يصمت. ولم يكن حتّى ذلك الوقت قد لاحظ وجه اللصّ، فكان عشرينياً، ونحيلاً وطويل الساقين، وكأنّهما صممتا للجري، أمّا يداه ووجهه فقد غطّتهما الخدوش إثر سقوطه على الأرض، وتحت قبعته شعر أجعد كثيف.

وقد أصدرت الحقيبة الرياضية التي حملها أرلندور على كتفه خشخشة مع كلّ خطوة خطاها، وكان الصوت منبعثاً من احتكاك الساعات والمجوهرات المسروقة.

سأله اللصّ: «كيف علمت بأنّني أسرق المتجر؟».

أجابه أرلندور: «تابع الطريق بصمت».

«هل رآني أحدهم؟».

لم يجب أرلندور.

أضاف اللصّ: «كدت ألوذ بالفرار».

قال أرلندور: «أجل، لولا تلك السقطة المباشر على وجهك».

«لم أعتقد أنّك تستطيع اللحاق بي كلّ تلك المسافة، ظننتك

ستستسلم، فلم أركض بتلك السرعة في حياتي كلّها».

دفعه أرلندور مجدّداً.

سأله مرّة أخرى: «هل تمارس الرياضة؟».

حثّه أرلندور على الإسراع وقال: «لماذا لا تصمت؟».

صمت اللصّ لبرهة، ثم قال: «كم مضى على عملك في الشرطة؟».

تجاهله أرلندور.

«هل أنت شرطي مؤقّت وتعمل خلال عطلة الصيف فقط؟».

قال أرلندور: «هلّا أقفلت فمك، فليس لديّ أيّ رغبة في التحدّث إليك، ولكن أخبرني لماذا اقتحمت المتجر؟».

تعثّر اللصّ في طريقه بعد بضع خطوات.

«أنا بحاجة إلى المال».

«كلّ الناس بحاجة إلى المال؟ كان من الأجدى أن تسعى إلى أن تعمل لتحصل عليه بعرق جبينك».

«لا أستطيع الانتظار، أحتاج إلى الكثير منه بسرعة، ولا أريد الدخول إلى السجن».

«ما كان يجدر بك أن تسرق».

«أجل، ولكن...».

قاطعه أرلندور وقد شعر بالسأم: «ألقِ بهمومك على شخص غيري، لست مهتمّاً بما ستتفوّه به».

تابعا سيرهما، لكنّ الصمت لم يخيّم طويلاً.

قال اللصّ: «خذها كلّها».

«ما الذي سآخذه؟».

«الحقيبة، وسيبقى الأمر بيني وبينك، وتستطيع القول إنّني أفلتّ منك، أو أنّك فقدت أثري قرب المسلخ، وأنّ الحقيبة لا تزال معي، وستحصل على الكثير مقابل ذلك».

«ما الذي تقوله؟ أحصل على الحقيبة وأنت تلوذ بالفرار، هل هذا ما تقترحه؟».

«تستطيع القول إنّني سرقتها، ولن يشكّ أحد في ذلك صدّقني، وأعدك بأنّني لن أشي بك أبداً، وبأنّني لن أنبس ببنت شفة».

«إذاً أنا أحصل على الغنائم والكلّ يربح؟».

«لا مانع لديّ».

دفعه أرلندور دفعة قويّة، وقال: «توقّف عن هذا الهراء، وإلّا فسيسوء وضعك أكثر، ولن يكون تقريري لصالحك ».

«أرجوك، خذها وأطلق سراحي، تستطيع إعادتها إلى المتجر، ولن يتأذّى أحد، وكلّ ما تضرّر لوح زجاج مكسور، والمحلّات الكبيرة كهذه يغطّيها التأمين، ولن يضطرّ المالك إلى دفع قرش واحد».

فلم يزعج أرلندور نفسه بالردّ على ذلك.

«أخبرني ما الذي ستجنيه من سجني؟ ما هدفك من ذلك؟ فأنا مجرّد نكرة ولن يكترث لي أحد، دعني أذهب أرجوك».

عند اقترابهما من مركز الشرطة، بالكاد كان اللصّ يتقدّم، ولم يعد دفعه يأتي بأيّ نتيجة، فعمد أرلندور إلى الإمساك بكتفيه

وجرّه طوال الطريق.

انهمرت دموع اللصّ في تلك اللحظات، وقال: «سيقتلونني، فأنت لا تدرك خطورة الأمر، فأنا مدين لهم، وقد أجبروني على سرقة المتجر، بعد أن حدّدوا بأنفسهم ما الذي سأسرقه، وقالوا إنّ وفاء ديني يرتبط بهذه العمليّة، وذلك للتعويض عن البضاعة التي أتلفتها».

«أيّ دين؟».

«المخدّرات».

قال أرلندور: «هذا أمر جديد بالنسبة إليّ».

«ماذا تقصد؟».

«كان اقتحامك المتجر من أجل أن تسديد دين المخدّرات، هل هذا حقاً كلّ هدفك من السرقة؟».

«قالوا إنّها الطريقة الوحيدة، وأنا... ماذا أستطيع أن أفعل؟ لقد هدّدوني.. إنّهم مجانين حقّاً».

«من؟».

«الأخوان».

«أيّ أخوين؟».

«لا أستطيع إخبارك».

«أفهم ذلك».

«ولكن سأخبرك إن أطلقت سراحي».

أخيراً، وصلا إلى مركز الشرطة.

«هذا يكفي!».

قال اللص: «أحدهم يدعى إيليرت، وهذا كلّ ما سأقوله الآن، ولن أفصح عن شيء آخر حتّى تطلق سراحي».

قال أرلندور: «إيليرت؟ هل تقصد إيليرت وفيغنير؟».

للمرّة الأولى التزم اللصّ بالصمت.

قال أرلندور: «هل لديه شقيق يدعى فيغنير؟».

قال اللصّ وقد نسي تحفّظه على قول اسم شقيق إيليرت: «هل تعرفهما؟ أقصد هل تعرف من يكونان؟ وما الذي يخطّطان لفعله؟ إذاً فأنت تدرك أنّه لا يمكنني أن أفعل شيئاً غير الامتثال إلى أوامرهما، فقد هدّداني بالقتل إن لم أنفّذ طلبهما».

تجاهله أرلندور، محاولاً تذكّر شيء يتعلّق بإيليرت وفيغنير، وسرحت أفكاره إلى حادثة كرينغوميري.

ماذا لو كان هناك أكثر من شخص واحد؟

ماذا لو كانوا ليلة اختفاء أودني عدّة أشخاص قرب الأنابيب؟

تجمّد أرلندور على درج مركز الشرطة، وهو يحدّق إلى اللصّ، فمرّ شريط الأحداث مجدّداً أمام عينيه، فقد افترض سابقاً أنّ الشخص الذي شهد وفاة أودني هو هانيبال، ولكن ماذا لو كان الأمر معكوساً، وأودني هي من شهدت قتل هانيبال وإغراقه؟

منذ البداية دفع أفكاره باتّجاه واحد، وهو أنّ أودني ضحية اعتداء، وهانيبال قُتل لأنّه رأى أكثر من اللازم، ولكن بالنظر إلى الأمر من الجهة المعاكسة، قد تكون أودني من رأت مقتل هانيبال. فهل اختطفت كي لا تفضح السرّ؟

تذكّر أرلندور كلام بيرغموندور ذات مرّة، فقد قال شيئاً عن

سطوة الأخوين وقوّتهما، وكان واثقاً من أنّهما أرادا القضاء على هانيبال وقد نجحا في مبتغاهما.

ما الذي كان هانيبال يعرفه عنهما؟

هل هما من هاجماه؟

هل أسكتا أودني باختطافها أم بقتلها كما حصل مع هانيبال؟

في تلك اللحظات، كانت الحوادث تعصف في ذاكرة أرلندور الذي ارتسمت على ملامحه علامات الإجهاد والقلق واضطراب الذهن، ما جعل اللصّ يشعر بالأمل بنيل حرّيته، إذ اعتقد أنّه أخذ اقتراحه بعين الاعتبار، فوقف مكبّلاً بالأصفاد على درج مركز الشرطة، ولعب ورقته الرابحة في محاولة طلب الرحمة، وهو قال: «والآن هل ستدعني أذهب؟».

فقضى أرلندور على آخر بريق أمل له بقوله: «لا أستطيع إطلاق سراحك».

وأمسك به، ودفعه أمامه بقوّة إلى داخل المركز، معلناً أنّ لصّ سكولافوردوستيغور قد أُلقي القبض عليه وأنّ المسروقات استردّت.

43

كان الوقت في الصباح الباكر، عندما قرّر المحقّقون استجواب الشابّ الذي عُرف باسم فانار، وكان فريق مكافحة المخدّرات مهتمّاً جدّاً باللصّ وبالمعلومات التي لديه، ولم يطل الأمر في إقناعه بالتعاون مع التحقيق، فهو لم يسبق له أن اعتقل، ولم يكن لديه سوابق إجرامية، كما أنّه لم يطلب محامياً، وقد حاول جاهداً تفادي السجن، إن كان ذلك ممكناً كما أقنع نفسه. استغلّ المحقّقون غياب خبرته وسذاجته الطفولية، فجرى الاستجواب على أكمل وجه وبسلاسة تامّة لدرجة أنّه اعترف بكلّ ما يعرفه عن الأخوين، إليرت وفيغنير، وبحلول وقت الغداء، تحدّث عن كيفية الحصول على المخدّرات منهما، ولماذا أصبح مديناً لهما بالمال. فلفت انتباه المحقّقين أنّ الأخوين نفسيهما طلبا القيام بهذه السرقة، ولم يسبق أن واجهت شرطة ريكيافيك خلال تحقيقاتها أيّ حادثة مشابهة لطريقة تسديد الدين الغريبة.

عاش فانار حياة فوضوية ومثيرة للحزن، فمنذ مرحلة المراهقة بدأ بمعاقرة الخمر، وترك المدرسة، ثمّ بدأ بتعاطي المخدّرات، والحشيشة غالباً، وقد تعرّف إلى مجموعة من رفاق السوء الذين زوّدوه دوماً بها. على الرغم من قيام والديه ما في وسعهما لدفعه إلى الإقلاع، لكنّ هذه العادة تحوّلت إدماناً شديداً

زاد الوضع سوءاً يوماً بعد يوم، وبدأ ينحرف ويهوي شيئاً فشيئاً نحو التهلكة، فحبساه عدّة مرّات في المنزل، وأحضرا له طبيباً حيناً، ونقلاه إلى مصحّ للمدمنين حيناً آخر، حتّى إنّهما ذات مرّة أدخلاه إلى كليبور، وهي مستشفى للأمراض النفسية. وكما هي العادة، فشلت جهودهما، وبدلاً من العودة إلى رشده، بدأ يتعاطى مخدّرات أقوى تأثيراً وأغلى ثمناً، وفي النهاية وقع في ورطة حقيقية عندما عرقل أرلندور خطّته وهو خارج من المسلخ.

كلّفت دائرة البحث الجنائي رجال الشرطة بمراقبة الأخوين عن كثب، وخلال الأيّام القليلة التالية جمعت معلومات مؤكّدة تكفي لإدانتهما، فكانا يهرّبان الحبوب والمساحيق المخدّرة كالريساين والأمفيتامين والماريجوانا على متن سفن لنقل البضائع، وكانا يحمّلان بضائعهما على متن إحدى السفن ليبيعاها بمبالغ طائلة في الخارج. في البداية، عمل الأخوان على متن سفينة، وكانا يهرّبان كمّيات قليلة من الكحول، لكنّ التعامل بالمخدّرات كان أسهل وأوفر ربحاً بالنسبة إليهما، إضافة إلى أنّها لا تحتاج إلى متّسع من المكان، وقد أقام الأخوان علاقات واتّصالات مع زبائنهما في هامبورغ وبوسطن، والآن لا يقلّ عدد موظّفيهما عن خمسة يعملون على متن سفن مختلفة. وقد خُبّئت المخدّرات إمّا في أكواخ صيد قديمة في غراندي، غرب ميناء ريكيافيك، أو في منزل في مقاطعة فوغار، حيث يديران منشرة أخشاب، وكلّ الأماكن التي استخدماها كانت مستأجرة من الملّاك الأصليين الذين لم يكن لهم علاقة بعمليات التهريب تلك، وقد أصابهم

ذهول إثر زيارة الشرطة منازلهم لإخطارهم بأنّ المستأجرين من تجّار المخدّرات. وقد أخفى الأخوان أثرها بشكل جيّد لتضليل الشرطة التي لم يمتلك أفرادها أدنى فكرة عن مكان وجودها.

بعض المعلومات السابقة استُخلصت من إفادة فانار، والقسم المتبقّي من اتّصالات الشرطة في ريكيافيك.

من جانب آخر، كشفت التحقيقات أنّ الأخوين تلقّيا مؤخّراً شحنة من بوسطن، وعندما وصلت الشرطة إلى المكان مجهّزة بكلّ ما تحتاج إليه من عتاد، وجدت البضاعة كما هي لم يلمسها أحد في الأكواخ.

بقي الأخوان ثلاثة أيّام فقط تحت المراقبة قبل بدء عمليات الاعتقال، وكانت الأمور مكشوفة بشكل مثير للشكّ، وكأنّهما لم يعيرا اهتماماً للحفظ على السرّية المتعلّقة بإجراءاتهما، فاستغلّت الشرطة لحظة تفقّد الأخوين لبضائعهما، وداهمت المكان، وقبضت عليهما من دون أيّ مقاومة، وهكذا تمّت العملية بنجاح. وجلّ ما ظهر على وجهيهما بعض الدهشة جراء وجود الشرطة، من غير إنكار ملكيّتهما للبضائع المخبّأة أيضاً، أو ادّعاء أنّها تعود إلى المالك الأصلي حيث إنّهما مجرّد مستأجرين.

من المبالغة الادّعاء أنّ إلقاء القبض على إيليرت وفيغنير قد كشف الستار عن شبكة هائلة من تجّار المخدّرات، لأنّ الأخوين يعملان بشكل مستقلّ من حين إلى آخر، فضلاً عن الاستعانة برجلين أو ثلاثة في آيسلندا وآخرين على متن السفن. ورغم الأرباح الطائلة التي يحصلان عليها، لم يَبدُ على الأخوين أيّ

مظهر من مظاهر الترف، فلا سيّارات فارهة ولا منازل فخمة، إذ كانا حذرين من لفت الأنظار إليهما، وقد استمرّا في عملهما في منشرة الأخشاب، ويدفعان ضرائبهما بانتظام، ولم يودعا قرشاً واحداً من عائداتهما غير الشرعية في حساباتهما المصرفية، وقد سبّب هذا الأمر مشاكل لهما في بعض الأحيان. وفي السنوات القليلة السابقة كان لديهما عمل معيّن، جمعا من خلاله كمّية كبيرة من المال، وضعاها في أكياس بلاستيكية وصناديق، بعضها تمّ تخزينه في أكواخ الصيد والمنشرة، والقسم الآخر منها في المنزل، منزلهما الذي انتقلا إليه في فالكاغاتا ودفعا جزءاً من ثمنه بواسطة أرباحهما تلك.

خلال استجواب رجال الشرطة إيليرت وفيغنير ومن خلال المعلومات التي جمعوها عنهما، شيء واحد صعق المحقّقين، وهو استخدام الأخوين طرائق وحشية لاسترداد ديونهما، رغم أنّ أصابع الاتّهام لم توجّه إليهما مباشرة، إلّا أنّ العديد من الاعتداءات السابقة يمكن ربطها بهما بناء على الحقائق المتوفّرة. فقد عمل شخص لحسابهما وكان تحت جناحهما ويسعد جدّاً عند قيامه بما يكلّفاه به من أعمالهما القذرة لتبقى أيديهما نظيفة ويحقّقا غايتهما. وهذا الشخص معروف تماماً بالنسبة إلى رجال الشرطة، فهو لم يكن سوى إليدي، المجرم الذي صادفه أرلندور في ساحة أوستورفولور خلال عمليات بحثه عن أشخاص عرفوا هانيبال أو التقوا به، وقد جرى التحقيق مع إليدي، وكانت نتيجته إرساله إلى الحجز.

كان فانـار فـي حـال سـيّئة للغايـة عندما زجّ بـه أرلندور في الزنزانة، فبدا مرهقاً من كثرة سـؤاله عن الأخوين طوال الوقت، مـن دون أن يـأكل شـيئاً أو يخلـد إلـى النوم، والآن يشـعر بالندم الشـديد لقيامه بعملية السـطو تلك، إضافة إلى وشـايته بإيليرت وفيغنير.

«كان يجب أن أبقي فمي مغلقاً، فسيكتشفان عاجلاً أم آجلاً الشـخص الذي غدر بهما وبعدها... اللعنة! لا أدري بماذا كنت أفكّر، بماذا كنت أفكر؟».

قال أرلندور مؤكّداً له: «أشكّ في كونك ضمن حساباتهما، كان سيُكشف أمرهما عاجلاً أم آجلاً».

«أجل لكنّ حصول ذلك في هذا الوقت سيكشف لهما هوية الشخص الذي وشى بهما».

«حاول ألّا تشغل بالك بهذا الشأن».

«هل تعتقد أنّهم سيخلون سبيلي عند انتهاء الأمر؟».

قال أرلندور: «سـأكون صريحاً معك، لا أعدك بشـيء لكن ربما يحدث ذلك، وسـيتمّ اتّهامك بالسـطو، ولكن لا فكرة لديّ عن الوقت الذي ستقضيه في السجن».

«أحـد رجـال الشـرطة قـال إنّنـي سـأتجنّب المتاعـب إن ساعدتهم».

«لا يفترض بك تصديق كلّ ما يقال لك».

«اللعنة، لم يكن عليّ أن أذعن إليهم وأفشي سرّهما».

قـال أرلنـدور: «هـل تعلـم إن كان الأخـوان يتربّصان برجل

يدعى هانيبال؟».

«هانيبال، لا، من يكون؟».

«ألم يأتيا على ذكر اسمه أبداً؟».

قال فانار: «لا يذكران شيئاً أمامك سوى أنّك مدين لهما، لم أقابلهما شخصياً سوى في المرّة التي أخبراني بها كم أدين لهما، وبكيفية الدفع لقاء ذلك المبلغ».

«عن طريق اقتحام المتجر؟».

«أجل».

«ما سبب إقدامهما على طلب كهذا؟ هل لديك علم عن مصدر فكرتهما تلك؟».

«لقد رأياها على شاشة التلفاز، في أحد المسلسلات التي يشاهدانها، واعتقدا أنّ الفكرة رائعة».

«ماذا كان اسم المسلسل؟».

«لا أذكر تحديداً... رجل على كرسي متحرّك... في الحقيقة، لا أشاهد التلفاز كثيراً».

«أيرونسايد؟».

«أجل هذا هو!».

مكتبة
t.me/t_pdf

44

سُجن الأخوان لفترة وجيزة في هيفرفيسغاتا، وتمّت مناقشة مسألة بقائهما في الحجز، وقد التزما بالصمت، واعتلى الإحباط وجهيهما، عندما اقتيدا عبر الرواق للزجّ بهما في الداخل.

توسّل متشرّد لا منزل له في الصباح الباكر لإدخاله إلى المركز لينام قليلاً في إحدى زنزاناته. وناح أمام الرقيب، وأخبره كم هو مرهق، وأنّ الله وحده يعلم كم مضى على آخر مرّة بات فيها على سرير وتحت سقف يأويه. أرشده الرقيب إلى مستشفى الحِمى، فقال له إنّه عاد من هناك لتوّه يجرّ أذيال الخيبة. وبعد نقاش طويل مع الرقيب، سمح له بالمبيت في إحدى الزنزانات.

علم أرلندور أنّه بمجرّد نقل إيليرت وفيغنير إلى سجن سيدومولي، لن يستطيع الاقتراب منهما أبداً، وإن رفضا التعاون مع سير التحقيق، فقد تؤول الأمور إلى زجّهما في السجن الانفرادي لأسابيع، ولن يتمكّن من أن يصبر كلّ هذه المدّة، وكان في المركز عندما سمع صدفة أن فيغنير في طريقه إلى سيدومولي، فتوجّب عليه التفكير والتصرّف بسرعة، فلا وقت يضيّعه، وتوجّه مباشرة إلى الزنزانات في الأسفل، قاصداً تلك التي تأوي إيليرت.

لم يصدّق إيليرت عينيه، فقد كان أرلندور يرتدي زيّ رجال

الشـرطة، وقد عرفه على الفور، من دون أن يخبره أرلندور شـيئاً عن نفسه، فكلّ ما أفصح عنه سابقاً كان معرفته بهانيبال.

صاح إيليرت: «أنت! أنت لست شرطياً؟».

«أنا في شرطة المرور».

«شرطة المرور؟».

قـال أرلنـدور: «لا علاقـة لـي بقضيتك، وسـمعت أنّه قبض عليك وعلى شقيقك بتهمة تجارة المخدّرات، لكن لا دخل لي بالأمر، وكلّ ما يهمّني هو هانيبال، فلنتحدّث حوله، أمّا قضيتك فلا تزال قيد التحقيق حتّى الآن».

«قضيتي؟ ليست هنالك قضية».

«لا، هـذا صحيـح، وكمـا أخبرتـك كلّ مـا يهمّنـي هـو أمر هانيبال».

«أنا لا أستوعب الأمر، ما علاقته بكلّ هذا؟».

قال أرلندور: «هذا يغيّر بعض الأشياء، ألا تعتقد ذلك؟».

قال إيليرت: «أيّ أشـياء؟ ما الموضوع اللعين الذي تحاول معرفته حول هانيبال؟ ومن اختلق ذلك الهراء حول تجارتنا؟ هذا ما أريد معرفته، من الذي يحاول تلفيق التهمة بحقّ الجحيم؟ هل أنت اختلقت قصّة هانيبال كي تتجسّس على منزلنا؟».

«لا».

«حسناً إذاً، من قام بذلك؟».

«لا أعلـم شـيئاً عـن قضيتكمـا باسـتثناء اتّهامكمـا بتجـارة المخـدّرات، ولا فكـرة لـديّ حـول أقوال الناس، ولم أتجسّـس

عليكما، وزيارتي لكما لم تكن بصفة رسمية، ومخاوفي تركّزت على هانيبال فقط، فهل كان على دراية بما تقومان به؟»

قال إيليرت: «لم نكن نخطّط لأيّ شيء، لقد شتّتني».

«هـل هـدّدك؟ ألهـذا أضرمت النار في قبوه؟ هل هذا كلّ ما في الأمر؟».

«ليس لديّ شيء آخر لأقوله».

«سأكرّر سؤالي، هل أضرمت النار في قبوه؟».

صـاح إيليـرت: «بـالله عليـك هذا يكفي! ذلك الوغد أشـعل النار بنفسه! كم مرّة عليّ أن أقول لك ذلك؟ نحن أنقذناه، لماذا لا تستطيع تقبّل الأمر؟ لم يكن يتوجّب أن نتعب أنفسنا، وجب أن نتركه يحترق، على الأقلّ لما اضطررت إلى التعامل معك الآن».

قـال أرلنـدور: «أعتقـد أنّك تخلّصت منه، بعد أن اشـتبه في أمـرك، لقـد طُـرد من منزله وعدّك مسـؤولاً عن ذلك. وأعتقد أنّه علـم بمخطّطاتـك واسـتخدمها لتهديدك وابتـزازك، وكان لديك الكثير لتخسره، وهو مجرّد مشرّد ميت لن يكترث لأمره أحد، لذا اتّجهت في إحدى الليالي أنت وشقيقك إلى الأنابيب حيث ينام هانيبال وهاجمتماه، وطاردتماه حتّى سقط في الحفرة المغمورة بالمياه التي وُجد فيها لاحقاً».

اعتـرض إيليـرت: «مـا هـذا الهراء؟ لم تكـن لدينا فكرة عن مـكان ذهابـه بعـد أن خرج من منزل فريمان، وليس الأمر خطأنا، قام بكلّ ذلك بنفسه، والوغد الأحمق أضرم النار في المنزل! ولا علاقة لنا بالأمر، ولم يهدّدنا بأيّ شـيء، فهو لم يعرف شـيئاً عنّا

حتّى يهدّدنا به».

قال أرلندور: «هل سمعت عن امرأة تدعى أودني؟».

«ومن تكون هذه؟».

«خرجت للاستمتاع بوقتها في حفلة ما في ثورسكافي ليلة وفاة هانيبال، وكان الطقس جميلاً فأرادت بعض الوقت لتريح نفسها من التفكير، فاختارت العودة سيراً على الأقدام، ولم نجد لها أثراً».

«ماذا... ما الذي تريده الآن؟».

تابع أرلندور: «لديّ بعض الاحتمالات، ربما مرّت أودني حيث كان هانيبال يقضي ليلته. هل تعرّفت إلى اسمها؟».

«أودني؟ لم يسبق لي أن سمعت بها».

«هل أنت متأكّد؟».

«أجل، متأكّد».

سأله أرلندور: «هل رأتكما؟ أو رأت أحدكما؟ فيغنير مثلاً؟ وهل أرسلت أحدهم لإنجاز أعمالك القذرة بدلاً عنك؟ وهل أرسلت أحداً آخر لإغراق هانيبال؟».

«آه كفَّ عن ذلك الهراء، فأنت لا تملك دليلاً واحداً على اتّهاماتك هذه، وأغرب عن وجهي ودعني بمفردي، يا لك من مزعج أحمق!».

ثمّ وقف على قدميه واتّجه صوب أرلندور، وكان مضطرباً ومشوّشاً أكثر من المرّة الأخيرة التي رآه فيها، فالليلة التي قضاها في السجن لم تكن هانئة، فبدت عيناه متعبتين، وشعره غير مسرّح،

وقد حرص أرلندور على عدم كشف توتّره، مهما اشتدّت حدّة الموقف، فلطالما تحدّث بلهجة حادّة حازمة من دون أن يرفع صوته قطّ، كما لم يتنازل عن موقفه أبداً.

تابع أرلندور بهدوء: «حاولت الفرار، لكنّ قدميها لم تحملاها بعيداً، كانت على بعد عشر إلى خمس عشرة دقيقة سيراً على الأقدام من منزلها في فوسفوغور، وربما بدأت بالركض في ذلك الاتّجاه بعد رؤيتك، فلاحقتها، ولعلّها استطاعت الوصول إلى كرينغوميري قبل أن تمسك بها، على الأقلّ لم يكن هناك أيّ شهود».

حدّق إيليرت إليه بصمت.

سأل أرلندور: «ماذا حدث بعدها؟».

لم يجب إيليرت.

أضاف أرلندور: «أعلم أنّها وصلت إلى حيث الأنابيب بطريقة ما، هل أخذتماها إلى هناك؟ أم أنّها اختبأت في ذلك المكان إلى أن وجدتماها؟».

سأل إيليرت: «هل تمارس ألاعيبك الذهنية معي؟ تختلق اتّهامات حول جريمة لم أسمع بها قطّ، لتفقدني صوابي كي أعترف بارتكابها، ويتكلّل تحقيقك بالنجاح؟ هل هذا ما تريده؟ أتعتقد أنّني سأرتعد خوفاً بسبب خيالك الواسع؟».

سأل أرلندور متجاهلاً إيّاه: «هل اختبأت قرب الأنابيب؟».

قال إيليرت: «استمرّ في سرد قصتك».

«هل وجدتها هناك؟».

اقترب إيليرت منه وبات بين وجهيهما قيد أنملة.

«ما الذي تريده منّي وأنت لا تمّت للقضية بصلة؟ لماذا لا تغرب عن وجهي فحسب؟».

«هل كان من الضروري قتل أودني؟ لماذا لم تكتفِ بتهديدها؟».

لوهلة اعتقد أرلندور أنّ إيليرت سيحاول مهاجمته، لكنّ الرجل هدّأ من روعه، ورسم على وجهه ابتسامة خبيثة وهو يتّجه إلى سريره، حيث جلس وحدّق إلى الأرض بصمت.

بينما همّ أرلندور بالخروج، سمع سعالاً قوياً من الزنزانة الأخرى، وكان الباب مفتوحاً قليلاً، فقرر التحقّق من صحّة الشخص في الداخل والتأكّد إن كان بخير، فدفع الباب ليرى المتشرّد مستلقياً على السرير، مرتدياً ملابس رثّة، فلاحت منه ملامح هانيبال الذي كان مستلقياً مكانه العام الفائت، وقد فاحت منه رائحة بول، وكان يرتدي معطفاً قذراً، وقبّعته الصوفية مرمية على الأرض قرب السرير، وأحد خفّيه سقط أرضاً كاشفاً عن ثلاثة أزواج من الجوارب المثقوبة الواحد فوق الآخر، الأسود والأحمر والأخضر، وعلى الطاولة وجد أرلندور نظّارة مكسورة الإطار.

سعل الرجل مجدّداً، فسأله أرلندور إن كان على ما يرام.

تحرّك الرجل وبانت ملابسه الممزّقة، وما إن رفع رأسه ليرى من يتحدّث إليه، عرفه أرلندور في الحال، فقد كان فيلهيلم، وحين بحث عن نظّارته، دفعها أرلندور إلى يده، فوضعها وحدّق

إلـى أرلنـدور، فبـدت عيناه أكبر خلف عدسـتي النظّارة، لكنّه لم يتعرّف إليه.

«فيلهيلم، أليس كذلك؟».

سأل المتشرّد، وقد تخلّل سؤاله ذلك السعال القوي المزعج الذي يذكره أرلندور جيّداً منذ لقائهما الأوّل: «من أنت؟».

لقد التقينا يوماً قرب أنابيب الماء الساخن في كرينغوميري، هل انتقلت من هناك؟».

«الأنابيـب؟ لـم أسـتطع البقـاء هنـاك، المكان أشـبه بمكبّ القمامة ولا يصلح للإقامة، اعذرني ولكنّني لا أستطيع تذكّرك».

«ليس بالأمر المهمّ».

«هل التقينا هناك؟».

«أجل».

«لقد نسيت ذلك تماماً».

عندمـا جلـس فيلهيلم، باتـت الرائحة النتنة أقـوى، فتراجع أرلندور ووقف أمام مدخل الزنزانة.

«سـألتك حينهـا عن رجل أعرفه يدعـى هانيبال، اعتاد النوم قرب الأنابيب، وقد مات غرقاً».

«آه، أجل هانيبال، هذا صحيح، لقد غرق، يا لك من مسكين يـا صديقـي! لا، لا لقـد انتقلت من هنـاك، ولكن... من الصعب العثور على مكان له سقف وأبواب، ولكن منذ فترة أصبح الطقس مقبـولاً ولا مشـكلة فـي المبيـت في الهواء الطلـق، فالنوم تحت الأشجار في الحدائق، أفضل من النوم قرب الأنابيب من جميع

المقاييس، فهو كان أشبه بالكفن».

«حسناً إذاً..».

التفت أرلندور وهمّ بالمغادرة.

«أليس في إمكانك البقاء قليلاً؟».

«عذراً؟».

قال فيلهيلم بصوت يحثّ فيه أرلندور على البقاء: «هل سترحل الآن؟».

ردّ أرلندور: «أجل، لديّ بعض الأعمال لأنجزها».

«هل يمكنك أن تذكّرني باسمك؟».

«أرلندور».

تابع فيلهيلم، ومن الواضح أنّه يحاول المماطلة من خلال الحديث بينهما: «أشعر وكأنّني بدأت أتذكّر يومها، لقد قصدني بيرغموندور بعد أن غادرت، وزعم أنّه يودّ مساعدتي في الحصول على غرفة في مشفى الحِمى، ولم يستمع إلى معاناتي حول التخييم قرب الأنابيب، مستمرّاً في حديثه عن ثوري، فوَلَعه بتلك البقرة التعيسة جعله محطّ سخرية الجميع حقّاً».

ربما كان فيلهيلم وحيداً، وهذه هي المرّة الأولى التي يتحدّث خلالها إلى شخص يصغي إليه منذ سنوات، ولا يعرف أرلندور عنه أكثر من معرفته عن باقي المتشرّدين في المدينة، فالشخص الوحيد الذي لفت انتباهه كان هانيبال، وما زال يتعامل مع تبعات هذا الأمر.

قال أرلندور هادفاً إلى إنهاء الحديث: «صحيح، حسناً، اعتنِ

بنفسك جيّداً».

قال فيلهيلم، محدّقاً إلى أرلندور من خلف عدستيه السميكتين: «لقد أعطيتني بعض الفكة، أليس كذلك؟».

«هذا صحيح».

«أجل، لقد عرفتك، وقد احتجت إلى القليل من الوقت لنفض الغبار عن ذاكرتي، لكنّك لم تكن ترتدي هذه البذلة يومها».

ابتسم أرلندور: «في الحقيقة، لم أكن أرتديها».

«لم أستطع معرفة سبب وجودك هناك، أو حاجتك إلى أحمق عجوز مثلي، كنت تسأل عن هانيبال، أليس صحيحاً؟ كنت صديقاً له، لقد تذكّرت كلّ شيء. ولكن هل اكتشفت ما حدث له حقّاً؟».

قال أرلندور: «لا، حتّى إنّني لم أقترب من اكتشاف ما حصل».

44

شـقّوا طريقهم في السـيّارة ببطء عبر وسـط المدينة، وكانت الشمس على وشك الشروق، وبدأ الصخب يعمّ شيئاً فشيئاً، على عكس الليلة الهادئة التي سبقت هذا اليوم، وقد استجابوا لبعض الاسـتدعاءات لكنّهـم أمضوا معظم الوقـت يُجرون دوريات في الشوارع، وكان مارتن وغاردر يدردشان، أمّا أرلندور فكان جالساً وحده مشغول البال خلال مرورهم بمدخل أوستورستري، الذي أصبح طريقاً للمشاة مؤخّراً، فقال غاردر إنّه من السخيف إغلاق شـارع للسـيّارات هكذا، وعلّق مارتن الذي، وكالعادة أدّى دور محامـي الشـيطان، متذرّعـاً بـأنّ العديد من البلـدان قامت بالأمر نفسـه، وأنّ عليـه الاهتمـام بالنـاس الـذي يسـتخدمون أقدامهم، وليـس فقـط بأصحـاب العربات الفارهة، فردّ غـاردر قائلاً إنّ ما يقوله هو أغبى شيء سمعه في حياته.

مرّت الدورية عبر بورغارتون في سيرها نحو مركز المدينة، وأشـار غاردر إلى بناء صغير، نوافذه واسـعة تطلّ على الطريق، وسـاحة خاليـة أمامـه، قائلاً إنّه كان ورشـة لإصـلاح الدرّاجات فيمـا مضـى، وإنّ الموقع يصلح لافتتـاح مطعم بيتزا فيه، فقريب غاردر الثري، مالك سفينة لصيد الأسماك، بدأ يهتمّ بالفكرة بعد أن تنـاول البيتـزا مـرّة في لندن، لذا لم يكـن الأمرغريباً كلّياً عنه،

ورغم آمال غاردر في حصول قريبه على المكان، إلّا أنّ بعض المستثمرين المحلّيين في المنطقة ليس لديهم الميل إلى إنشاء مشروع الأطعمة السريعة.

قال غاردر: «في إمكانكما المشاركة أيضاً، إن أردتما».

رفض مارتن الفكرة، التي كان يشكّ في نجاحها.

«ماذا عنك، أرلندور؟».

«لا أريد ذلك، في الحقيقة، لست مهتمّاً بالبيزا».

قال غاردر مصحّحاً: «تقصد البيتزا، البيتزا! كم من المرّات عليّ ترديدها على مسامعك؟ ماذا عنك مارتن، هل أنت متأكّد؟».

سأله مارتين: «ماذا ستسمّونه؟».

«لا أدري، أريد اسماً مميّزاً، رائعاً ولافتاً للانتباه، شيئاً مثل... شيئاً غريباً، أميركياً».

اقترح أرلندور: «ما رأيك في تسميته، بيزا غاردر؟

أطلق مارتن ضحكة جهنمية، فتأكّد غاردر أنّ لا جدوى من محاولة الحديث معهما، وعلى كلّ حال من يضحك أخيراً يضحك كثيراً، وسيرى ما سيحدث عندما يتّصل بهما من أجواء مايوركا المشمسة بمجرّد انطلاق مشروعه.

قادوا السيارة عبر بوسثوستريتي، وتجاوزوا صيدلية ريكيافيك، ثم التفّوا إلى القسم الآخر من أوستورستري، الذي مازال متاحاً للمواصلات، فظهر انعكاس صورتهم على نوافذ المتجر التي عرضت الصورة تلو الأخرى ليبدو المشهد كفيلم يعرض في السينما. وفي تلك الليلة، استُدعوا مرّتين لضبط

أعمال الشغب خلال إقامة الحفلات، واعتقلوا شخصاً سكّيراً، أمضى ما تبقّى من ليلته ضيفاً في زنزانتهم.

عندما همّوا بمغادرة مركز المدينة، جاء بلاغ حول حادثة عنف منزلي، فاستدلّ أرلندور على العنوان مباشرة، وأشعل أضواء سيّارة الشرطة وانطلق بسرعة، فلا حركة سير في الجوار، وسلكوا طريقهم عبر ميكلابروت.

قال مارتن: «ألم نكن هناك لتوّنا؟».

قال أرلندور: «أجل».

قال غاردر: «أليست المرأة ذاتها التي وجدناها ممدّدة على الأرض في أثناء البرد القارس؟».

«هذا صحيح».

قال مارتن: «ما مشكلة هؤلاء الناس؟».

زاد أرلندور من السرعة، لكن سرعان ما ظهرت أمامه سيّارتان تسيران بمحاذاة بعضهما، فشغّل صفّارة الإنذار، وانتبه السائق في إحدى السيّارتين إلى حالة الطوارئ، فأبعد سيّارته عن طريق أرلندور، وفي غضون بضع دقائق وصلوا إلى بوستادافيغور، فأطفأ أرلندور الصفّارة كي لا يوقظ السكّان في المنطقة، وركنوا السيّارة أمام المنزل المنشود، ورأوا أحد سكان البيت المجاور ينتظرهم أمام شبّاك المطبخ مرتدياً زيّ النوم، وكما في المرّة السابقة، كان الشخص نفسه الذي أبلغ عن حدوث صخب وإزعاج، وعندما رآهم يترجّلون من السيارة، أسرع إلى بابه الأمامي.

قـال لهـم: «يبـدو أنّ الأمـر انتهـى الآن، ربمـا خلـدوا إلـى النوم، فقد كان الضجيج أشبه بالجحيم، وهو يصرخ في وجهها كالمجنون. لقد شـعرت بالخوف حقّاً... واعتقدت أنّه سـيقتلها، ومـن ناحيـة أخـرى بدا الأمر بسـيطاً مقارنة بالمرّة السـابقة. فقد سمعت صراخهما مرّة أو اثنتين لا أكثر».

سأله غاردر: «متى توقّف الضجيج؟».

«عندمـا اتّصلـت بكـم تقريبـاً، وأعتقد أنّني أهـدرت وقتكم بطلب المجيء إلى هنا».

قال مارتن: «لا تبدو الإقامة ممتعة إلى جوار هكذا جيران».

«أصدقك القول، فنحن نفكّر في الانتقال، ولكنّ الرجل يبدو لطيفاً من وقت إلى آخر، فهو يعمل في الحديقة، ويدردش معنا من وقت إلى آخر، وببساطة لا أستطيع فهم الأمر بشكل كلّي».

طـرق أرلنـدور البـاب ورنّ الجـرس، لكنّـه لم يتلـقَّ إجابة، فتحقّق من كون الباب موصداً أم لا، ثم اقتحم المنزل بحذر.

وصرخ أرلندور: «الشرطة!».

لكـنّ أحـداً لم يجب، فصرخ مجدّداً، ولكن من دون فائدة. وبعـد برهـة اجتمعوا كلّهـم في بهو المدخل، حيث يخيّم صمت مطبـق علـى المنزل، وكانت السـتائر السـميكة تغطّـي النوافذ في غرفة الجلوس التي كانت شبه مظلمة، وباب المطبخ كان مغلقاً، والمنـزل يخلو من سـاكنيه، فتذكّر أرلنـدور أنّ للزوجين ولدين، وقد أرسلاهما إلى الريف من أجل قضاء العطلة الصيفية.

صرخ مجدّداً: «مرحباً، هل من أحد هنا؟ نحن من الشرطة».

حبسوا أنفاسهم في انتظار إشارة إلى وجود شخص ما، وفجأة سمعوا نحيباً مكتوماً قادماً من غرفة المعيشة، فتبع أرلندور ذلك الصوت، ووقع نظره مباشرة على شيء يتحرّك في كرسي قرب النافذة، وعندما اقترب أكثر، تعرّف إليها، كانت المرأة التي وجدها فاقدة الوعي على الأرض المرّة الماضية.

بقي مارتن وغاردر قرب الباب، حيث إنّ زوجها لا يزال غائباً عن الأبصار.

سألها أرلندور: «هل أنت بخير؟».

استمرّت المرأة في النحيب والتململ على الكرسي.

ركع أرلندور إلى جوارها وسألها: «أين زوجك؟».

لم تنبس ببنت شفة، بدا كأنّها وحيدة في هذا العالم، فقط هي وأفكارها، وقد جلست حانية ظهرها على الكرسي تتأرجح إلى الأمام والخلف، فشعر أنّها لم تستطع رؤيته أو سماعه حتّى.

استمرّ الأمر على هذه الحال حتّى أمسك أرلندور بذراعها، فاستعادت رشدها فجأة وانتبهت إلى وجوده، فأجفلت في البداية، ثم أدارت وجهها لتتمكّن من رؤيته، وتبيّن لأرلندور عندها أنّ المرأة تعرّضت لاعتداء عنيف، فتورّمت إحدى عينيها بشدّة، وشفتها العلوية بدت منتفخة ومشقوقة، وكان أنفها ينزف ويدها التي أمسكها بها تؤلمها، فتساءل إن كانت مكسورة، وتحت الكدمات والجروح الجديدة، ظهرت آثار ضرب سابقة واضحة المعالم.

همست إليه في الظلام: «حاول دوماً ألّا يصيب وجهي، لكنّه

في المرّة السابقة واليوم، لا اعتقد أنّه تذكّر ذلك الأمر».

«إلى أين ذهب؟».

غمغمت بصوت خافت بالكاد يمكن سماعه: «لقد أعطوه حقيبة، قال إنّهم يعيدون التشكيل، ولا مكان له بعد الآن».

«أين هو زوجك؟».

«لذا أعطوه قارباً أيضاً».

لا تزال لا تسمع أرلندور.

همست إليه مجدداً: «لم يرغب في إظهار الأمر، لم يرد أن يعلم الناس بشيء، فضربني حيث لا أحد يستطيع رؤية آثار الضربات، وحتّى الأولاد، ولكنّهم علموا بالأمر... واكتشفوا ما حدث، يا لهما من طفلين لطيفين! في بعض الأوقات كان يشبههما، أجل لقد كان لطيفاً أحياناً».

أومأ أرلندور إليها.

قالت: «لكنّه الآن... لم يعد يكترث للأمر، ولا فرق عنده أين يضربني».

«هل ترغبين في المجيء معنا أو تفضّلين أن نطلب سيارة إسعاف؟».

«لم يعد يهتمّ بعد الآن».

التفتت إلى أرلندور مجدّداً.

«لا بدّ وأنّ مظهري مزرٍ».

«نحتاج إلى أن نعرف أين هو».

همست المرأة: «أشعر بأنّني بحاجة إلى الذهاب إلى أختي، لا

أستطيع العيش هنا أكثر من ذلك، لا أطيق البقاء في هذا المنزل، فهي لا تعلم شيئاً، وسأضطرّ إلى تبرير موقفي أمامها، وأنا... أنا لم أخبرها بمحنتي أبداً، لم أخبر أحداً. أنا... لا أحد...».

كرّر أرلندور: «هل تودّين الذهاب معنا؟ نستطيع مرافقتك إلى قسم ضحايا العنف الأسري، هل يمكنك الوقوف؟».

قالت المرأة مجدّداً: «لا أستطيع العيش هنا لمدّة أطول، سيصل الولدان إلى المنزل غداً... يا إلهي! يجب أن ألا... ماذا سأقول لهما؟».

اقترح أرلندور: «أعتقد أنّه من الأفضل التحدّث إلى أختك، هل تعرفين أين يكون زوجك؟».

«من؟».

«زوجك».

«ماذا بشأنه؟».

«هل تعلمين مكانه الآن؟».

«أجل، بالطبع».

«أين؟».

«في المطبخ».

«ما الذي يفعله في المطبخ؟».

«ممدّد على الأرض».

«على الأرض؟ لماذا؟».

قالت المرأة: «أعتقد أنّه ميت، لقد نظّفت السكين، فكانت مغطّاة بالدماء، وآمل أنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام».

انتصب أرلندور واقفاً على قدميه، وسار عائداً باتّجاه المدخل حيث انتظره مارتن وغاردر.

سأل غاردر: «أين زوجها؟».

«في الداخل».

فتح أرلندور باب المطبخ فكان صغيراً، وأضاء مصباح السقف الباهت، فكان فيه برّاد وموقد، وطاولة صغيرة مدوّرة مع أربع كراسٍ. وعلى الأرض قرب المغسلة، تمدّد الرجل الذي كان صارماً جدّاً معهم في المرّة الماضية، وبركة كبيرة من الدم تجمّعت تحته، فبدا لأرلندور أنّه طُعن ثلاث مرّات على الأقلّ في معدته، أمّا السكين التي استخدمت ونظّفت من الدم مؤخّراً، فكانت موضوعة على لوح التجفيف.

وقفت المرأة خلفه، تنظر إلى زوجها الممدّد حيث تركته.

كرّرت المرأة: «لقد غسلت السكين، آمل أنّ كلّ شيء سار على ما يرام، ولكن عليّ تنظيف الأرضية أيضاً قبل وصول الولدين إلى المنزل».

انحنى أرلندور يتحسّس عنق الرجل.

صاح بعد أن شعر بالنبض على أصابعه: «لا يزال على قيد الحياة! استدعيا سيّارة إسعاف وطبيباً إلى هنا!».

أحضر منشفة صغيرة كانت معلّقة قرب المغسلة، ومزّق قميص الرجل، وحاول جاهداً إيقاف النزيف، فتجمّد غاردر ومارتن في مكانهما، وهما يحدّقان برعب إلى المرأة الواقفة إلى جوارهما، وقد بدت تحت ضوء المطبخ بائسة وضعيفة، عدا عن

وجهها الذي شـوّهته قبضة زوجها، فكان المشـهد الأكثر إيلاماً الذي رأياه في حياتهما.

صاح أرلندور مجدّداً: «الآن بحقّ الله! اتّصلا بالطبيب!».

46

انتهت مناوبتهم، وودّعوا بعضهم في ساحة مركز الشرطة، وهم لا يزالون مصدومين من استدعاء الليلة الماضية الطارئ. استقلّ مارتن سيّارته وعرض عليهما توصيلهما إلى المنزل، لكنّ أرلندور قال إنّه يفضّل المشي، فلاحقت عيناه السيّارة حتّى خرجت من البوّابة. لقد أمضى الثلاثة الكثير من الوقت في استراحة القهوة بعد انتهاء عملهم، يتحدّثون عن المرأة وزوجها وطفليهما، وعن العنف الذي يمارس في منزلهم، كما في الكثير من المنازل الأخرى. تحدّثوا أيضاً عن الضحايا العاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، وعن العار والخزي اللذين يرافقان هذا النوع من الحوادث، وأسرار العائلات المخفية.

لقد تأكّدوا من أنّ الرجل سيعيش، على الرغم من أنّه خسر كمّية كبيرة من الدم، لكنّ جروح الطعن لم تكن قاتلة، وهو نُقل مباشرة إلى قسم العمليات حيث خضع لجراحة سريعة، وعولجت جراح المرأة في قسم رعاية الضحايا وستبقى في المستشفى لإجراء المزيد من الفحوصات.

سمع أرلندور صوتاً قادماً من خلفه: «هل أستطيع الحصول على سرير؟».

التفت ليرى فيلهيلم وقد انسلّ إلى الساحة.

«حسناً، إنّه ليس فندقاً كما تعلم».

قال فيلهيلم: «لستَ مخوّلاً لتقرّر ذلك».

«وأتوقّع أنّك تريد الفطور في السرير أيضاً؟».

جال فيلهيلم بعينيه في المكان من خلف عدستي نظّارته السميكة وقال: «لا أمانع، القهوة والخبز المحمّص؟ لن أترفّع عن شيء كهذا إطلاقاً».

قال أرلندور: «هيا بنا إذاً، فجميع الزنزانات فارغة باستثناء واحدة، ويظنّ أحد المغفلّين أنّه أصاب هدفاً لتمكّنه من النوم فيها».

«ماذا عنك ألم يحالفك الحظّ لتحصل على واحدة؟».

«لا».

قاد فيلهيلم إلى الأسفل وعرض عليه إحدى الزنزانات. أمّا الأخوان إيليرت وفيغنير، فقد نُقلا سابقاً إلى سيدومولي. وبالنسبة إلى الأحمق الذي أفسد إحدى حفلات الليلة الماضية، كان لا يحرّك ساكناً ولم يصدر عنه أيّ صوت، فذلك السكّير المزعج استمرّ في توجيه الشتائم إليهم عندما اقتادوه، وكان ختام ذلك مع غاردر، ولكنّه الآن يغطّ في النوم كحمل وديع، إذ عليه أن يتقبّل واقعه في الوقت الحاضر.

شكر فيلهيلم أرلندور على معروفه وهيّأ نفسه للنوم، وكان مرهقاً تماماً وممتناً لحصوله على مكان يرتاح فيه. وفي الوقت الذي وضع فيه برفق نظّارته المكسورة على الأرض، استفسر أرلندور عن سبب كسرها.

«لقد كان بيرغموندور».

«ما الذي فعله».

مكتبة
t.me/t_pdf

«داس عليها عمداً».

«لماذا؟».

«لأنّه حقير».

«هل فعل كلّ ذلك من أجل المتعة؟».

«قلت شيئاً عن ثوري، ويبدو أنّ ما قلته أثار حفيظته».

«لذا كسر نظّارتك؟».

قال فيلهيلم: «هو يعلم أنّني أعمى كالخفّاش من دونها، إنّه ذكي».

«ذكي من أيّ ناحية تقصد؟».

«يستهدف نقطة ضعف الشخص الآخر، إنّه شخص شرير خبيث، لطالما قلت ذلك، وردّدته على مسامعه أيضاً، فلست خائفاً منه أو من أيّ أحد».

تمدّد فيلهيلم على السرير، فقرر أرلندور تركه ليرتاح، وعاد إلى مركز الشرطة، لتعانقه أشعّة الشمس الصباحية بعد غياب طويل، وقد شعر بليلته طويلة جدّاً على غير المعتاد، فخطر في باله أن يسير قريباً من البحر قبل الذهاب إلى المنزل، وانتابه شعور جيّد حيال فكرته، فكانت فرصة ملائمة ليفضي بتجربته المريرة الليلة الماضية إلى قاع المحيط، ولعلّ هواء البحر النقي يُدخل الطمأنينة إلى قلبه أيضاً، بالإضافة إلى إمتاع ناظريه بمنظر الأفق البعيد كما اعتاد أن يفعل عندما كان طفلاً. فقد ترعرع أرلندور

في المناطق المرتفعة الجبلية من البلاد، بأراضيها الجرداء، والتي تتطلّب كثيراً من المال والجهد ليتمّ استثمارها بشكل جيّد، وكان مسكنه مطلّاً على المضيق البحري أيضاً. فتذكّر القوارب الكبيرة المحمّلة بالبضائع والتي ترسو في قرية الصيّادين الصغيرة قريباً من منزله، وسرب النوارس الذي أقام حفل استقبال له، والضجّة على الرصيف هناك، إضافة إلى صرخات البحّارة. لقد عملت أمّه في مصنع الأسماك، وتبادرت إلى ذهنه نوبات العمل الطويلة، والسكّاكين الحادّة القاطعة، والمرأة الضخمة بمريولها الأبيض تحذّره من أن يدسّ نفسه بين العمّال، فشعر بالحنين إلى تلك الأيّام، نادماً على فراقه البحر.

كان يقف في فاكسافلوي باي يتأمّل أشعّة الشمس المتألّقة، عندما تردّد في ذهنه شيء قاله فيلهيلم، في المرّتين السابقتين في الزنزانة ومرّة الآن، كان الأمر حول الأيّام التي قضاها في قناة الأنابيب وحول زيارة بيرغموندور. بدأ أرلندور التفكير في ثوري وعن السبب العجيب الذي دفع بيرغموندور إلى كسر نظّارة فيلهيلم.

همس أرلندور إلى نفسه كلمات فيلهيلم: «لقد أراد مساعدتي...».

عندما فتح باب الزنزانة كان فيلهيلم يغطّ في النوم، حاول أرلندور إيقاظه، لكنّ المتشرّد بدا أشبه بجثمان شخص ميت، فاضطرّ إلى الإمساك به وهزّه بقوّة قبل أن يتجاوب أخيراً، احتاج دماغه النائم المشوّش إلى بعض الوقت ليعمل ويكتشف أين هو

ومن كان مصرّاً على إيقاظه.

جلس قائلاً: «ماذا يحدث؟ ما الأمر؟».

قال أرلندور: «أنا آسف، لكن توجّب علي سؤالك عن شيء أخبرتني عنه البارحة».

«ماذا كان؟ البارحة؟».

«لماذا اعترض بيرغموندور على إقامتك عند الأنابيب؟».

«هلّا أعدت السؤال».

«أخبرتني البارحة أنّ بيرغموندور أتى لرؤيتك بعد أن انتهيتُ من استجوابك ورحلت».

«آه، أجل».

«قلت إنّه أراد مساعدتك لإيجاد مكان في مستشفى الحِمى، لأنّه لم يرغب في استمرار إقامتك عند الأنابيب».

«إذاً ماذا؟».

«ألم يبدُ الأمر مريباً؟».

«ما هو؟».

«اهتمام بيرغموندور بك، أن يكترث إلى هذا الحدّ، هل كان دوماً هكذا؟».

اعترى فيلهيلم القلق حيال الأمر.

قال وهو يضع نظّارته: «هل أيقظتني لهذا السبب؟».

«أرجوك حاول أن تتذكّر، ولن أزعجك بعد الآن وسأدعك تنعم بنوم عميق، أعدك بذلك. لقد تحادثنا البارحة حول بيرغموندور، وقلت لي إنّه جاء لرؤيتك قرب الأنابيب بعد فترة

قصيرة من رحيلي، هل تذكر؟».

أومأ فيلهيلم إليه موافقاً.

«ماذا أراد يومها؟».

قال فيلهيلم وهو يحاول عصف ذهنه حول الأشياء التي أخبر بها أرلندور وتلك التي لم يقلها له: «كان يتحدّث عن ثوري، ثم سألني إن كنت أملك بعض المشروب، وإن كنت أريد الذهاب إلى مستشفى الحِمى».

«ماذا قال لك بالضبط؟».

«وكيف لي أن أتذكّر؟».

وأردف قائلاً: «قال إنّني لن أصمد طويلاً قرب الأنابيب، ووصف المبيت هناك بالخطر، وقال إنّه سيساعدني في العثور على مكان آخر، وبالنسبة إليّ كمتشرّد، كانت تلك الفرصة ذهبية للحصول على سرير في مستشفى الحِمى، فهذا كلّ ما أردته»

«ألم يكن الأمر غير اعتيادي؟ أقصد هل يعكس هذا التصرّف طبيعته؟».

وافقه فيلهيلم: «إنّها المرّة الأولى التي يتصرّف فيها على هذا النحو، لوهلة شعرت بأنّه صديقي الوفيّ».

«هل رافقته؟».

«لم يتركني وشأني ولم يكفَّ عن إزعاجي حتّى وافقت على الذهاب برفقته، وقد سمح لي بالمبيت في منزله أيضاً، وقد فاجأني ذلك حقّاً».

«إذاً كان مصرّاً على إخراجك من منطقة الأنابيب؟».

«أجل، قال إنّها تضرّ بصحّتي».

«ولكـن كمـا أسـلفت، فهـو لـم يكترث لشـأنك قبـل ذلك اليوم؟».

«لـم يفعـل أبـداً، فـي بـادئ الأمـر اعتقـدت أنّ اهتمامه بما حدث لي نابع من لطفه، لكنّه ليس من الأشخاص اللطفاء، فهو لا يكترث عادة سوى لنفسه».

«ومن بعد ذلك كسر نظّارتك؟».

«فـي الحقيقـة، نعتت ثوري بالسـاقطة اللعينة، وكان غاضباً، فلم يتوجّب عليّ وصفها بذلك، على الأقلّ ليس أمامه».

سـأله أرلنـدور: «مـا هـي طبيعـة علاقتهمـا، ألـم يكونـا معاً دوماً؟».

«لا، لا أحد في إمكانه احتمال بيرغموندور لفترة طويلة».

«هل بدأت بمواعدة شخص آخر؟».

«في الحقيقة، أجل، ألم تعلم بذلك؟».

«هانيبال، أليس كذلك؟».

«أجل، صديقك هانيبال، كانا لا يفترقان».

«أفترض أنّ بيرغموندور لم يكن سـعيداً حيال هذه العلاقة العاطفية».

«لم يكن يطيق هانيبال، ولم يحتمل رؤيته حتّى، ولم يستسلم أبداً، فكان عنيداً جدّاً، ولم أسمع بشأن عراكهما سوى منذ بضعة أيّام».

«هل تعتقد أنّ بيرغموندور كان يغار من هانيبال؟».

قال فيلهيلم وهو يتمطّط: «بالتأكيد لا شكّ في ذلك، هذه طبيعته، هل تسعى إلى سؤالي إن كان قد ألحق الأذى بهانيبال؟».

«ماذا تظنّ أنت؟».

«في الحقيقة لم يخطر الأمر في بالي أبداً، ألم يكن غرق هانيبال حادثاً؟».

هزّ أرلندور كتفيه باستهجان.

«حسناً أنت تعلم... ».

أفاق فيلهيلم بشكل كامل في تلك اللحظة.

«ماذا؟».

«أقصد من الواضح أنّ بيرغموندور أصغر عمراً وأضخم حجماً وأقوى من هانيبال».

«هل تقصد أنه يستطيع التغلّب عليه؟».

«يمكنه التفوّق عليه جسدياً بسهولة، فبيرغموندور لا يقارن بهانيبال، ربما هو من... ».

«هو ماذا؟».

«هل تعلم بشأن ما فعله بيرغموندور سابقاً؟».

«لا، ماذا تقصد؟».

«زعم أولي أنّه رآه».

«أولي؟ من يكون؟ وماذا رأى تحديداً؟».

قال فيلهيلم: «أولافور، لقد سقط ميتاً في ناوثولسفيك، وينبغي أن تتذكّره، اسمه أولافور وقد توفّي بسبب أزمة قلبية على ما أذكر، إلى جانب الطريق في ناوثولسفيك، فلم تستطع

روحه إكمال نصف الطريق».

فجـأة ارتسـمت في ذهـن أرلندور صورة أولافور، المشـرّد الذي وُجد ميتاً مؤخّراً.

سأل أرلندور: «آه صحيح، ماذا بشأنه؟ ماذا رأى؟».

قـال فيلهيلـم: «لقـد رأى بيرغمونـدور بالطبـع، ليلة اندلاع الحريـق فـي قبو هانيبال، وقد أخبرني أولي أنّه لمح بيرغموندور يجـول حـول المنـزل تلك الليلة، وكان واثقـاً جدّاً بأنّه من افتعل الحريق».

جلسَ أرلندور على المقعد القريب منه.

«هل رأى بيرغموندور حقّاً؟».

«لقد كان متأكّداً من ذلك».

تمتم أرلندور بما قاله فيلهيلم في لقائهما السابق وحديثهما عن النوم قرب الأنابيب: «يشبه النوم في الكفن».

«ماذا قلت؟».

«أخبرتني أنّ النوم قرب الأنابيب شبيه بالكفن».

اتّسعت عينا فيلهيلم كعيني البوم، محدّقاً إلى أرلندور.

«هـذا صحيـح، النوم هناك أشـبه بالكفـن، كالتمدّد في كفن لعين».

47

لـم تكـن ثـوري في غرفتها غرب المدينة، وقالت سـفانا التي تعمـل فـي بوليـن أنّها لم تقصد الحانة مؤخّـراً، ولا أحد من الذين عرفوها شـاهدها في سـاحة أسـتورفولور. وبدأ ينتقل أرلندور من مكان إلى مكان ليبحث عنها، ونطاق البحث بدأ يضيق شيئاً فشيئاً، فصعـد إلـى التـلّ الأخضر في أرنارهول، إلى مـكان تجمّع العديد من مدمني الكحول، وكان ثلاثة منهم يسـتمتعون بأشـعّة الشـمس على قمّة التلّ، ويدخّنون ويشـربون زجاجة خمر من نوع برينيفين يتبادلونهـا بينهـم، فلاحظ أرلنـدور وجود زجاجتين إضافيتين بلون أخضر بحري من النوع المفضّل لدى هؤلاء السـكارى المسـتلقين على الأرض. ولا بدّ وأنهم حصلوا على المال بطريقة ما، وقد خلع أحدهم قميصه، كاشـفاً عن جسـد هزيل تسـتطيع عدّ أضلاعه بكلّ سهولة من شدّة نحوله، ورجل آخر، صغير الجسم ونحيل، يعتمر قبعة مسطّحة، كان يغني شيئاً اختاره من قصيدة لستين ستينار حول كاديت جون كريستوفر من جيش سالي، وهم لا يحتاجون إلى شيء إضافي يوصلهم إلى نشوة المتعة في ظلّ هذا الطقس اللطيف.

جلس أرلندور القرفصاء إلى جوارهم، وقد آلمته قدماه كثيراً نتيجة رحلته الطويلة إلى الغرب والعودة مجدّداً، كما عرّج على بيـت ثـوري أيضـاً، وطرق الباب ثم اتّجه نحو النافذة، لكنّ أحداً

لم يجب.

فسأل أرلندور: «هل رأى أحدكم ثوري في مكان ما هنا؟».

أجاب الرجل ذو الأضلاع البارزة، وهو يحكّ إبطه: «ثوري؟ لا لم أرَها».

«ماذا عن بيرغموندور، هل صادفته مؤخّراً؟».

قال الرجل الصغير نازعاً قبعته ليحكّ رأسه: «لم أرَه أيضاً».

اتّفق الجميع على ذلك.

سأل أرلندور وهو يمطّ ساقيه: «هل عادا إلى بعضهما؟».

عدّل الرجل الثالث جلسته، وكان سميناً ملتحياً، ومن الواضح أنّ الخوف يتملكّه من سؤال أرلندور عن إمكان حصوله على زجاجة مشروب كونه شرطياً.

أجاب السمين أرلندور بصوت تعلوه الكآبة: «لم نكن نعلم ذلك، لماذا يهمّك الأمر على أيّ حال؟».

قال أرلندور: «سمعت أنّه مولع بها».

قال النحيل، وما زال يحكّ إبطه: «إنّه حقير تافه».

قال الكئيب، وقد ابتهج قليلاً عند سرد قصّة تعاسة شخص آخر لأرلندور: «لقد أوسع تومي ضرباً ذات مرّة هنا، لذا لا كلام جيّد يقال بحقّ هذا الشخص».

أجاب الرجل الذي تبيّن أنّه تومي: «لا أحد سيخبرك خيراً عن ذلك السافل».

قال أرلندور: «ماذا حدث؟ ما الذي فعله؟».

تجاهل تومي السؤال.

لكن الرجل الكئيب استهلّ شرح الأمر لأرلندور: «اعتادت ثوري فعل أيّ شيء مقابل الهدايا، لطالما قامت بالأمر، ولم ترد أكثر من ذلك».

قال أرلندور: «مقابل زجاجة من الميث مثلاً؟».

«ليس ذلك فحسب، طالما أنّ بيرغموندور لا علم له بالأمر فالأمور جيّدة، حتّى اليوم الذي ذهب فيه تومي لرؤيتها... وقد أعطاها شيئاً سخيفاً، ماذا كان يا تومي؟».

قال تومي: «تذاكر حافلة».

ردّد أرلندور: «تذاكر حافلة؟».

«تذكرة لعشر رحلات استطعت الحصول عليها».

قال الرجل السمين: «تومي ليس محظوظاً أبداً مع السيّدات».

ردّ عليه تومي: «وما أدراك أنت؟ انظر إلى نفسك أوّلاً، من عساه يقبل بمتشرّد قبيح مثلك؟».

«عندما سمع بيرغموندور بالأمر تعقّب تومي، وأرغمه على أخذ التذكرة قبل أن يوسعه ضرباً، وقال له إنّه سيستحمّ بدمه إن اقترب من ثوري مجدّداً».

«متى حصل هذا؟».

قال تومي وقد توقّف عن تمطيط نفسه وتطلّع إلى الشمس عالياً: «منذ خمس سنوات تقريباً، لقد كسر لي سنّاً».

فتح تومي فمه، وأشار إلى مكان السنّ، لكنّ أربعَ أسنان على الأقلّ قد سقطت سابقاً، ولم يعلم أرلندور أيّ واحدة منها كانت ضحية لكمة بيرغموندور.

48

هذه المرّة عندما ذهب إلى منطقة الأنابيب أخذ معه معولاً صغيراً ومصباحاً قوياً، وقد استعار المعول من صديقه في الطابق العلوي الذي يعتني بحديقة البناء، أمّا المصباح فكان من أغراض الشرطة التي بحوزته.

نادرة ملفّات الشرطة التي لا تحوي اسم بيرغموندور، فقد تراوح سجلّه الإجرامي بين جنح صغيرة ومشاجرات وسرقات، وعاد أرلندور بذاكرته إلى حديثهما في أرنارهول، حيث خدعه واشترى له المخدّرات، وكان بيرغموندور متأكّداً من أنّ الأخوين إيليرت وفيغنير افتعلا الحريق في قبو هانيبال، وهو بنفسه من زعم امتلاك هانيبال معلومات خطيرة حول الأخوين، لذلك أسكتا هانيبال إلى الأبد في كرينغوميري. وبدا الأمر وكأنّ بيرغموندور قد تعمّد تضليل أرلندور.

كان الوقت متأخّراً عند انطلاق أرلندور إلى الأنابيب، وذلك بعد فشله في تعقّب أثر ثوري أو بيرغموندور، وربما العثور عليهما أو البقاء مختفيين لن يشكّل فرقاً الآن. في النهاية، قرّر أن يأخذ القرط وما توصّل إليه في تحرّياته إلى دائرة البحث الجنائي صباحاً، ليتابع المحقّقون بقية القضية بأنفسهم، وسيتوجّب عليه شرح الأمر لريبيكا، وتمنّى لو استطاع التحدّث إلى ثوري مرّة

أخيرة قبل أن يسلّم القضية، لكن لا أثر لها وكأنّ الأرض ابتلعتها. لقد أراد سؤالها عن طبيعة العلاقة التي ربطتها بهانيبال حتّى نهايتها، وعن ردة فعل بيرغموندور حيال ذلك، وعمّا إن كان الرجلان قد تعاركا من قبل، وخاصّة عن مدى معرفتها بحادثة الغرق ومعلوماتها حولها وكيف اكتشفت الأمر في كرينغوميري. فهل كانت زيارتها للقناة بعد وفاة هانيبال وعثورها على القرط محض صدفة فقط؟ وهل كانت تعلم بشأن الحريق؟ هل كانت على دراية بترصّد بيرغموندور لهانيبال قرب قبوه ليلة الحادثة. وفقاً لما قاله الرجال في أرنارهول، استطاعت ثوري أن تفعل ما شاءت ببيرغموندور، ولم يفهم أرلندور سبب ولعه الشديد بها، حتّى بعد أن بدأت بمواعدة هانيبال، ومن الواضح أنّه شعر بضرورة حمايتها لدرجة أصبح فيها شديد العدوانية، كونه يؤمن بالانتقام لا الغفران.

اقترب أرلندور من فتحة الأنابيب- ملاذ هانيبال الأخير- وكان للمعول ذراع قصيرة وشفرة حادّة، وهي كلّ ما احتاجه داخل النفق، أمّا المصباح فكان أشبه بالفانوس، مزوداً ببطاريات قوية تدوم طوال الليل في حال احتاجه أرلندور لمدّة طويلة. وكانت قد اختبأت السماء خلف الغيوم تلك الليلة، وبدا الطقس صافياً، مع وجود بعض قطرات المطر التي انهمرت على طول بلافيول، كما كان الجوار مقفراً.

أشعل أرلندور ضوء مصباحه، ودخل عبر الفتحة، ووفقاً لما قالته ثوري، فقد وجدت القرط إلى اليسار بعد المدخل بمسافة

قصيرة، لذا بدأ عملية بحثه من تلك المنطقة، فكانت التربة خليطاً بين التراب والحصى، وقد أبعدها أرلندور بمعوله بسهولة، فغرز المعول في الأرض بضع مرّات حتى تمكّن من تفتيت الطبقة السطحية، ثم تابع العمل حتّى حفر حفرة بعمق نصف متر على الأقلّ، وبعد ذلك، مهّد الطريق قليلاً أمامه إلى النفق، وعاود العملية مجدّداً.

استمرّ في ذلك جاثياً على ركبتيه، حانياً ظهره، يشقّ طريقه في النفق متراً تلو المتر، وقد علّق المصباح أعلى الأنابيب. وخلال تقدّمه، كان يطرق النصل بالأنابيب ليزيل التراب عنه، معاوداً الحفر مجدّداً حفرة تلو الأخرى، ولكنّه لم يصل إلى شيء.

في النهاية، نظر خلفه وقدّر أنه على بعد عشرة أمتار تقريباً من الفتحة، فقرّر أنّ الوقت قد حان لتغيير موقع البحث، لكنّه تراجع عن قراره هذا وحفر مترين آخرين لضمان أنّه بذل قصارى جهده في الجهة اليسرى، وكان هناك متّسع من المكان ليستدير ويزحف ويعود أدراجه على أطرافه الأربعة إلى المدخل، رغم ذلك شعر بأنّ المكان يضيق عليه، فقرّر أن يأخذ استراحة صغيرة، وبمجرد خروجه، تمطّط بشدّة قدر ما استطاع، ثم جلس وظهره إلى الأنابيب، ووجهه إلى جبل إسيا في الشمال. لا بدّ وأنّ هانيبال كان يجلس بهذا الشكل خلال إقامته في الفندق الغريب الذي اختاره، كنوع من العزلة عن المدينة. وبدت الفكرة جذّابة بعض الشيء، فلا أحد يودّ أن يكون مكان هانيبال، لكنّه استطاع وبطريقته الخاصّة أن يحصل على الحرّية.

بعـد اسـتراحة قصيرة، تسـلّق أرلندور عائـداً إلى القناة وبدأ يحفر مجدّداً في الجهة المقابلة، فدفع المصباح أمامه على طول الطريق، وتقدّم قليلاً، وأحدث حفرة تلو الأخرى، وهكذا تغلغل في العمق شـيئاً فشـيئاً داخل النفق، وقبل مدّة كان قد لاحظ أنّ التربة هشّة والمعول فعّال جدّاً، ولكن على بعد سبعة أمتار تقريباً، شعر ببعض الصلابة.

اقترب بالمصباح إلى نهاية طريقه، لكنّ الضوء لم يكشـف شـيئاً، وبـدأ يحفـر مجدّداً ويبعد التراب، وكلما تقدّم قليلاً شـعر بمقاومة أكبر، فلا يمكن أن تكون صخرة فحسب، بل كان متأكّداً مـن أنّـه شـيء آخـر، فالمعـول لم يرتـدّ بقـوة، ولا يوجد صوت اصطدام حديد بصخرة، فتفحّص الأرض حول الحفرة، ولم يجد أيّ علامة على أنّ المكان قد وصل إليه سابقاً.

علّـق المصبـاح على الأنابيب مجدّداً، وبدأ يزيل التراب من منطقـة أبعـد عن الحفرة، فأحدث بعض الشـقوق بمعوله، مقترباً من هدفه بحرص شديد على عدم إفساد أيّ دليل في حال وجوده. لا صـوت في الأرجاء سـوى صـوت احتكاك المعول بالأنابيب، فأخذ استراحة قصيرة، ثم تفحّص النفق بدقّة مجدّداً، وقد أحال وهج المصباح الظلمة أكثر حُلكة، فشعر وكأنّها تحيط به من كل ّجانـب، والتـراب والأوسـاخ كلّها أصبحت علـى طول الأنابيب حيث ضرب معوله لتنظيفه مراراً وتكراراً، وبدأ بتجميع ما يصل إليه منها إلى يمينه.

كان ظهره منحنياً ولا يزال على ركبتيه، فاستمرّ بإزالة التراب

حتّى علق النصل فجأة بشيء ما، وبسرعة سحب يده خارج الحفرة.

أمسك بالمصباح وانتشر التوتّر في كلّ خلايا جسمه، فقد وجد قطعة ملابس بارزة من الأرض، فترك المعول في مكانه، وبدأ يزيل التراب بيد واحدة، فبدت وكأنّها عنق وسترة، ثم رأى شيئاً كخصل شعر، وفي النهاية وقعت يده على شيء تعرّف إليه مباشرة.

التقطه أرلندور برفق، ومسح عنه الغبار ووضعه تحت ضوء المصباح، فكان قرطاً من حلقتين متّصلتين، وتنفصلان في الأسفل عن واحدة أخرى أصغر منهما قليلاً، وفي وسطه لؤلؤة بيضاء صغيرة.

لقد وجد أودني.

بمجرّد كشفه الجثّة أكثر، تبيّن أنّ الطبيعة قد تناولت من أودني قليلاً، فألقى أرلندور نظرة خاطفة، ووجد عظم الكتف ويداً، فسحبهما فوراً قبل أن ينهي مهمّته، تملّكه إحساس شديد بالخوف والغثيان، لقد علم أنه لن يستطيع البقاء هناك لمزيد من الوقت، واحتاج إلى الخروج على الفور من ذلك المكان المرعب، خارج الأنابيب والظلام الذي كان يضيق عليه شيئاً فشيئاً من كلّ جانب.

في طريقه إلى الخارج، ألقى أرلندور نظرة على اليد مجدّداً، فلاحظ أنّها تخفي شيئاً بين عظام أصابعها، وكأنّها قد أُطبقت عليه لحظة وفاتها، وقبل خروجه من المكان باعد العظام برفق

شـديد، وتمكّن من إخراج ما كانت تمسـك به. نظّفه من الغبار وفحصه، فصعق لمعرفته أنّ قراره بتفتيش الأنابيب بحثاً عن جثّة أودني كان مبنيّاً على اشتباهه بالشخص الخطأ تماماً.

رفـع اكتشـافه الصغيـر إلى الضـوء، فبـدا أنّ أودني لـم تكن الوحيدة التي فقدت شيئاً في تلك الليلة الدامية.

مكتبة
t.me/t_pdf

49

في صبيحة اليوم التالي، غادر أرلندور المنزل باكراً سيراً على الأقدام وصولاً إلى مكاتب دائرة التحقيق الجنائي في بورغارتون، فهو لم يغمض له جفن بعد مغادرته نفق الأنابيب، وكان قد أن استحمّ في المنزل، وبدّل ملابسه وتناول فطوراً سريعاً. وبالطبع كان يمكنه الاتّصال والتبليغ عن الجثّة بمجرّد وصوله إلى المنزل، لكنّه تريّث قليلاً إذ لم تكن الحالة طارئة، فبضع ساعات أخرى لن تشكّل فرقاً، كما أنّه احتاج إلى أن يطلب من المحقّقين معروفاً.

عندما طلب التحدّث إلى هروفلر، علم أنّه في إجازة، لكنّه تمّكن من رؤية ماريون بريم بدلاً عنه، فكان يعرف هذا الاسم جيّداً. ماريون كان في فرقة القيادة في القسم، وقد عبر الطريق مرّتين أو ثلاثاً منذ انضمام أرلندور إلى الفرقة. وقد علم بأنّ ماريون عاد مؤخّراً من عطلة طويلة في الدانمارك لذا لم يشترك في قضية أودني.

طرق أرلندور باب ماريون، بينما كان الأخير يخلع معطفه، وعرف أرلندور على الفور.

«أرلندور، أليس كذلك؟».

«أجل».

«لم لا ترتدي زيّك الرسمي؟».

شرح أرلندور الأمر: «أنا خارج وقت العمل الآن».

«فهمت، ما الذي جاء بك إلى هنا؟».

«أريد أن أبلغ عن جريمة قتل».

وضع ماريون معطفه، محاولاً إخفاء أيّ أثر للدهشة.

«ماذا تقصد؟».

قال أرلندور: «في الحقيقة، أعتقد أنّهما جريمتا قتل، إحدى الضحيّتين امرأة تدعى أودني، والشخص الآخر متشرّد أعرفه ويدعى هانيبال، ولم يكن محظوظاً، إذ يبدو أنّه كان الشخص الخطأ في المكان الخطأ، والمرأة كانت الهدف الرئيسي، وكلاهما قتلا في الليلة ذاتها في كرينغوميري، وأنا واثق من أن القاتل نفسه في كلتا الجريمتين».

سأله ماريون: «أودني، أليست المرأة التي فُقدت العام الماضي؟».

«أجل. وهانيبال هو الرجل الذي...».

«غرق في إحدى الحفر».

«صحيح».

قال ماريون: «أخبرني هروفلر أنّ شرطياً مبتدئاً جاء وسأله العديد من الأسئلة الغريبة عن هذين الاثنين، وأفترض أنّك وجدت المرأة».

«لقد دُفنت تحت أنابيب المياه الساخنة، والمكان ليس بعيداً عن أعمال الحفر، حيث كان يبيت هانيبال مؤخّراً قبل وفاته،

ولعلّ أودني حاولت الاختباء هناك، فاختلط الأمر على القاتل وراح هانيبال ضحيته».

سأله ماريون: «هل كنت تُجري تحقيقاً خاصّاً؟».

شرح أرلندور الأمر: «كنت صديقاً لهانيبال، وطلبت أخته منّي البحث في سبب غرقه، وقد عزمت إطلاعكم على ما اكتشفته، ثم وجدتُ أودني هذا الصباح، وفي الحقيقة اكتشفت هوية القاتل، ولكنّني أحتاج إلى معروف منك».

«ماذا تريد؟».

«أودّ أن تمنحني بضع دقائق معه قبل أن تلقي القبض عليه».

في قاع الوادي في فوسفوغور، تربّع المنزل، الذي يشبه مظهره الصندوق، ببنائه الحديث، وحديقته التي اعتُني بها بشكل فائق الدّقة والمزهرة بالورود، ومربّعات العشب الأخضر جُزّت بعناية، وأزهار البنفسج مزروعة في صفوف أنيقة بمحاذاة جدران المنزل، والمرآب المغلق ببابه الأحمر. كان الوقت مبكراً ونسيم الصباح المنعش ينشر رائحة الصيف مبشّراً بيوم رائع.

اقترب أرلندور من الباب الأمامي ورنّ الجرس، مرّ وقت لا بأس به قبل أن يفتح غوستاف الباب.

قال لأرلندور: «أنت مجدّداً! ماذا تريد؟ ومن... من هؤلاء، ولماذا هم في منزلي؟».

أجاب أرلندور: «أنا طلبت منهم المجيء».

كان خلف سيّارة الدورية التي في داخلها شرطيّان بزيهما

الرسمي، سيّارة جديدة غير مألوفة رُكنت إلى جانبها، وقد ترجّل منها ماريون بريم بصحبة محقّقين بثياب مدنية، واتّجهوا جميعاً إلى المنزل، وقد أُرسل فريق من عناصر الشرطة إلى الأنابيب، حيث تنتظرهم عملية إزالة قسم من الجدار، والخرسانة من الأعلى، للتمكّن من الوصول إلى الجثّة بشكل أفضل.

«هؤلاء محقّقون من دائرة البحث الجنائي في ريكيافيك».

«البحث الجنائي...؟».

«يريدون التحدّث إليك، لكنّهم وافقوا على منحي بضع دقائق برفقتك أوّلاً».

أطلّ غوستاف على الشارع يعتريه خوف إزاء معرفة الجيران بهذه الزيارة، فسيّارات الشرطة نادراً ما تُشاهد في هذه المنطقة.

«ماذا تريدون منّي؟ أنا على وشك المغادرة إلى العمل، ولا أملك الوقت الكافي».

أكّد له أرلندور: «لن يطول الأمر، كلّ ما أريده هو سؤالك عن شيء صغير».

سأل غوستاف: «هل عليهم ركن سيّارتيهم في الممرّ؟».

«لن يستغرق الأمر سوى دقيقة».

قال غوستاف بنبرة يائسة، متيقّناً أنّ لا شيء يقوله سيدفع أرلندور إلى التراجع: «حسناً، فلننهِ الأمر، أنا متأخّر في كلّ الأحوال، ودقائق أخرى لن تضرّ».

دخلوا المنزل لكنّهم لم يتجاوزوا الردهة، واستطاع أرلندور تمييز رائحة القهوة والخبز المحمّص، ثم سمع صوت الباب

عندما أغلقه غوستاف خلفهم.

قال غوستاف بغضب: «كيف تجرؤون على المجيء بهذا الشكل من دون إنذار سابق، تظهرون فجأة بهاتين السيّارتين لحظة بزوغ الشمس، ومن يراكم فسيعتقد أنّ حادثة كبيرة وقعت في هذا المكان، أو أنّني أحد أخطر المجرمين».

قال أرلندور: «آه، لا أعتقد أنّك ستتقدّم بشكوى، لا أتوقّع شيئاً أكثر ممّا فعلت المرّة السابقة حين جئتك ملقياً اللوم عليك في اختفاء زوجتك».

احتجّ غوستاف: «لم أجد سبباً لذلك، لا أستطيع الخروج والإبلاغ عن كلّ مجنون يوجّه اتهامات غبية ضدّي».

«أوافق على ذلك، ولكن بالطبع، لم ترد لفت الأنظار إليك أيضاً».

«لا أعلم ما الذي تشير إليه، قل لي ماذا تريد؟ ألن تتوقّف عن مضايقتي؟».

«في لقائنا الأخير، وكما دوّنت في ملاحظاتي، زعمت أنّك كنت في نادي الليونز ليلة ذهاب أودني إلى ثورسكافي. هل هذا صحيح؟».

«ما الذي تشير إليه؟».

«هل ما قلته كان صحيحاً؟ هل كنت في اجتماع في نادي الليونز؟».

«صحيح تماماً، كلانا نعلم ذلك».

«وحسب توقّعاتي، عدت إلى المنزل بعد الاجتماع مباشرة،

وقد تجاوز الوقت منتصف الليل بقليل، أصحيح ما أقوله؟».

قال غوستاف: «أتعلم شيئاً؟ أنا لن أتحدّث إليك بهذا الشأن، فلستَ مسؤولاً عن القضية، وهذا الأمر لا يعنيك، لماذا لا تخرج من منزلي وتأخذ رفاقك معك؟».

قال أرلندور: «أحد معارفي توفّي عند البرك تلك الليلة، وأخته خائفة من توجيه أصابع الاتّهام إليه في قضية اختفاء زوجتك، وتأمل ألّا يحدث ذلك، هل غيّرت ملابسك بعد عودتك إلى المنزل من الاجتماع؟».

«غيّرت ملابسي؟ لا... لا أستطيع التذكّر، ما هذه الأسئلة؟ لمَ تسألني عن ملابسي؟».

«كنت ترتدي بذلة جميلة، أليس كذلك؟».

لم يجب غوستاف.

«وقميصاً أبيض؟ ربما كان قميصاً جديداً».

واصل غوستاف التحديق إلى الفراغ بصمت، رافضاً أن يجيب.

«هل كان للكمّين أزرار خيطت إليهما؟».

لا إجابة.

«أم كانت أزراراً معدنية؟».

قال غوستاف وقد فتح الباب: «من الأفضل لكم أن تخرجوا من هنا، جميعكم».

«هل كانت الأزرار المعدنية تعود إلى نادي الليونز؟».

حدّق غوستاف إلى أرلندور.

تابـع أرلنـدور حديثـه: «أنا لا أملك أيّ أزرار ولا أعلم حتّى كيـف أضعهـا، ولكنّني على درايـة أنّك فقدت واحداً كما فقدت زوجتك قرطها، هل أصبت قلب الحقيقة؟».

لا يزال غوستاف غارقاً في الصمت.

قـال أرلنـدور: «متـى تنبّهـت إلى فقدانك إيّـاه، أم لم تلحظ الأمر حتّى الساعة؟» فاستطاع ملاحظة تشوّش غوستاف وتوتّره.

لقد دخل أرلندور الأنابيب متيقّناً أن بيرغموندور هو قاتل أودنـي، وأنّ المتشـرّد ذاتـه قضى على هانيبـال انتقاماً من علاقته مع ثوري، وأنّ عراكهما انتهى بإغراقه لهانيبال بالقوّة في الحفر، بينما أودني التي شهدت الجريمة، هربت واختبأت عند الأنابيب، حيث وجدها بيرغموندور وأزهق روحها.

الآن، أرلندور متأكّد من أنّ بيرغموندور بريء من الجريمة.

سـأل مجـدّداً: «هـل اعتقـدت أنّـك أضعـت الزرّ فـي مكان آخر؟».

«لا تستطيع المجيء إلى هنا و...».

«لا بدّ وأنّ القلق اعتراك حول المكان الذي فقدته فيه».

«لكنّني لم...».

وضع أرلندور يده في جيبه، مخرجاً منها شيئاً صغيراً وجده في يد أودني، وكان موضوعاً في كيس بلاستيكي صغير، أعطاه لغوستاف ليتفحّصه، وقد حاول تنظيفه قدر الإمكان ليتمكّن من تبيّـن أنّ الـزرّ مطلـيّ بالفضّة بخطوط مائلة وصليب نادي الليونز موسوم في وسطه.

سأل أرلندور: «هل هذا الزرّ لك؟».

تراجع غوستاف خطوة إلى الوراء.

قال أرلندور: «لماذا لا تلقي نظرة عن قرب؟ أريدك أن تؤكّد إن كان لك».

هزّ غوستاف برأسه غير مصدّق ما حدث.

قال أرلندور: «هل صادفك هانيبال أنت وزوجتك؟ هل علم بما فعلت واستطاع رؤية وجهك؟».

أشاح غوستاف بنظره.

«هل اعتقدت أنّنا لن نجدها أبداً؟ هل اعتقدت أنّ الحفرة ستبقى مخفية تحت غلاف الأنابيب، وتظلّ أودني في قبرها إلى الأبد؟».

تقدّم أرلندور ناحية غوستاف، الذي استحال صخراً أصمّ.

صرخ في وجهه: «أجبني!».

أجفل غوستاف، بعد كلّ ذلك الوقت انهارت كلّ دفاعاته، وتمتم بصوت بالكاد يمكن سماعه: «أنا لم أقصد... ولم أثق بها، واعتقدت أنّها ستتوقّف عن رؤية ذلك المسخ مرّة أخرى... ذلك الحقير. أخبرتني... قالت عندما ضبطتها... إنّها مارست الجنس معه... وستفعل ذلك مجدّداً، وكانت تخطّط للانفصال عنّي. لقد كرهتني، وكنت متوحّشاً، وقد أثارت اشمئزازي».

«متى ضبطتها؟».

بحث غوستاف في وجه أرلندور عن أيّ تعاطف مع حالته.

«لقد تبعتها، بعد أن عادت إلى المنزل وخضنا في عراك

عنيف ثم خرجت مسرعة... لاحقتها، ولم أقصد... ضربتها على وجهها... فلم أشأ قتلها، كان ذلك حادثاً. وعندما رآني ذلك الرجل... عندما رآني... فقدت أعصابي. فقدت السيطرة على نفسي، ولم أدرِ ما أنا فاعل عندها».

«من أين ظهر لك هانيبال؟ هل كان في نفق الأنابيب؟».

«لا أدري. ربما، فلم أشعر بوجوده هناك، اعتقدت أنّ لا أحد في الجوار، وفجأة ظهر من العدم، وكان الآوان قد فات، لقد رأى كل ّشيء».

«لذا استهدفته بعدها؟».

كرّر غوستاف: «لقد رآني، وشاهد ما فعلته بأودني، ولم أستطع السماح له بالوصول إلى الشرطة، لم أستطع تركه يفلت منّي، فركض ناحية البرك، وماذا كان في وسعي أن أفعل؟ أخبرني».

حوّل غوستاف نظره إلى الزرّ.

قال: «بحثت عنه منذ ذلك اليوم، ولم أعلم أين فقدته ومتى، وكدت أُصاب بالجنون، ففتّشت المنزل جيّداً وبحثت بالقرب من الأنابيب وفي نفقها... شعرت بوجوده هناك، وشعرت بالخوف لأنّني أسقطته هناك».

«وجدته مع أودني».

«أين... أين بالضبط؟».

«في يدها».

همس غوستاف: «يا إلهي».

«لقد عثرت عليها الليلة الماضية، حيث دفنتها أنت».

غضّ غوستاف طرفه.

«ذهبت إلى هناك عدّة مرّات في الليل بالطبع، فلم أشأ أن يراني أحد، ويبدو الآن المكان قبراً مفتوحاً، ولن يُعاد ردمه، أو إصلاح تلك الحفرة في نفق الأنابيب».

50

ما إن أحاط أرلندور بالقصّة كاملة من المحقّقين المسؤولين عـن القضيـة، حتّـى ذهب لرؤية ريبيـكا وأخبرها بأنّه حصل على الإجابة التي انتظرتها طويلاً، وأنّ الأمور أصبحت واضحة تماماً، وأنّ هانيبال شهد على جريمة غوستاف. فقال لها إنّ أودني عادت إلى منزلها في تلك الليلة، لتجد زوجها الغاضب بانتظارها، ظنّاً منـه أنّهـا تخونـه، وكانـت قد أفرطـت في معاقـرة الخمر فقامت بتوبيخه أيضاً، وخاضا في عراك عنيف، وهدّدها بالقتل وصفعها علـى وجههـا، فهربـت من المنـزل في وادي فوسـفوغور باتّجاه كرينغوميري.

«المسكينة».

قـال أرلنـدور: «لـم يكن لدى غوسـتاف أيّ فكرة عن مكان ذهابها، ربما فكّرت في العودة إلى أصدقائها، ولا أستطيع الجزم بذلك. فقد لاحقها ووفقاً لإفادته، رآها متّجهة صعوداً إلى منطقة الأنابيب، وعند وصولها أبطأت خطاها، ما أتاح الإمساك بها، في مـكان ليـس بعيـداً عن الفتحة حيث كان يبيت هانيبال، فتشـاجرا مجدّداً، وضربها، فسـقطت على الأنابيب، وقفز خلفها ممسـكاً بعنقها وأخذ يضرب رأسها في الخرسانة حتّى قتلها، ثم...».

قاطعته ريبيكا: «اختصر هذه الأمور أرجوك، لا أريد سـماع

ذلك».

قال أرلندور: «أعتذر، لم أقصد...».

«ماذا حدث بعدها؟».

«خرج هانيبال من النفق، حيث وقف بمواجهة غوستاف، لكنّه أحسّ أنّه لن يتمكّن من الصمود أمام رجل فقد صوابه وقتل امرأة لتوّه، فهرب في الاتّجاه المعاكس ناحية البرك، ولاحقه غوستاف حتّى استطاع الإمساك به ودفعه إلى الماء، وعمد إلى إبقائه مغموراً حتّى... حتّى تيقّن من موته».

تمتمت ريبيكا: «يا إلهي».

«ترك هانيبال في الماء وعاد مسرعاً إلى حيث ترك أودني قرب الأنابيب، وحاول أن يهدّئ من روعه قليلاً، لكنّه لم يشأ أبداً الاستسلام أو الاعتراف بجرمه، وبدلاً من ذلك، أوّل ما تبادر إلى ذهنه إخفاء جثّة أودني، فسحبها عبر الفتحة إلى داخل نفق الأنابيب وخبّأها في الظلام بعيداً في النفق، وأسرع بعدها إلى المنزل، ولم يلحظ أنّ واحداً من قرطيها سقط أرضاً تحت أنابيب الماء الساخن، ولاحقاً اكتشف فقدانه لأحد أزراره ولكنّه لم يعلم أين سقط منه. وانتظر برعب وبفارغ الصبر عثور الشرطة على جثّة أودني عندما ذهبوا لإخراج أغراض هانيبال، لكن لم يحدث شيء من ذلك، ولم يخطر في بال أحدهم أن يدخلوا في النفق إلى أبعد ممّا وصلوا إليه.

جلست ريبيكا هادئة خلال سرد أرلندور القصّة، ودعته هذه المرّة إلى شقّتها الجميلة في إحدى الأبنية في ألفهيمار. وفي

ذلك اليوم كان لديه موعد مع هالدورا، فقد قرّرا الذهاب لاختيار منزل ليستأجراه معاً.

وأردف قائلاً: «وبعد فترة، عندما خفّت الضجّة حول الأمر، لم يكترث رجال الشرطة لقضية هانيبال لانشغالهم باختفاء أودني، واعتبروا الأمر انتحاراً، فتسلّل غوستاف إلى الأنابيب في إحدى الليالي، حاملاً معولاً صغيراً ومصباحاً ليدفن الجثّة، ولم يستطع حمل نفسه على إخراجها من النفق، ولم يمتلك بديلاً أفضل، وحاول أن يشيح بنظره عنها ما استطاع، ولم يلحظ زرّه في يدها».

في الوقت الذي أطلع فيه أرلندور ريبيكا على المستجدّات، أُعلن في إحدى المقابلات عن مجريات القضية. قيل إنّ غوستاف توقّع أنّ شركة التدفئة ستعمد إلى إصلاح الثقب في غطاء القناة خلال فترة قصيرة، وبالتالي ستتمّ المحافظة على مرقد أودني الذي اختاره من دون توقّع أن يكشفه أحد.

لكنّ الأشهر مرّت من دون أيّ تحرّك من قبلهم، ووصل به الأمر إلى الاتّصال بالشركة شخصياً من دون التعريف بنفسه ليشكو من الأمر، لكنّهم لم يحرّكوا ساكناً.

سألت ريبيكا: «هل ذلك كلّ ما اكترث له؟».

قال أرلندور: «حسناً بطبيعة الحال، لم تكن أفكاره متّزنة، وأعتقد أنّه بدأ بالعودة إلى رشده تدريجياً».

«إذاً بيرغموندور هذا لم يكن له يد في الأمر؟».

«على الإطلاق، لكنّني أؤكّد لك بشكل أو بآخر من أنّه

السبب وراء الحريق في القبو، فكان يضمر الضغينة لهانيبال جراء علاقته بثوري».

«ماذا عن ثوري؟».

قال أرلندور: «لا أدري، لم أرَها مؤخّراً».

«هل تظنّ أنّها ستودّ اللقاء بي؟».

«هل هذا ما تريدينه؟».

«في الواقع أجل، أودّ التحدّث إليها عن هانيبال».

قال أرلندور: «أنا متأكّد من أنّها ستساعدك، وستكونان بخير عندما تلتقيان».

51

وضّب أرلندور قبّة قميصه تحت سترة بذلته، وقد أوشك تموز على نهايته، والطقس كان حارّاً في ثينغفيلير، والبحيرة هادئة، مياهها ولشدّة صفوها تبدو كالمرآة، والناس في قوارب التجذيف، والأطفال يلعبون حفاة على الشاطئ، وحركة المرور صاخبة حول المهرجان، حيث أرسلت الشمس أشعّتها إلى كلّ قطعة أرض من وادي ألمانّاليا، مشاركة في هذا الاحتفال.

في ذلك اليوم، كان يلبّي نداء الواجب باكراً مع استراحة مدّتها خمس عشرة دقيقة، تناول فيها شطيرة مع فنجان قهوة سيّئ الطعم. كانت منشآت الشرطة قريبة من خيمة المشرفين على المهرجان، ووجب على جميع عناصرها التعامل مع الكثير من الحوادث غير المتوقّعة، بما فيها احتجاج حول القاعدة الجوية للناتو في كيلفلافيك، حيث تمّ إبعاد المحتجّين بسرعة وباستخدام القوّة أحياناً عن حافة الوادي، ولافتاتهم التي حملت شعار الحرب المألوف «آيسلندا خارج الناتو، ليعد الجيش إلى الوطن» توجّهت إلى سيّارة الشرطة، وهذا الحدث باغت رجال الشرطة تماماً، فلم يتوقّعوا شيئاً كهذا. ومعظم أعمالهم المتبقية توقّفت على تسيير المواصلات في مناطق الازدحام، حيث السيّارات والمشاة، ومحاولة الحفاظ على الأمن والسلم بين الآلاف ممّن

جاءوا إلى ثينغفيلير للاحتفال بمئة عام من الاستقرار في آيسلندا، ولم يشارك أرلندور في اعتقال المحتجّين على الناتو، بل سمع بالأمر بينما كان يتناول غداءه.

كلّ ما اضطرّ إلى التعامل معه هو بعض المسيحيين الإنجيليين ودعواتهم التبشيرية التي توزّع منشورات مطبوعة بالإنجليزية في أرجاء المهرجان، وكان أحد الملحدين الذين تضاءل عددهم كثيراً –وهو في منتصف العمر تقريباً– قد بدأ يوبّخ الإنجيليين، فضرب أحدهم، أمّا ضحيته فكانت شاباً في العشرين من عمره، وهو أشقر وملتحٍ، ويرتدي علامة السلام حول عنقه، فكان على وشك أن يردّ الصاع صاعين. وعندما رأى أرلندور الشجار، أخذ السكّير جانباً وهدّده بطرده من المهرجان إن لم يدع المسيحيين وشأنهم بسلام، ووجد الملحد أنّ التحذير ليس بمزحة، فكتم غيظه.

أبطأ أرلندور سيره متعمّداً حتّى يصل إلى مسرح لاوروك، ولا يضيّع على نفسه رؤية اعتلاء الشاعر توماس غودموندسون الخشبة، ببنيته النحيلة ورأسه الكبير، ليلقي قصيدة تذكارية. فسمح لنفسه بأخذ استراحة قصيرة من مهامه ليستمع إلى الأعمال الشعرية التي جذبته منذ كان شابّاً. فكانت الشمس قد أحاطت المتحدّث بهالة جميلة، عندها حوّل أرلندور نظره عبر ثينغفيلير إلى جبل سكيالدبريدور، فكان الطقس من أجمل ما يكون، إنّه ابتهاج حقيقي يعمّ أرجاء موقع الاحتفال العريق. وتجوّل الناس بين عروض الأداء والخيام التي تقدّم المرطّبات، والمزيّنة بأعلام

آيسلندا والبالونات، كما استمعوا إلى جوقات تغنّي الأغاني القديمة التقليدية بحناجر الرجال القويّة، ويتردّد على مسامعهم صوت الترومبيت، الذي يملأ قلبهم بالفرح.

اجتمعت الأمّة بأكملها للاحتفال اليوم، وقد حضرت من كلّ حدب وصوب، فالآيسلنديون ذوو الشعور الطويلة، والهيبيون الذين يرتدون ثياب الفلّاحين، وسيّدات المجتمع الراقي بفساتينهنّ الصيفية وشعورهنّ المسرّحة إلى الوراء، حاملات حقائبهنّ على الأذرع، والرجال الذين يعتمرون القبّعات ويرتدون أفضل ثيابهم، بطيّات الصدر الواسعة بقدر شرائح سمك الفيليه، والمزارعون، ورجال الأعمال، والعمّال، والصيّادون، والبحّارة وأصحاب المتاجر، والناس من المدينة، والآخرون من القرى والأرياف، كلّهم اجتمعوا في هذا اليوم المجيد، مصمّمين على إبداء الاحترام لما تمثّله آيسلندا في نفس كلّ منهم.

بعد الاستماع إلى قصيدة توماس، تابع أرلندور طريقه، متّجهاً إلى فندق فالهول حيث أدّى اليوم جزءاً من عرض حرس الشرف. فالعديد من كبار الشخصيات الأجنبية –سفراء الوزارات الحكومية والملكية– وصلوا بسيّارات الليموزين الفارهة إلى الفندق المتواضع بالإضافة إلى نجوم السينما وغيرهم.. وقد أدّى أرلندور دوره بقفّازيه البيضاوين كالعادة، ورفع يده لتلامس قمّة قبعته، وهو ينظر إلى الأمام من دون أيّ التفات، لدرجة أنّ المرء يظنّ أن عينيه تعملان بالاستقلال عن جسده. كان كلّ الوقت يبحث عن مسبّبي المتاعب، ولكن لم يُبدِ أيّ من الحاضرين

الرغبة في القيام بأيّ نوع من الشغب.

توقّف قرب الفندق ليدردش قليلاً مع مارتن وغاردر، اللذين كانا في الخدمة أيضاً، وقد ضاقا ذرعاً بالاحتجاجات في ألماناجيا التي نشرت بعض الذعر بين عناصر الشرطة حيث إنّهم كانوا المسؤولين عن ضبط الأمن وتسيير كلّ الأمور لتظلّ على ما يرام.

قال غاردر: «يا لهم من أوغاد!».

تابع أرلندور سيره إلى موقع الخيام حيث نصب آلاف الناس خيامهم في الأيّام القليلة الماضية، مستغلّين هدأة الحرّ القصيرة خلال هذا الصيف، وقد أحضروا معهم المواقد، والطعام المعلّب، وبعض الأوعية الصغيرة، وسلال الخبز، وأواني القهوة. كما جلب العديد منهم شراباً ليحتسوا نخب هذا الحفل ويستمتعوا بوقتهم بشكل مميّز. مرّ الحدث بسلام، كما هو مخطّط له في مكان كهذا، مع غضّ البصر عن شجارات صغيرة هنا وهناك لأسباب تافهة.

شقّ أرلندور طريقه عبر الخيام، حيث رأى النساء يصنعن القهوة والشطائر بلحم الأوز أو لحم الغنم المدخّن، بينما رجالهم يسترخون متكاسلين على كراسيهم، يدخّنون، أو يقرأون الصحف التي أحضروها معهم من المنزل. استطاع سماع أزيز الراديوهات لدى الناس الذين يتابعون برنامج المهرجان، إضافة إلى أغنية تراقصت كلماتها في الهواء منبعثة من جوقة في الجوار «سأحبّك وطني». وكان أحد الرجال يشرب من زجاجة كحول غير قانوني، وقد خبّأها مباشرة فور رؤيته أرلندور، وحاول التصرّف بشكل طبيعي من دون إثارة الشبهات.

سمع صوتاً خشناً قادماً من خلفه: «مرحباً».

التفت ليرى ماريون بريم مرتدياً زيّه الملكي الكامل لهذه المناسبة، وبدا غير مرتاح بارتدائه بسبب الحرّ، حاله كحال أرلندور.

تصافحا.

قال ماريون: «أنصحك بالقدوم إلينا في دائرة البحث الجنائي في حال أردت وظيفة جديدة، لقد راجعت تقاريرك حول قضية هانيبال وأودني، ووجدت أنّك اخترقت كلّ قانون في نظام هذه المنطقة».

قال أرلندور: «أنا آسف، لم أقصد أبداً...».

تلقّى أرلندور سابقاً توبيخاً شديداً من رؤسائه نتيجة تحفّظه على معلومات تفيد في حلّ القضية، وعدم تقديمها إلى دائرة البحث الجنائي مباشرة، وكاد أن يخسر وظيفته بسبب ذلك.

قال ماريون: «لا لا، أنا معجب بما قمت به حقيقةً، ولا حاجة للاعتذار، وبالمناسبة لقد تحدّثت إلى شقيقة صديقك هانيبال».

«ريبيكا؟».

«هي تكنّ الاحترام لك، وعليك الاتّصال بي إن أردت القيام بعمليات تجسّس أخرى من هذا النوع».

بهذه الكلمات، اختفى ماريون في الزحام، فشدّ أرلندور قبّة قميصه مرّة أخرى، متأمّلاً جمال الإحساس الذي سيراوده عندما يخلع هذه البذلة عنه بعد إنهاء خدمته تلك الليلة، وليس وكأنّها ستفارقه طويلاً، فالأسبوع القادم بأكمله مليء بالمناوبات الليلية في ريكيافيك.

52

توّقـف أمـام المنـزل الـذي بدأ منه رحلته، قبل أن يسـتأنف سـيره مجـدّداً تحـت الأمطـار الخفيفة. لطالما اسـتذكر لحظات جميلة هنا، فتمشّـى قليلاً في ذلك الشـارع، ولم تعد أسـرة الفتاة تقطن فيه، فقد انتقلوا منذ أكثر من عشر سنوات، ولم يكن واثقاً أيّ غرفـة مـن غـرف المنزل كانت لها، لكنّـه أحبّ انتقاء إحدى الغـرف فـي مخيّلتـه، تلك ذات النافـذة الجميلة المرتفعة، حيث كانت تستيقظ لتستقبل يومها الجديد وتستعدّ للمدرسة، وتصيح مودّعة والديها، ثمّ تركض في الطريق لأنّها تأخّرت مبتهجة دوماً، كما وصفوها.

احتضن المنزل عائلتين مختلفتين منذ ذلك الوقت، ويسكنه الآن زوجان يافعان، فتسـاءل أرلندور عن معرفتهما بشـأن ملكية المنـزل السـابقة التي تعود إلى الأسـرة التـي اختفت ابنتهم وهي في طريقها إلى المدرسـة. وقد شـكّ في الأمر، فالناس يتعاقبون علـى المـكان من دون السـؤال عن الماضـي، ويهتمّون بحياتهم الجديـدة، وببنـاء مسـتقبل جميـل، إنّهـا دورة الحيـاة، ولن ينتظر الوقت أحداً.

تملّكـه الشـعور بالأسـى حيال الطفلة للمـرّة الأخيرة خلال سـيره فـي هـذا الشـارع، وظلّ يفكّـر فيها حتّى وصـل إلى حيث

كان مخيّم كنوكس ذات يوم، يقف كنصب تذكاري كئيب رمزاً للاحتلال وماضي الأمّة التعيس، فتوقف هناك، وراقبها وهي تغادر، لتتلاشى ملامحها بين قطرات المطر الناعمة.

انضم إلى مكتبة .. امسح الكود

مكتبة

بالنسبة إلى الشرطي الشاب أرلندور لم تكن ليالي ريكيافيك ليالي أنس كليالي فيينا، فقد أمضى مناوباته الليلية في تعقب المجرمين، ولكن فطرة الشرطي السليمة جعلته ومن خارج المهمات الموكلة إليه يشك بموت أحد المتشردين، فقادته تحقيقاته الخاصة إلى حقائق مذهلة تعود إلى ماضي المتشرد المتوفى، وهذا ما شرعَ الأبواب على أسئلة عديدة عن علاقة غرق زوجته في مياه المحيط بموته غرقاً في مياه بركة؟ وما علاقة جاريه الأخوين بالحريق الذي حصل في القبو الذي يقيم فيه؟ وما هي الأسرار التي كشفها بشأنهما وجعلتهما يرغبان بالتخلص منه؟ وهل من علاقة بين موته وفقدان إحدى النساء أثناء عودتها من إحدى السهرات؟ وهل للأمر علاقة بخيانة زوجية؟ والأهم ما علاقة المشرد، والزوج، والعشيق في اختفائها؟

telegram @t_pdf

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

ISBN: 978-614-01-3187-3
9 786140 131873